قواعد علم الخطابة

وفقه الجمعة والعيدين

تأليف
أ.د. أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق
جامعة الأزهر

مؤسسة الرسالة
ناشرون


قواعد علم الخطابة
وفقه الجمعة والعيدين

الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٥٢٢٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 17 - 4463 - 1

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر
☎ : ٨٣٣٨٢٤٠ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٤
e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

الطبعة الأولى

القاهرة في ١٩٧٨م

الطبعة الثانية

القاهرة في٧ ٠ ٠ ٢م

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فإنى أتوجه بالشكر لله تعالى ولكل من قرأ كتابى " قواعد الخطابة وفقـه الجمعة والعيدين " في طبعته الأولى التي قررت بعد نفاذها أن أقوم بطبعه طبعة ثانية أتلافى فيها بعض الغموض الذي كان بالطبعة الأولى ولأضيف إلى الطبعة الثانية الكثير من خبرات العمر ، وتقدم العلوم .

وسوف أحافظ بعون الله تعالى على الهيكل العام للكتاب من ناحية التقسيم والترتيب مع تنظيم محتوياته وتوضيحها .

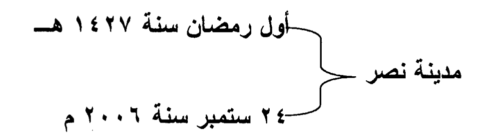
والحمد لله فلقد أهتم العلماء والدعاة بالخطابة نظريا وعمليا ، ولـم يعـد هناك من يشكك في كونها علما أساسيا في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

ومع ثبات قواعد العلم وأساسياته أرى الحاجة إلى الممارسـة العمليـة ، وأهمية الخبرة الواقعية التي تكسب الدعاة الشجاعة الأدبية ، والثقة النفـسية ، والثبات في المواجهة ، وعند المواقف الطارئة .

ولهذا فإنى بعون الله تعالى سأبرز الملامح والركائز التي يحتـاج إليهـا الخطيب كلما أمكن ... مع بيان وتوضيح بعض الخطب لرسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين مفصلا المنهجية العلمية المستفادة من هذه الخطب .

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منى العمل خالصا لوجهه الكـــريم ، وأن ينفع به ، ويجرينى عنه بكرمه سبحانه وتعالى في الدينا والآخرة ، وأن يرزقنى به الجنة . فهو على كل شئ قدير . وهو حسبى ونعم الوكيل .

أ.د / أحمد أحمد غلوش





مقدمة

الطبعة الأولي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ،،،

فإن الخطابة فن من فنون الأدب الرفيع ذات التأثير النفسى والتوجيه الاجتماعى الأصيل ، ولأهميتها كانت صلتها بسائر العلوم واضحة .

وبرغم نشأة الخطابة بصورة فطرية فإنها صارت علما كاملا بموضوعه الذي يميزه عن غيره من العلوم ، وبخاصة بعد أن ألف أرسطو كتابا مستقلا عن الخطابة ترجمه ملخصا الفيلسوف ابن رشد . وبعدهما كثرت المؤافات عن هذا العلم ... وتعددت المناهج التي احتوتها هذه المؤلفات ... ويرجع السبب في اهتمام المتأخرين بالخطابة إلى إحساسهم بالدور الخطير الذي تؤديه في الفرد وفى الجماعة مهما كان مستواه العلمى والأدبى .

ولقد وفقنى الله تعالى في إخراج كتابى " علم الخطابة " و " الخطابة العملية " قصدت بهما تأصيل الخطابة كعلم له ذاتيته المستقلة عن سائر العلوم لينال حقه الواجب من العلماء والباحثين ، وبخاصة أولئك الذين حباهم الله سبحانه وتعالى ، ووضعهم في ريادة التوجيه ، وأمانة التربية والبناء .

وكتابى هذا امتداد للكتابين السابقين أوجز فيه القواعد الأساسية لعلم الخطابة ثم أفصل في فقه الجمعة والعيدين لما لهما من صلة وثيقة بالخطابة .

مع التركيز على التصور الشرعى ليوم الجمعة بما فيه من علم وعبادة . وعمل وهدى .

إن الخطبة الدينية في الإسلام تعد أصلا للإعلام الدينى ، وتضع أسسا لفن الاتصال بالجماهير بما تحتويه من العناصر ذات التأثير النفسى ، والإقناع العقلى ، والجذب الوجدانى ، والدعاة إلى الله تعالى يحملون رسالة سامية تهدف إلى صناعة الإنسان بمنهج الله ، وتوجيهه نحو خالقه ، وإنقاذه من التردى في هاوية الغى والضلال والارتقاء به في عالم الخير والنور والجمال .. وهذا الأمر ليس سهلا لأن الإنسان يقاد من داخله ، وأنى لعمل عادى أن يقوم بتغيير الإنسان من باطنه ! وبخاصة في عالمنا المعاصر الذي تعددت فيه ألوان الهوى وكثرت خلاله مذاهب الهدم بأساليبها الخبيثة ، وإمكانياتها الكثيرة .

إن الدعوة إلى الله تعالى هي الجهاد في الحقيقة ، والدعاة هم المرابطون المسلمون وعليهم أن يدركوا دورهم ، ويفقهوا رسالتهم ويعلموا أنهم في موضع الرجال الذين وصفهم الله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[١] .

والدعاة المخلصون يشعرون بمسئوليتهم ، ويستعدون لها . فإذا تكلموا حسنوا أقوالهم ، وإذا علموا أتقنوا أفعالهم ، وإذا تخلقوا تمسكوا بما جاء من عند الله تعالى ولا يبغون في مقابل ذلك شيئا من عرض الدنيا الزائل ، ويدخون جهودهم ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار لله ، ترجو رحمة ، وتبغى رضا ، وتلتمس قربا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وبمتابعتنا لأعمال الدعاة في العصر الحديث نلحظ حاجتهم الشديدة لخطة علمية ترسم لهم الطريق وتحدد الغاية ، وتسهل أمامهم الرسالة ، وليس من المستحسن مطلقا أن تقوم الدعوة على الشدة والقسوة ، أو بالسب واللعن ، أو بالنفور والضيق ،بل يلزم لها أن تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة

١- سورة النور آية ٣٧ .

بالحسنى كما قامت أولا وكما بلغها رسول الله ﷺ للناس .

لقد شرع الله تعالى خطبة الجمعة والعيدين ، ووضع لهما شروطا يتمكن بها الدعاة من إنجاح رسالتهم ، وتحقيق الأمانة التي وجبت عليهم ، ومن حكمة التشريع في هذا تكليف المسلمين بأن يذهبوا للمسجد مصلين . وفى نفس الوقت يتعلمون من خطيبهم بعض قضايا دينهم وبخاصة ما يتصل بحياتهم اليومية .

ولقد وقفت سعيدا أمام الحكمة من تقسيم الخطبة الواحدة إلى خطبتين ، لأنى أدركت أن الخطبة الأولى تتضمن موضوعا متكاملا ، وأن الخطبة الثانية تتضمن الإجابة على بعض التساؤلات التي يتصورها الخطيب دائرة في الإطار الذي حدده لموضوعه الأول .

لقد سعدت بهذا وقلت لنفسى أليس ذلك ما وصل إليه العلم الحديث مع الندوة المفتوحة ، حيث إباحة الأسئلة بعد الدرس والمحاضرة .

إن يوم الجمعة مدرسة فيها الشمول . وفيها الموضوعية وفيها نصر الإسلام والمسلمين في إطار عبادة مفروضة .

قصدت الحديث المطول عن الجمعة بجوار الحديث عن قواعد الخطابة لما بينهما من صلة وتناصر .

وإنى أقدم كتابى هذا راجيا له أن يحقق ما يلي : —

١- إبراز أهم قواعد علم لخطابة لتكون أساسا للدعاة يعلمونه ويتحركون به على أساس موضوعى متين ليتحقق لهم ما يريدون .

٢- الاستفادة من الجوانب التطبيقية للخطبة بشكل عام ، ولخطبة الجمعة والعيدين بشكل خاص لتظهر بخصائصها ومزاياها .

٣- الوقوف على مزايا يوم الجمعة بمعرفة أهم ما ورد فيه من نصوص وأحكام لينال الاهتمام اللائق به .

٤- فقه خطبة الجمعة ، وفهم أركانها ، وشروطها ، وحكمة التشريع منها لسعة حاجة المسلمين لهذه المعرفة .

٥- فقه العيدين وبيان مدى ارتباط العبادة في الإسلام بالعلم .

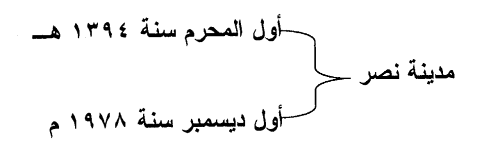
إن الدعاة إلى الله تعالى طرف في الصراع المذهبى الحديث ، وعليهم أن يستعدوا بكل ما يستطيعون ، ولا يتم لهم الاستعداد إلى بالمعرفة الشاملة ، والوقوف على أسس العلوم المختلفة ، والاستفادة منها في القيام بدعوة الناس لله رب العالمين .

وعلى الدعاة أن يتأكدوا من نصر الله ، وأن يثقوا في أنفسهم وعملهم ، وأن يخلصوا لله بقدر الطاقة كلها .

واسأل الله تعالى أن يوفقنى ويوفق كل مخلص لدينه للحق والخير .

واسأله سبحانه أن يتقبل عملى هذا ويجعله لى ذخرا في الأرض ونورا في السماء . فهو سبحانه غايتى ، وما قصدت سواه ، وهو حسبى ونعم الوكيل.

أ.د / أحمد أحمد غلوش



الفصل التمهيدى

المدخــل
إلى قواعد الخطابة

تمهيـــد

التصور العام للعلم من مقدمات دراسة أى علم من العلوم ، ولذلك احتاج الأمر ونحن في مجال تقديم دراسة عن علم الخطابة وقواعدها أن ندرس فـــي هذا الفصل التمهيدى عددا من المسائل التي تساعد في تصور علم الخطابـــة ، وأهميته ، وصلته بالعلوم الأخرى ودوره في الحضارات القديمة والحديثة .

وهذا المدخل ضرورى لعلم الخطابة ، لأن كثيرا من الناس لا يعده علما ويتصوره تدريبا عمليا لفطرة مستعدة ، وممارسة حركيه توجدها المناســبات ، والوقائع المختلفة .

وقد ساعد هذا التصور على البقاء ندرة الدراسة في علم الخطابـــة حـــين نقارنه بسائر العلوم الإنسانية والإسلامية كالتفــسير والحــديث . والتــاريخ . والاجتماع .

ولهذا كانت ضرورة المدخل لــتأكيد الحقيقة العلمية للخطابة لنقف مـــن خلالها على تعريف العلماء للخطابة ونناقشهم في تعريفاتهم لننتهى إلى تعريف صحيح للخطابة ، ونشرحه.

ولنعرف كذلك أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية ، ودورهـــا مـــع ســـائر الأساليب الأخرى .

ولنعلم صلة الخطابة بالعلوم الأخرى ، ودورها في الحضارات المختلفة .

ولذا جاءت الدراسة مشتملة على المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف علم الخطابة

المبحث الثانى : أهمية علم الخطابة

المبحث الثالث : علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى

المبحث الرابع : الخطابة في الحضارات المختلفة

والله ولى التوفيق ،،،

المبحث الأول

تعريف علم الخطابة

اللسان أداة القول كما أن القلم أداة الكتابة ، والقول فنون متعددة تتمايز عن بعضها بخصائص معينه أحاطها العلماء بالفحص والدراسة ، تجلية لها ، وتحديدا لكل نوع .

والخطابة أحد فنون القول ، بل هي أشهرها ، وألصقها بالحياة البشرية بصورة عامة .

وقد استعمل العرب الفعل خطب يخطب من باب قتل ، يتعدى بنفسه ، وبحرف الجر ، يقال خطبه ، وخطب له ، وخطب فيهم ، وهكذا .

ومصدر الفعل خطبة بضم الخاء على وزن فعلة ، وخطابة بفتح الخاء على وزن فعالة ، ومعنى خطب وعظ على المنبر ، وخطب الناس ، ومن مصادر الفعل أيضا خطبة بكسر الخاء ، ومعناه طلب المرأة للزواج .

وقد استعمل العرب الفعل بفتح الخاء وضم الطاء يقال خطب من باب ظرف ومعناه صار خطيبا[١] .

جاء في المصباح المنير أنه يقال في الموعظة خطب القوم ، وعليهم خطبة بالضم ، وهي فعلة بمعنى مفعولة ، وجمعها خطب ، مثل غرفة وغرف فهو خطيب ، والجمع خطباء وخطيب القوم هو المتكلم فيهم ، وأما خطبة بكسر الخاء فمعناه طلب المرأة للزواج ، والرجال خاطب المرأة ، وخطاب مبالغة في هذا [٢] .

وبتتبع اللفظ في المعاجم اللغوية نرى أن الخطبة بالضم تعني البيان الشافي ، والموعظة المؤثرة ،والمقالة المؤدية إلى الإقناع والاستمالة ، بينما

١- مختار الصحاح - مادة خطب .
٢- المصباح المنير ، لسان العرب ، الصحاح مادة (خطب)

الخطبة بالكسر تعنى طلب المرأة للزواج كما تقدم .

وقد اهتم العلماء منذ العصور القديمة بالخطابة ، وأفردوها بالتأليف والدراسة .

وأول كتاب مؤلف فى الخطابة هو كتاب " الخطابة " لأرسطو الذى كتبه باللغة الإغريقية ، وترجم حديثا إلى العربية ، وقام بتلخيصه الفيلسوف " ابن رشد " فى كتابة " تلخيص الخطابة " والمؤلفات المعاصرة عديدة لمواكبة أهمية الخطابة وضرورة تخريج جيل من الدعاة الخطباء لتحقيق نهضة إسلامية .

وقد حاول العلماء وضع تعريف اصطلاحى للخطابة .

يقول أرسطو : الخطابة هى القدرة على النظر فى كل ما يوصل إلى الإقناع فى أى مسألة من المسائل[١] .

ويعرفها ابن رشد بأنها : قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من الأشياء المفردة [٢] .

وبالنظر فى هاذين التعريفين نرى اتفاقهما فى تحديد معنى الخطابة كما ارتآها كل منهما،ونلحظ أن التعريفين يشتملان على عدد من العناصر المشتركة.

فالخطابة عندهما هى قدرة ، أو قوة أو طاقة تساعد من يتمتع بها على أداء الخطبة انطلاقا من هذا الاستعداد الذاتى .

وهى عندهما تهدف إلى الإقناع ، ووسائله بقدر الإمكان ، وهى كذلك فى رأيهما تدخل فى أى موضوع أو مسألة يراد الإقناع بها .

ويلاحظ على هذين التعريفين عدم الدقة فى تحديد المراد بالخطابة اصطلاحا .

لأن القول بأنها قوة أو قدرة أو طاقة تساعد وتمكن لا يفيد شيئا لأن الخطابة تتكون من كلام يقوم على القول واللفظ ، أما الاستعداد المعنوى فهو مرحلة تسبق الخطبة ، وقد لا يستفاد بها أصلا ، فكم من إنسان يملك هذه القدرة

١- الخطابة لأرسطو جـ١ صـ٩٠

٢- تلخيص الخطابة لابن رشد صـ١٥

ومع ذلك لم يخطب مرة فى حياته .

وأيضا فإن تحديد الخطابة بأنها قوة الإقناع فى أى مسألة ، وأى موضوع على أى كيفية كان ليس صحيحا،لأن التقرير الذاتى،والتأمل الفردى يوصل إلى الإقناع وهو ليس خطبة أصلا،كما إن إقناع الوالد لولده،والشيخ لتلميذه،والصديق لصديقة فى أى مسألة تدور بين الطرفين ليس بخطبة مع أن التعريف يشمله .

ويخص ابن رشد الإقناع بأنه الممكن فى المسألة الممكن الإقناع بها مع أن الخطابة تكون فى الإقناع الممكن ، والواجب ، وفى المسائل الإرشادية العامة التى لا تحتاج إلا لمجرد التنبيه فقط .

وفن الكلمة متنوع ، وكل أنواعه تهدف الإقناع ، والتوجيه ، فالمقالة المنشورة البليغة ، والكتاب الرائع المطبوع ، والصورة الأخاذة ، والمحاضرة الدقيقة ، والصيحة المستغيثة كل ذلك وغيره يفيد الفهم ، والإقناع ، والمشاركة ومع ذلك لا يمكن أن نقول : إن أحدا من ذلك هو الخطبة .

ولهذا نقول باطمئنان إن تعريفى أرسطو وابن رشد للخطابة تعريفان غير سديدين لأن كلا منهما غير جامع لكل ما هو خطبة ، وغير مانع لدخول غيرها فيها ، كما أنه يجعل الخطبة المستفادة من التعريف شيئا بعيدا عن الخطبة الاصطلاحية .

ومن خلال نقد ابن سينا للحكماء نرى أنه يضع تصورا يعرف به الخطابة ويحدد معالمها يقول ابن سينا " إن الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر فى أقسام المنطق ،لأن المقصود من المنطق أن يوصل إلى التصديق ، فإن أوقع التصديق يقينا فهو البرهان ، وأن أوقع ظنا أو محمولا على الصدق فهو الخطابة ،أما الشعر فلا يوقع تصديقا ، لكنه لإفادة التخييل الجارى مجرى التصديق ،ومن حيث أنه يؤثر فى النفس قبضا أو بسطا عد فى الكلام الموصل إلى التصديق [١].

ومن هذه الكلام نرى أن الخطابة عند ابن سينا هى التصديقات التى توقع الظن أو تقرب من الصدق ، ويميزها عن المنطق الذى يراه موصلا للبرهان

١ـ الخطابة صـ١٢

اليقينى ، كما يميزها عن الشعر الذى يراه مفيدا للتخييل ، مثيــرا للإنفعـــالات النفسية.

ونحن نرى خطأ ما ذهب إليه ابن سينا ، لأن ثقته بالمنطق فيهـــا غلـــو واضح ، فليس كل المنطق مفيدا لليقين فلربما أوقع صاحبه في الخطأ إذا بنـــى قضاياه على تصورات خاطئة .

وأيضا فإن حصر ابن سينا الخطابة فى التصديقات المفيدة للظن غير سديد لأن الخطابة تعتمد على الحقائق المستمدة من الأدلة والمقدمات اليقينية ، كمـــا تعتمد على القضايا الظنية المثيرة للانفعالات النفسية ، المؤديـــة إلـــى التـــأثر والإقناع ، وأيضا تعتمد على الخيال الواقعى لمخاطبة العواطف والوجدان .

إن الخطابة الدينية تعتمد على الحقائق الدينية ، وتقصد الوصـــول إلـــى اليقين التام ، ولا تعتمد على خيال وهوى .

وكم من خطيب جمع حوله العلماء المتخصصين ، وأقنعهم بالحقائق التى يخاطبهم بها ، وهو فى نفس الوقت يقنع العامة ، وأصحاب العواطف المرهفة ، وأهل الثقافات المختلفين .

إن الإنسان عموما يقتنع بعقله ، ويستثار بعواطفة ، وينجـــذب بوجدانـــه وروحه ، والخطيب مسئول عن التوجه إلى هذه الجوانـــب للمـــستمعين علـــى تنوعهم .

إن من الحقيقة والواقع تبين خطأ ما ذهب إليه ابن ســـينا فـــى تـــصوره للخطابة

وقد حاول العلماء المعاصرون أن يضعوا تعريفا للخطابة يتلاقون فيـــه ، المآخذ الموجودة فى تعريفات الأوائل فلم يجعلوا الخطابة مجرد قوة أو طاقـــة ولم يقصروها على الشئ المقنع ، ولم يجعلوها شاملة لكل فنون الكلمة المقنعـــة ولم يرتضوا لها أن تفيد الظن فقط نعم حاولوا تجنب هذه المآخذ،ولذلك وضعوا تعريفات جديدة للخطابة .

يقول د/ أحمد الحوفى " **الخطابة هى فن مشافهة الجمهـــور وإقناعـــه ، واستمالته**[١] .

ويعرفها آخر بأنها " **خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير فـــى نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور**[٢] .

وهذان التعريفان يحددان الخطابة فى فنها الكلامى الخاص بها ، ويميزانها عن بقية فنون الكلام ، وهذا حق .

كما أنهما يجعلان الخطابة مشتملة على إقناع العقل ، واستمالة الوجدان ، وإثارة النفس ، وهذا حق أيضا .

لكن التعريفين يقصران الخطابة على جانب التطبيق الخطابى ذلك أن أى علم يشتمل على المواد الأولية للمكونات الذاتية للمعرفة الخاصـــة بـــه ، كمـــا يشتمل على صياغة هذه المواد فى قوالب معينة .

ويراد بالمواد الأولية أسس العلم ،ويراد بالصياغة فنية التطبيق لهذا العلم.

وبملاحظة هذين الجانبين فى العلم يمكن القول أن تعريفـــات المحـــدثين تنطبق على الجانب الفنى للخطابة ، أما أسس العلم وقواعده فقد سكتت عنـــه ، وهذا قصور . يجعل الخطابة فطرة ، ومهارة عملية ... ويحرمها من وضعيتها العلمية التي جعلتها علما أساسيا له قواعده وموضوعة وهدفه .

صحيح أن التطبيق الصحيح ينبنى على القواعد والأسس الصحيحة ، لكن الأولى أن يكون التّعريف مشتملا على الجانبين ، لأن الخطابة الفطرية تتضمن الفن فقط مع الجهل بالأسس والقواعد .

وأيضا فإن تعريف الخطابة بالخطاب تعريف للشئ بنفسه وهذا لا يجوز ، ولهذا سأحاول أن أضع تعريفا لعلم الخطابة شاملا لكل أجزاء العلم مميزا لـــه عن كل ما عداه مشتملا على الجانبين العلمى و العملى سائلا الله أن يوفقنى فما قصدت إلا الصواب ، والله يهدى إلى سواء السبيل .

١- فن الخطابة صـــ٩ ، والدكتور الحوفى كان أستاذا للأدب والبلاغة في كلية دار العلوم .

٢- البلاغة والأدب جـــ٢ صـــ٩١

تعريف علم الخطابة اصطلاحا :

الخطابة هى : **علم يقتدر بتطبيق قواعده على تمكين شخص عالم به من مشافهة المستمعين ومواجهتهم بألوان متعددة من فنون القول لمحاولة التأثير فيهم ، وإقناعهم وترغيبهم بأمر ما ، وتنشيط الحركة بينهم .**

وهذا التعريف للخطابة يتضمن المسائل التالية :

أولا : بيان أن الخطابة علم كسائر العلوم لـــه موضـــوعه ، وقواعــده ، وأهدافه كما هو الشأن في سائر العلوم ...

ومن المعلوم أن علم الخطابة ليس علما جديدا مستحدثا ، بـــل إنـــه لازم البشرية من أول وجودها ، لأن الإنسان في بدايته وجد نفسه مضطرا للتعبيـــر الصوتى عن مشاكله وقضاياه ، وخاطب الناس بها . فبـــرز خطيبـــا بـــصورة تلقائية ، ونحن نعلم أن عديدا من الناس كانت له قضية اضطروا لعرضها على الغير فى صورة خطبة يلقونها على مسامع الآخرين ، بصورة عفوية ...

وبالنسبة لتدوين العلوم كانت الخطابة قديمة أيضا ، لأنها دونت علما منذ نشأت الفلسفة فى بلاد الإغريق .

ثانيـــا : يعتمد علم الخطابة على مجموعة من القواعد والمبادئ التى يمثل وجودها قوة دافعة لإيجاد الخطبة فى عالم الواقع ، فليس وجود القواعد وجودا للخطبة ، وإنما الخطبة هى مشافهة الناس على أساس هذه القواعد والمبادئ .

وقواعد هذا العلم متنوعة منها ما يتعلق بالكلمة ، واختيارها ، وإعدادها ، ومنها ما يتعلق بالمتكلم وفطرته ، واستعداده ، ومنها ما يتعلق بالمستمعين ،وما يتأثرون به ،وما يؤثر فيهم ،ومنها ما يتصل بوسيلة الخطابة وطرقها ، وهكذا .

ثالثا : تتضمن الخطبة على عدد من فنون القول ، فبعضها يكـــون نثـــرا أدبيا وبعضها يكون أسلوبا علميا ، وبعضها يكون شعرا ، وبعضها يكون قصة وبعضها يكون خبرا أو إنشاء ... وهكذا تتنوع الفنون بشرط أن تتلاقـــى مـــع اختلافها حول الموضوع المعين للخطبة ، ليساهم كل منها فى عملية الإقنـــاع ، والاستمالة ، والتوجيه.

رابعا : تتحدد الخطابة فى المقالة المعدة على نحـو خـاص ، الموجهـة مباشرة للناس يلقيها الخطيب على جمع من المستمعين ، وليس منها الندوة التى يتحدث فيها أكثر من شخص ، وليس منها المحاضرة إذ يسمح فيها بـالحوار ، والسؤال والتعليق ... وهكذا

خامسا : تهدف الخطابة إلى التأثير فى المستمعين ، وتحـاول تـوجيههم نحو موضوع مقصود ... وهى بذلك تخاطب العقـل ، وتنـاجى الوجـدان ، وترضى العواطف ، وهى فى بعض أهدافها قد تلتقى مع بعض فنـون الكلمـة المكتوبة أو المنطوقة لكنها تتميز بتوجيهها إلى العقل ، والعواطف والوجـدان فى الموضوع الواحد ، وفى وقت واحد .

سادسا : ترتبط الخطبة بالإلقاء الشفهى ، ولذلك فإن سائر ألوان الكتابة لا يعد خطبة ، إلا إذا تحولت إلى كلمات مسموعة يوجهها شخص ما لجمهور من المستمعين .

ولأهمية الخطابة كان لها الدور الرئيسى في صدور الإسلام،حيث خطب النبى ﷺ في يوم الجهر بالدعوة،وكان يخطب في الوفود القادمة،وفى الجيـوش الداهبة ، وكان عليه السلام يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبـه تجـاه إخوانه وتجاه غيرهم،يدعوهم إلى الخير،ويأمرهم بالمعروف.ويناهم عن المنكر.

وقد درج العلماء على تسمية الخطابة الدينية بالوعظ وتسمية القائمين بهـا بالوعاظ ؛ وهذا تضييق لواسع ، لأن الدين يشمل سائر جوانب الحياة ، وكافـة أمور الآخرة ، وكل ما تتخيل الخطب فيه من تجارة ، وزراعة ، وصـناعة، وسياسة . وتعلم ، وحرب . هو من أساسيات الدين ولوازمه .

صحيح أن الدعاة إلى الله اليوم هم الأئمة والوعاظ الذين يباشرون بخطبهم جانبا من الدين يكاد ينحصر في باب الأخلاقيات ، أو في تعليم بعض أصـول العبادات والتشريعات ، وابتعدوا عن أنواع كثيرة مـن الخطـب القـضائية ، والسياسية والعسكرية . وتركوها للمحامين والزعماء والعسكريين ، وقد يكون

هذا سر تسمية الخطابة الدينية بالوعظ ، إلا أن هذا ليس أصلا علميا ، وإنمـــا مسمى لا حقيقة له .

إن أول خطبة خطبها النبى ﷺ كانت بصفته رائدا حيث قال عليه السلام : " **إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم . والله الذي لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولنبعــثن كمـــا تـــستيقظون ، ولنجزون بالإحسان إحسانا ، وبالشر شرا ، وأنها للجنة أبدا أو النار أبـــدا ، وأنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شـــديد**[١]" وواجب أن يتبوأ الخطيب مكـــان الريادة دائما ، ويخوض كافة المجالات باسم الدين ، ليرهم عن حقيقـــة عمـــوم الإسلام وشموله .

إن من ينظر في هذه الخطبة . وفى غيرها كخطبة الوداع مـــثلا يـــرى الجوانب الكثيرة ، والشمول الواضح للخطابة الدينية ، مما يجعلنا نرى ضرورة شمولها للوعظ وغيره .

وعلى الجملة فإن الخطابة ضرورية للدعوة ، وما أجدرنا أن نقوم بهـــا ، ونعد لها رجالا قادرين على أدائها ، وأن نخلص النية لله ، ونقصد نشر الخيـــر لأمتنا وللإنسانية كلها .

لقد تغير الزمان ويبدو أنه أثر في نفسية الناس ، فبعدوا عن التعليم الدينى وتركوا شرائع الله لدرجة أن أعمالهم وسلوكهم صارت غريبة كل الغرابة عـــن العهد الناصع للإسلام .

إن شعبنا يريد أن يجدد نفسه على أساس " العلم والإيمان " وهما معا من دعوة الله التي ننادى بوجوب نشرها ، وتطبيق تعاليمها .

وللخطابة دورها الهام في حركة التجديد . ويجب أن تتبوأه .

والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة . وقاطع الحجة . وساطع البرهان . أن يصحح القلوب ، وينبه العقول . ويطهر النفوس

---

١ - تاريخ الخطابة صـ ٤١

حتى ترجع عن غيها . وتعود إلى الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال . وتعيش بنور العلم وحلاوة الإيمان .

❖ ❖ ❖

إن علم الخطابة له ذاتيته الخاصة التى يتميز بها عن غيره من العلـوم ، وهو من العلوم التى تحتاج إلى الممارسة الطويلة ، والتدريب المستمر ، ولا يكفى فيه العلم المجرد بالقواعد ، كما أنه يحتاج إلى فطرة مستعدة وقوة شخصية معينة .

ومن هنا كان اجتماع الفطرة الخطابية مع العلم بالقواعد العلمية ، ومصاحبة الخبرة التطبيقية من أعظم المناهج لتخريج خطباء أكفاء يملكون تنفيذ ما يوكل إليهم على وجه سديد .

إن الخطابة علم ينير لدراسة الطريق ولا يحمله على السلوك . هو يعطى المصباح . ولا يضمن لحامله أن يرى لجواز أن بعينه رمدا . وهو في هذا كسائر العلوم فليس كل متعلم للنحو ينطق بالفصحى . ومتعلم المنطق قد لا يعصم ذهنه عن الخطأ ــ وهكذا سائر العلوم النظرية . تعطى القانون فقط ولا يتمكن من التطبيق إلا من راض نفسه على قانون العلم وقواعده . يقول ابن رشد : وليس عمل هذا العلم " الخطابة " أن يقنع ولا بد . بل عمله أن يعرف جميع المقنعات في الشئ ويأتى بها في ذلك وإن لم يقع إقناع[١] .

❖ ❖ ❖

١– تلخيص الخطابة صـ ١٣ . ويلاحظ أن ابن رشد يطلق على العلم اسم الصناعة دائما .

المبحث الثانى

أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية واجبة التبليغ ، لأنها نزلت من عند الخالق سبحانه وتعالى لإصلاح الحياة والأحياء بالمنهج الإلهى القويم .

والمنهج في حد ذاته لابد أن يكون واضح المعالم ، معلوما في حركته ، وغايته ، وتناسقه . وتكامله ، وقد حقق الله تعالى لمنهجية الدعوة هذه الحقائق ... إلا أن المنهج يحتاج بعد ذلك إلى من يفهمه ، ويؤمن به ، ويخلص له ، ويوصله إلى الغاية التى تحقق هدفه ، من حيث الذيوع والانتشار ، والإيمان ... وهكذا ... وبدون ذلك يبقى المنهج مستورا فى طيات الكتب ، وفى ثنايا صفحات التراث .

إن الدعوة إلى الإسلام منهج دقيق ، يهدف إلى نشر الإسلام ، وإيصاله إلى الناس جميعا فى كل زمان ومكان .

والإسلام مجموعة من التعاليم الإلهية ، المشتملة على عدد من المفاهيم ، القابلة للتطبيق العملى ، المنتظمة فى أفعال ، وأقوال ، وأحوال ، محققة بذلك سعادة الناس فى الدنيا والآخرة .

وبهذا الفهم المجمل للإسلام ندرك أنه لا يتحرك بذاته شأنه شأن أى فكرة ولكنه يحتاج إلى من يؤمن به ، ويدرك أهميته ، وحاجة الناس إليه ، ويعمل على أن يكون داعية له ، يحمله إلى من يستطيع من الناس ، وبذلك يتحقق للإسلام ما أراد الله له من الانتشار والذيوع .

وليس كل إنسان مؤمن بالإسلام قادرا على تبليغه بالصورة الواجبة ، وفى إطار الشروط التى تجعل البلاغ عملية تربوية سليمة ، تبين المفهوم الصحيح للإسلام ، وتوضح منهج التطبيق فى أناة ، وتجعل الناس يقبلون أو يعرضون بعد معرفة دقيقة للإسلام ، وفهم صحيح لدين الله تعالى .

ومن هنا كانت ضرورة الدعاة للقيام بعملية الدعوة إلى دين الله تعـالى ، وهذه الضرورة مسئولية الأمة المسلمة (أفراد أو جماعات) كل على قدر طاقته وعلى الأمة أن تختار من بنيها من يتمتع بالاستعداد الفطرية لعمليـة الـدعوة وتصقل هذه الفطرة ، وتنميها بالعلم ،والمعرفة ،والثقافة ،وبخاصة أن المعارف المعاصرة قدمت العديد المفيد فى مجال التوجيه ،والتثقيف ،والتربية ،والقيادة .

وبدون هؤلاء الدعاة تبقى الدعوة (الإسلام) كامنة فى مصادرها ، بعيدة عن مجالها ، وحينئذ يصير للناس عذر فى عدم إسلامهم ، يجيبون به الله حين يسألهم عن عدم إسلامهم قائلين له ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [1] .

لقد أرسل الله تعالى محمدا ﷺ للناس وقال له سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [2] .

وأنبأه سبحانه بحمل رسالته ، وحصر وظيفته ﷺ معها فى الدعوة والتبليغ فقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ [3] . وقال سبحانه ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [4] وبذلك وضحت أهمية الرسالة ، والرسول .

وقد قام النبى ﷺ بوظيفته خير قيام ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وبذل كل ما أمكنه ليصل الإسلام صافيا نقيا واضحا لسائر الناس .

وقد استن رسول الله ﷺ سنة حسنة فى عملية تبليغ الإسلام فكان يتخير من

١- سورة طه الآية ١٣٤

٢- سورة الأحزاب الآية ٤٦

٣- سورة المائدة الآية ٦٧

٤- سورة النور الآية ٥٤

أصحابه من يقدر على التبليغ والدعوة ، ويكلفه بحمل الإسلام إلى مجموعة من الناس ، ويعلمهم ما نزل من القرآن ويفقههم فى دين الله تعالى ، وبهذه السنة الحسنة وصل الإسلام إلى النسوة فى بيوتهن ، وإلى القبائل فى ديارهم ، وإلى الأمراء والخاصة فى أماكنهم ،ووصل إلى المدينة بواسطة مصعب بن عمير ﷺ وإلى اليمن بواسطة معاذ بن جبل ﷺ ، وهذه السنة تشير إلى تكاتف كل أفراد الأمة فى تحمل الأمانة ، ورعاية مسئولية الدعوة إلى الله تعالى .

وقد استفاد الرسول ﷺ من كل وسيلة ممكنة لتبليغ الإسلام ، ودعوة الناس إلى دين الله تعالى .

فدعا الناس أفرادا ، كل فرد على حدة ، يتخيره دون سواه لما يرى فيه من هدوء الطبع ، ودقة النظر ،والتدبر فيما يرى ويسمع،وحبه للصواب والمفيد.

ودعا ﷺ الناس بعد أن جمعهم فى عدد قليل ، بينه وبينهم معرفة ، وقد فعل ذلك يوم أن جمع أعمامه وعماته وأولمهم ثم دعاهم إلى الدين الحنيف .

ودعا ﷺ باستقبال الوفود المرسلة من القبائل والدول ليفصحوا الأمر ، ويقفوا على حقيقة الدعوة الجديدة فكان ﷺ يكرمهم ، ويسمع لهم ، ويسمعهم ، ويرجع إسلام أغلب القبائل العربية إلى هذه الوسيلة .

ودعا ﷺ بإرسال الكتب والرسائل إلى رؤساء الناس يدعوهم ومن خلفهم إلى الدخول فى الإسلام .

ودعا ﷺ بإرسال الدعاة إلى الأماكن البعيدة للبلاغ والدعوة ، وكان ﷺ يدور بنفسه على بيوت القوم ، وأماكن إقامة القبائل فى منى وعرفة ومزدلفة حين يأتونها فى مواسم الحج ، وفى زمن إقامة الأسواق .

وكثيرا ما خطب رسول الله ﷺ الناس ، ودعاهم إلى الله بالكلمة الطيبة ، والبلاغة المؤثرة ، والبيان الموضح فلما فرضت الصلاة ، وشرعت الجمعة ، صار أمرا واجبا إن تشتمل الخطبة على الدعوة،وأصبحت الخطبة الدينية إحدى وسائل البلاغ والدعوة .

إن هذه الطرق النبوية فى الدعوة تعليم للأمة ، ليأخذوا منها ويسيروا على

هداها ، وليعلموا أن واجب تبليغ الإسلام والدعوة إليه حقيقة مستمرة إلى يـــوم القيامة ، وعامة لكل الناس ، أينما كانوا ، وفى كل زمان كانوا .

وفى القرآن الكريم آيات واضحة توجب الحركة بالدعوة ، وتلزم المسلمين بها ، وهذه بعض منها :

يقول الله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[3] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾[4] .

والآيات كثيرة وهى فى مجملها تبين بوضوح :

- الدعوة إلى دين الله تعالى فريضة واجبة لابد منها لتحقيــق الفـــلاح والهداية .

١- سورة آل عمران الآية ١٠٤

٢- سورة النحل الآية ١٢٥

٣- سورة التوبة الآية ١٢٢

٤- سورة الأنعام الآية ١٩

- العلم بمنهجية الدعوة وخطوطها العامة مهم لنجاح الدعاة في تبليغ الإسلام.
- وضوح موضوع الدعوة فكرا ووسيلة من أساسيات الحركة الدعوية لأن الجهل بذلك يحرم الناس من فوائد الدعوة .
- مواصفات الداعية القائم بهذا الواجب تشمل الجوانب الإيمانية ، والنفسية والعلمية والاجتماعية حتى يتمكن من التعامل مع المدعوين ، ويحقق لدعوته الانتشار المطلوب .
- مسئولية الأمة جميعا تجاه دين الله تعالى فريضة ملزمة وبخاصة في العصر الحديث الذي تنوعت فيه الثقافات وتعدد الصراع والتسابق .

إن الأمة المسلمة هي أمة الخير ، به تتصف ،وعليه تعيش ، ونه تعمل ، وعلى قيمه تنشئ بنيها وتربيهم ، ولذا يكون الحق فيها أقوى من الباطل ، والعدل أعلى من الظلم والجوانب الإنسانية الراقية أظهر ، وأدوم ، وأكثر قبولا وتقديرا من أى شئ سواها .

إنها باختصار هى أمة داعية وآمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، وهى المسئولة عن الدعوة إلى الإسلام ، وفى إطار مسئوليتها تهيئ جماعة الدعاة ، وترعاهم ، وتعلمهم ، وتدربهم على فنون الدعوة ومخاطبة الناس .

والخروج للدعوة جهاد فى سبيل الله بالكلمة تحتاج لأناس ملأ حب الإسلام قلوبهم ، وفقهوا تعاليمه وتوجيهاته وتحملوا المشاق فى سبيل علو شأنه ، وسطوع أنواره ... هؤلاء الذين علموا وعملوا هم أولى الناس بفقهه ، والدعوة له ، لأنهم بتقواهم يعلمهم الله ، وبإخلاصهم فى العمل تتضح أمامهم الأسرار ، والخبايا ، وبحبهم للدعوة تتولد فيهم طاقة ربانية تهديهم إلى الحق ، وتفتح أمامهم مغاليق القلوب والعواطف .

والدعاة إلى الله الصادقون ، موضوعهم نشر الخير كله ، بين أفراد أمتهم ، وعند غير أمتهم ، والخير كله هو الإسلام بمنهجه المتميز بعقيدته الصافية ، وشريعته المنتظمه المفصلة ، وأخلاقة الكريمة الراقية ، وهذا المنهج لا ينتج

حين يطبق إلا الخير والمصلحة لمن يطبقه فردا أو جماعة ، وتطبيق الإسـلام أمر ميسر لمن يقبل عليه حيث أن الله أنزل دينه محددا فى قوالب عملية ميسرة التطبيق ، تجمع بين مثالية الخير وواقعية الإنسان .

والدعاة وهم ينشدون هذا الموضوع يتجهون إليه فى إطار منهج معين ، فعليهم التزام الحكمة فى حركتهم ومقالتهم ، واتصالاتهم ، وسائر أعمالهم ولا تعنى الحكمة معهم إلا الهدوء ، والنظام ، والدقة ، والخلق ، والتخطيط بعيدا عن المغالاة أو التقصير ، نائين بسلوكهم عن السوء والعدوان ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[١] .

والموعظة والجدل فى إطار الحسن دائما ، وهذا يعنى التزام الخلق الكريم البادى فى كلمة راقية ، أو توجيه سديد أو حوار هادف مفيد .

إن طرق الدعوة ووسائلها فى إطار هذا المنهج مع تعـددها وتنوعهـا لا تكون إلا خيرا ... تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتحبب النـاس فـى الإيمان ، وتأخذهم إلى الله فى قناعة ورضى .

ورسول الله ﷺ هو قدوة المسلمين والدعاة فى الإيمان وفى التطبيق العملى وفى الدعوة إلى الإسلام ، منهجـا وحركة وأسلوبا وتلك كلها جوانب حية فى الأمة التي اصطفاها الله تعالى بوحيه ، وجعل فيهم رسوله ﷺ . يقول الله تعالى ﴿ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾[٢] .

إن طرق الدعوة عديدة ، وقد أضفى عليهـا العـصر الحـديث بمعارفـه ومخترعاته الكثيرة وهى فرصة أمام المسلمين ليضاعفوا الجهود لخدمة ديـنهم مستفيدين من مستجدات العصر وعلومه فى إطار الخيرية الإسـلامية وتحـت مظلة المنهج الإسلامى الصحيح .

وهنا ننظر إلى كافة الطرق والوسائل الممكنة فى الدعوة لنعلـم حقيقتهـا

١- سورة البقرة الآية ٢٦٩

٢- سورة آل عمران الآية ١٠١

وجدواها ونعرف أيها أكثر نفعا وإرشادا ، وأيها أنسب للموقف والشخص والوقت لتصل الدعوة لغايتها ، وتحقق الهدف منها .

ومع النظر والتفحص تعلو الخطابة ، وتبقى أسلوبا مفيدا للدعوة أكثر من أى أسلوب آخر ، وتستمر شاهدة على أهميتها وخطورتها في التأثير والفائدة ، وهذا يدعونا إلى الاهتمام بها .

إن الإنسان يسيره وجدانه أكثر مما يسيره فكره ،والفرد مع الآخرين ينسى خواصه الفكرية . ومواهبه الأصيلة،ويندرج في وجدان الجماعة . يقول لوبون: " **وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الأمور التي مرجعها إلى الوجدان . كالدين . والأدب . والميل . والنفور . وهكذا إلا نادرا** "[١] وليس هناك من هو أجدر من الخطبة في استمالة الوجدان ، وتهييج الشعور ، وتحقيق الإنفعال المؤدى إلى الإندفاع والعمل .

والفرد الذي يسيره العقل وحده . لا تغفله الخطابة الدينية ، لأنها قائمة على الحق بعيدة عن التغرير . تستعمل الأدلة البرهانية ، والأدلة الظنية حتى تصل إلى أعلى درجات اليقين .

إن ارتباط الخطابة بالعاطفة الدينية دافع إلى الاهتمام والمتابعة ، وأيضا فإن وجود الأمية ، وكثرة الأعمال وضيق الوقت دوافع رئيسية إلى ضرورة الخطابة . لأنها تخاطب الأمى على قدر طاقته ، تقرب له البعيد ، وتذلل أمامه الصعب ، وتوجز الزمن لمن لا يجده من أصحاب الأعمال ، وتركز المعانى الكثيرة في كلمات قليلة وتقدمها لمن تزحمه مشاغل الحياة .

إن الأسس العلمية للخطبة تشمل كافة جوانبها من ناحية اختيار الموضوع المناسب ، وتحديد الفكرة بدقة ، ووضع هذه الفكرة فى قوالب بيانية بليغة ، وتأييدها بالبراهين السهلة المقنعة التى يعيشها الناس ، ولا يجادلون فى شأنها مع الاستفادة بكل الوسائل ، والطرق التي تساعد على تواصل المستمعين مع الحديث .

١-روح الاجتماع صـ٣

هذه الأسس العملية والعلمية يحتاجها الدعاة فـــي مقـــولاتهم المتنوعـــة ، وكلماتهم العديدة ، ولذلك كان عملهم بالخطابة ، دعامـــة لهـــم فـــي حـــركتهم للإسلام.

إن الإلقاء بما فيه من أناة وهدوء ، وخفض ورفع للصوت عند الحاجة ، والتعبير بالصوت استفهاما ، وتعجبا وسرورا ، وحزنا فـــن يحتـــاج للـــدرس والبحث لأهميته في قيام الخطيب بدوره ...

هذه كلها أمور يحتاجها أى متحدث موجه فى أى موضوع يكون توجيهه.

والخطابة أسلوب للدعوة يوجز للناس المعارف المطلوبة ، وييـــسر لهـــم الحصول عليها بلا عناء ، والإنسان المشغول بأعباء الحياة ، ورجل الأعمـــال المنهمك فى عمله ، والموظف وأهل التخصصات المختلفة يجدون فى الخطبـــة الفكرة موجزة ، دقيقة ، مؤيدة بأدلتها ، يأخذونها فى وقت قصير ، تغنيهم عن قراءة كتاب ، أو الرجوع لعدد من المصادر لو أرادوها بأنفسهم .

والخطابة تتجه إلى جميع الناس ، إذ نراها تخاطب العالم المتخـــصص ، والشخص العادى والمثقف البسيط ، كبارا أم صغارا ، رجالا أم نساء ، ســـادة أم عبيدا ، أغنياء أم فقراء ، ولعل ما يساعد الخطابة على هذا ما تراه معها من تنوع الأسلوب ، وتعدد الأدلة ، وتلوين الخطاب والتوجيه .

والخطابة الدينية هى أساس الخطابة ودعامتها ، وهى الهدف الرئيسي لهذه الدارسة ، وهى أقوى الأساليب الدعوية وأكثرها فائدة ، لأنها تقدم للناس فى أطر منتظمة ، وبصورة دورية ، ويأتيها المستمعون طائعين لنداء الله رب العالمين وهو يقول لهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[١] .

إن الاستماع لخطبة الجمعة عبادة ، ولا يجوز لمستمعها أن يـــتكلم ولـــو كانت الكلمة نصيحة لصاحبه ، يقول النبى ﷺ " **إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب**

١- سورة الجمعة الآية ٩

يوم الجمعة أنصت فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له "[١] .

فى هذا الجو الدينى تكون الخطبة ، ويكون النفع .

فالمستمع مصل مسلم جاء يعبد ربه ساعيا لسماع الخطبة ، طاردا عـن نفسه كل شواغل الدنيا ، يجاهد نفسه ليفهم ما يسمع ، ويعى ما يقال .

والخطيب إمام داعية يعى جيدا رسالته ، ويعد خطبته إعدادا جيدا وفـق الأصول الفنية ، وتبعا للمبادئ الشرعية وبذا تتم الفائدة وتكون خطبة الجمعـة كما أريد منها فى مجال الدعوة .

إن الخطيب فى مسجده يقدم كل أسبوع موضوعا دينيا كاملا ، يخدمـه بعمله ، ويأخذه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبذا يقدم الإسلام مـن خـلال الخطابة .

إن العام يتكون من اثنين وخمسين أسبوعا فلو تصورنا داعية يتقن خطبته ويقدم من خلالها الإسلام ، فإنه بذلك يعد جامعة متخصصة فى تفهيم الإسلام ، وتعليمه لكافة الناس ، إنه فى عام واحد يدرس هذه الموضوعات العديدة ، فمـا بالك بعشرات السنين والأعوام .

ولو تصورنا مسلما يقبل على المسجد كما هو الواجب ، ويتقن ما يـسمع فإنه سوف يتلقى من المعارف الإسلامية ، وعلوم الدين أكثر مما يتلقاه طالـب الجامعة المتخصص مهما كان مستواه .

إن الخطبة الدينية جامعة ضخمة خرجت الأجيال الإسلامية العديدة منـذ العصور الأولى ، ويكفى أن نعلم أن السلف الصالح تعلموا الإسلام من المسجد وفهموا القيام بالمسئولية من خلاله فقدموا الإسلام صافيا للناس .. وآمن الناس بالله واتجهوا إلى المسجد يعبدون ويتعلمون ، ففهموا الإسلام .

إن الخطبة الدينية حركة معرفية رائعة ، ولذلك كانت محل اهتمام رسول الله ﷺ واهتم بها أصحابه ﷺ ويجب أن تكون محل اهتمام المسلمين فى العصر الحديث .

١- فيض القدير . شرح الجامع الصغير جـ١ صـ٤١٨

والخطيب الداعية يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة ، وقاطع الحجة وساطع البرهان ، أن ينبه العقول ، ويفتح القلوب ، ويطهر النفوس ، ويأخذ الناس بعيدا عن متاهات المماراة ، وغياهب الظلمات ، وينفرهم من مزاعم الأعداء ، ووساوس الشياطين ، والله لهؤلاء القوم خير معين .

المبحث الثالث

علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى

تتماسك العلوم الإنسانية ، وتترابط لتحقيق هدف عام وهو إفادة الإنسان والترقى به . ولذلك يستفيد كل منها بغيره ، والخطابة في مقدمه العلـــوم التـــي تحتاج إلى غيرها من العلوم ، لأن هدفها الإقناع والاستمالة ، ولا تسنطيع ذلك إلا إذا أحاطت بالأدلة وأنواعها . والبشر ونفوسهم ، والمجتمع وطريقة تغييره ، ولهذه الصلة الوثيقة بين الخطابة والعلوم قال ابن رشد : " إن كل صناعة إنمـــا هي معلمة أى مبرهنة ومقنعة في الجنس الذي تنظر فيه لا في جميع الأجناس ، وأما الخطابة فهى تتكلف الاقناع في جميع الأشياء ، وفى أى مقولـــة كانـــت ، وأى جنس كان ، ولذلك لا تنسب الخطابة إلى جنس خاص[١] أو جانـــب مـــا . ورأى ابن رشد يشير إلى أن الخطابة تكون في سائر المجالات وجميع الأنشطة الإنسانية " ، وإنما كان لها موضوعها الخاص لأنها تضع قواعد تنظيم القول ، وتحدد عوامل تأثير القائل ، ومراعاة خصائص المستمعين . أيا كان القـــول أو كان قائله ، أو كان مستمعوه .

وسوف نذكر هنا العلاقة بين الخطابة وأهم العلوم الإنسانية .

أولا : علاقة علم الخطابة بعلم الاجتماع

اتسع نطاق علم الاجتماع العام وأصبح يتناول فروعا كثيـــرة ، صـــارت علوما اجتماعية خاصة ، وهى دائما في زيادة ، ومنها :

أ – علم دراسة بيئة المجتمع ، وقيام القرى ، والمدن ، ووظائفها .

ب – علم الإنسان من حيث أصوله البشرية ، وتفاعله مع المجتمع وانقسامه إلى بيئات مختلفة ، وقبائل متعددة .

١– تلخيص الخطابة صـــ١٦ .

ج – علم السكان وهو علم يدرس تركيب السكان ، والكثافة ، والهجرة ، والمواليد ، والوفيات .

د – علم الاجتماع الثقافى وهو علم يدرس الثقافات ، ومدى انتشارها ، وتخلفها . والصراع فيما بينها .

ه – وهناك علوم أخرى كعلم الاجتماع الأسرى ، والاقتصادى ، والسياسى ، والتربوى ، واللغوى ، والدينى ، والأخلاقى ، والجمالى ، والعمالى ، والعسكرى ، والنسوى ... ألخ وكل منها يدرس الظواهر ، والنظم التي تقع في مجاله .

والظاهرة الاجتماعية هي أساليب وقوالب التفكير والعمل الانسانى التي يزاولها الأفراد ويصبون فيها أعمالهم في كل مجالات حياتهم الاجتماعية . ولا تكون ظاهرة إلا بعمومها ، وشمولها .

وتتميز الظاهرة بأنها عامة ، ومترابطة ، وملزمة ، ومستقلة ، ومصدرها العقل الجمعى لا الفردى .

وعلم الاجتماع بفروعه المختلفة يهتم بالظواهر التي توجد في المجتمع على تنوعها ، ويدرسها دراسة نظرية وعملية . بمعنى أنه يدرس الحقائق المحيطة بنشأة الظاهرة وتطورها وأنماطها ويدرس العلاقة بين سائر الظواهر . واكتشاف وظائفها . والقوانين الاجتماعية التي تحكمها ، وذلك لينتفع بهذه القوانين في عملية الارتقاء بأحوال المجتمعات . وحل مشكلاتها . وتحسين مستويات الجنس الإنسانى بصفة عامة .

إن العمليات الاجتماعية تتفاعل فيما بينها توافقا أو تنافرا وتحدث في مجتمعنا ظواهر جديدة مؤثرة .

ولما كان علم الاجتماع هكذا فإننا نرى حاجة علم الخطابة إليه ، لأن الخطبة الجيدة هي تلك التي تهتم بالواقع ، وتتناول ظاهرة موجودة لها أهميتها في الناس ، وتحتاج إلى إصلاح وعلاج . والخطبة لا تستطيع العلاج الناجح إلا

إذا ألمت بكل ما قدمه علم الاجتماع في شأن هذه الظاهرة مـــن البدايـــة إلـــى النهاية.

إن دراسة البنيان الاجتماعى والعمليات الاجتماعية ، والتنشئة الاجتماعية والتغيير الاجتماعى . من الضرورات الهامة للخطيب . لأنها هي التي تمكنـــه من الإحاطة بواقعية المجتمع الذي يخاطبه ، ومن ثم يقدم الدواء الملائم للقضية التي يتناولها .

يقول الفارابى : " **إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته ، وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخ طباع الناس ، وتلون أخلاقهم . وتباين أحوالهم** "[1] .

ويقول أفلاطون : **لكل أمر حقيقة ، ولكل زمان طريقة ، ولكـــل إنـــسان خليقة فعامل الناس على خلائقهم ، والتمس من الأمور حقائقها ، وأجر مـــع الزمان على طرائقه**[2] .

وهذا يدل على تأكيد الصلة بين علم الاجتماع وعلم الخطابة ، وضرورة الاستفادة بقوانين الاجتماع في الخطابة ، بل أن الدراسة الميدانية الحديثة لعلـــم الاجتماع تحتاج إلى الخطابة أيضا .

إن التوعية الاجتماعية تعترف بدور الخطابة الرئيسى في مجال التوعية ، وبخاصة في المجتمعات التي تشيع فيها الأمية ، حيث لا يستطيع الناس قـــراءة الكتب ، أو الصحف ، أو النشرات التي تستهدف التوعيـــة ، وينـــادى علمـــاء الاجتماع بضرورة الاستفادة بدور العبادة في التوعية لأن الناس يـــأتون إليهـــا طواعية . وبشكل منظم ، بخلاف الحال إذا وجهت إليهم دعوة للحـــضور فـــي مكان عام فإنهم لا يأتون إلا نادرا ، وأيضا فإن طاعة الناس لما يسمعونه مـــن إمام المسجد وخطيبه سهلة لتأييدها بالأدلة الشرعية ، ووضعها فـــي الإطـــار الإيمانى ، بخلاف ما يأتيه من غير هذا الطريق فإنه يثير التساؤل ، والنقاش ، ولا تتحقق الاستجابة إلا بعد تردد طويل ...

١- تلخيص أصول الخطابة صـــ١٨ .

٢- المصدر السابق صـــ١٩

ثانيا : علاقة علم الخطابة بعلم النفس

يهتم علم النفس بدراسة الجانب الباطنى في الإنسان ، فيعرف بالغرائز ، والدوافع ، ورد الفعل ، وطرق الترقى بالخلق ، والسلوك ، والتسامى في الفكر والعمل ، ابتداء من الضمير والقلب ، لأن الإنسان يقاد من داخله في الحقيقة ، ولا يعمل شيئا بإخلاص إلا إذا اقتنع به عقله ، ورضيت به نفسه . ومادامت الخطابة تهدف إلى التأثير في الناس لحملهم على ما يراد . فيجب على القائم بها لكى يحقق هدفه . أن يعرف كيف يصل إلى قلوب الناس ، ويؤثر فيهم ، ويحملهم على الانقياد له . ولن يستطيع أن يصل إلى هذا إلا بعد دراسة نفسية الجمهور الذي يخاطبه . ومعرفة خصائصه ، وعناصر تكوينه ، والعوامل التي تؤثر فيه . والدوافع التي تحركه ، وتلك كلها من موضوعات علم النفس .

إن الإنسان يحركة وجدانه ، خاصة وهو في جماعة ، فلو فهمت دوافع نفسه . ومصدر سلوكه . لتمكن الخطيب بسهولة من الوصول إلى وجدانه ومصدر انفعالاته ، واستطاع حينئذ أن يعلو بالغرائز ، وأن يغير أنماط السلوك إلى ما هو أفضل ، وأن يقود الجماعة إلى ما يريد .

وحين يتمكن الخطيب من مخاطبة النفسية البشرية ، والوصول إلى أغوارها تعتبر عملية التغيير سهلة وممكنة .

وعلى الخطيب أن يعرف أن الجماعة تنقاد بالاستمالة كما تقاد بالإقناع ، وواجب عليه أن يركز على الغرائز البشرية ويخاطبها بالطريقة التي تصلحها ولذلك لزمه الإحاطة بعلم النفس بسائر فروعه .

ثالثا : صلة علم الخطابة بعلم المنطق :

لا تخلو الخطابة من المنطق أبدا ، فهى تعتمد على تصورات ، وتصديقات ، وأدلة ، وبراهين ، ففيها القياس بأنواعه ، وفيها قواعد الجدل ، والبرهان ، والحد ، والرسم . وهذا ما حدا بالأقدمين من علماء الإغريق والعرب أن يجعلوا الخطابة جزءا من المنطق .

وبعد استقلال الخطابة عن المنطق نراها تستخدم المنطق حين أدائها لدورها ، حتى اشتهر في الخطبة القياس الخطابى ، والقصص الجدلى . والأقيسة الاضمارية ، وغيرها ، وكل ذلك أخذته الخطبة من المنطق . وصاغته بصورة تلائم مقامها لأنها تسوق القياس بذكر إحدى مقدمتيه مكسوة بالطلاء الجمالى الذي يجعله مقبولا من النفس والعاطفة ، وتحذف الكبرى غالبا مكتفية بالنتيجة التي تتجلى بعد توضيح المقدمات بأساليب مختلفة .

والقصص الجدلى نوع من البراهين المنطقية التي ترد في صورة حوار بين طرفين يقصد كلاهما الانتصار لما يرى ، وينتهى هذا النوع من الجدل بإنتصار الجانب الذي يقصده الخطيب ، وبذلك يصل إلى ما يريد من خلال الجدل المذكور .

والجدل العقلى يرد في شكل حوار بين أشخاص القصة التي يستغلها الخطيب للتأثير والتدليل ويختلف عن النوع السابق في أنه يعيش مع كافة عناصر القصة ، ولا يظهر المقصود بصورة مباشرة ، ولكنه يبدو متخفيا خلال أطراف القصة ، ويصل إلى المقصود في النهاية .

والقياس الإضمارى هو القياس الذي تظهر نتيجته من غير ذكر مقدماته لأنها مفهومة من فحوى الكلام ، ويبنى الخطيب كلامه على تفهيم المقدمات من غير نص عليها ، وكأنه يطلب من المستمع أن يجتهد بعقله لاكتشاف المقدمات المطلوبة .

هـذا

ويجب على الخطيب أن يجعل خطبته متماسكة يأخذ بعضها بحجز بعض وهذا لا يكون إلا بتسلسل الأفكار ، وتتابعها . مع قوة الأسلوب ، وحسن العبارة وجمال الألفاظ .

وهكذا فعلم المنطق خادم لعلم الخطابة لأن المنطق كما يعصم الذهن عن الخطأ في التفكير . يستنبط أيضا ما يرشد الذهن إلى الأخذ بقوانينه . وكل ذلك يخدم الخطابة والخطيب .

رابعا : صلة علم الخطابة بالدراسات الإسلامية

في البيئة الإسلامية ، وعلى ألسنة الدعاة يظهر الارتبـاط الوثيـق بـين الخطابة وسائر المعارف الإسلامية لأن الخطابة حينئذ تتناول قضايا إسلامية . تعرف بها . وتحاول نشرها في المستمعين مستعملة كافة طرق الإقناع والجذب والوضوح . وهذا غير ممكن إلا باللجوء إلى المصادر الإسلامية للاستشهاد بها والاستفادة منها في عملية التأثير .

إن إيراد الآية القرآنية في موضعها . وتفسيرها . وبيان وجه الاعتبار بها وسر الإعجاز فيها ضرورة في المجال الإسلامى . كما أن الحديث النبوى لـه دوره الكبير في هذه العملية التوجيهية الخطيرة . ولذا وجب أن يكون صحيحا مخرجا بعيدا عن الضعف والعلل .

ومن هنا اشترط الفقهاء والعلماء لمن يتصدى للخطبة الدينيـة أن يكـون فاقها لدينه . عالما بمصادره ، فاهما لجملة الدراسات الإسلامية بمختلف أنواعها لدرجة أنهم يمنعون الخطبة تعتمد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة أو التي لا يعرف الخطيب الحكم عليها .

إن الخطيب المسلم يعطى لجمهوره علما ، ودينا ، ويؤمل في التأثير فيهم وتوجيههم إلى الخط الذي يعمل له ، وهذه لا تكون لـه إلا باحاطتـه الدقيقـة بالدراسات الإسلامية وبخاصة في القضايا التي يخطب فيها لأن الظل لا يستقيم والعود أعوج ، وفاقد الشئ لا يعطيه .

ـــ وكيف ينشر الإنسان علما . وهو يجهله ؟!

ـــ وماذا يقول فيه . وهو غير فاهم له ؟!

ـــ وهل يسمعه جمهوره وهو لا يبين ؟!

إن المتأمل للواقع يلمس مدى حاجة الخطيـب فـي المجـال الإسـلامى للمعارف والدراسات الإسلامية المختلفة ، فكم من خطيب رفعه النـاس علـى الأعناق تقديرا له ، وإعجابا به ، وكم من خطيب انصرف عنه الناس لجهلـه بالإسلام ومصادره ، وتخلفه في مختلف الدراسات الإسلامية .

وأهم العلوم الإسلامية التي يحتاج إليها الخطباء :

أ – القرآن الكريم . حفظا للفظه ، وفهما لمعناه ، واستنباطا لعلومه وإحاطه للموضوعات التي أشار إليها .

ب –السنة النبوية رواية ، ودراية مع الإحاطة والمعرفة بجوانبها المختلفة ، والفهم الواعى للسيرة النبوية الشريفة .

ج –الأحكام الفقهية مع معرفة طريقة إستنباطها من مصادر الإسلام .

د – العلم بالتاريخ الإسلامى وأهم التغيرات التي طرأت على المجتمع المسلم وبخاصة في عصر الخلفاء الراشدين ، وزمن السلف الصالح .

ه – العلم بالأديان والمذاهب المعاصرة ودراستها دراسة مقارنة ليتمكن من عرض الإسلام ، والدفاع عنه ، ورد الزيف الذي يتفوه به الأفاكون .

وبهذا يتمكن الخطيب أن يقوم بدوره الإسلامى الصحيح .

خامسا : الخطابة وسائر العلوم الإنسانية

والعلوم الإنسانية عديدة . كعلم الأخلاق . والجمال ، والتاريخ . وغيرها وكلها تدور مع الإنسان . من ناحية ما يجب أن يكون عليه ، أو من ناحية إحساسه تجاه الحسن الجميل ، أو من ناحية علاقته قديما بغيره . وهكذا . ولذلك ترتبط كلها بالخطابة ارتباطا وثيقا .

إن الخطيب الناجح هو الذي يحيط بسائر العلوم الإنسانية ليتمكن بهذه الإحاطة من مخاطبة الإنسان بشكل ناجح ومفيد ، ويقصد الداء وهو يعرف دواءه ، وينادى وهو يعرف كيف يستجاب له ، ويأخذ بالألباب لأنه يناجيها ويجذبها إليه .

إن الإنسان هذا المجهول قد أحاطته دراسات عدة من أجل فهمه ،ومعرفة حقيقة مظهره ومخبره ، ويجب أن توضع هذه الدراسات في خدمة الإنسان نفسه

بعد ذلك .

إن دراسة التاريخ يجب أن تؤدى إلى فهم قوانين الحركة والعمران .

ودراسة علم الأخلاق يجب أن تؤدى إلى أن يتحلى الإنسان بالفضائل . ويبتعد عن الرذائل .

ودراسة علم الجمال يجب أن تملأ حياة الإنسان باللذة والبهجة .

وهكذا يجب أن تؤدى دراسة العلوم الإنسانية إلى هدفها التطبيقى الذي يظهر في الإنسان ولمصلحته .

وعلم الخطابة بعد ذلك كله يستفيد من قوانين سائر العلوم الإنسانية ونتائج دراستها ، ليؤدى دوره بوفاء وقوة .

❖ ❖ ❖

إن التأمل في صلة الخطابة بالعلوم الإسلامية والإنسانية يرى أهمية إحاطة الداعية الخطيب بهذه العلوم لتستمر خاصية انتشار الإسلام بالإقناع والحجة بين المسلمين ، ومع الناس أجمعين .

ومن هنا

فإن الواجب الدينى يحتم الاهتمام بهذا الجانب الذي لا يهتم به كثير من الخطباء ... الأمر الذي انتج فراغا جعل الكثير من الخطباء لا يفيد .

المبحث الرابع

نشأة الخطابة وتطورها

نشأت الخطابة بصورة تلقائية ، ولازمت الإنسان منذ وجوده . معتمدة على الفطرة ، وكان ينميها لدى الإنسان حاجته إليها . بسبب انتشار الأمية . وبعد البلدان . وصعوبة المواصلات ، وبعد ذلك أخذت تنفصل شيئا فشيئا حتى نالت استقلالها بصورة تامة ، وخاصة في العصر الحديث وصارت تدرس في الجامعات مستقلة كعلم متميز بموضوعه وهدفه .

ولقد ظهرت الخطابة واضحة في دول الحضارة المتقدمة .

الخطابة في مصر القديمة :

ظهرت الخطابة بشكل تلقائى بين الجماهير في مصر القديمة ، وكانت خطبهم توجه إلى الآلهة . والكهنة . والأمراء ، وكان حكماء الدولة وكهانها يوجهون نصائحهم إلى الشعب على شكل مواعظ وخطب ، وقد حفظت لنا نصوص الأهرام أنشودة للشمس تخاطب مصر في تعداد طويل . ورائع . للمنافع التي تستمتع بها تحت حماية وسيادة إله الشمس "رع" .

وأيضا كان الكهان يوجهون خطبهم إلى الملك ، شارحين له أوضاع الشعب الاجتماعية والاقتصادية ، وكان الملك أيضا يوجه خطبة تقليدية إلى الوزراء حين تقليدهم أو إقالتهم .

ولقد كان أفراد الشعب في أحيان قليلة يوجهون خطبهم إلى الملك نفسه يشكون له أحوالهم ، ويستعطفونه في حل مشاكلهم .

وقصة الفلاح الفصيح توضح لنا منزلة الخطابة في شعب مصر القديم ، فلقد أطال الرجل وأفصح عن مظلمته ، وطالب بالعدل في شكل جميل ومثير .

لدرجة أن الملك استجاب له بعد تأثره[١] .

ويظهر لنا من تتبعنا لنصوص الأهرام . والنصوص البردية . أن الخطابة المصرية كانت فطرية ، وأنها كانت تراعى الأسلوب النفسى المؤثر ، وفى طياتها نجد روعة البلاغة . ودقة المعنى ، وكانت تختلط دائما بأفكار المصريين عن الآلهة والدار الآخرة .

ويبدو أن الملك والأمراء والكهنة كانوا يتعلمون فن الإلقاء الخطابى ، بينما باشره الشعب بصورة فطرية .

الخطابة في بلاد اليونان :

وجدت الفلسفة في بلاد الإغريق ، وكثر الجدل ، وقد أدى ذلك إلى اهتمام اليونانيين بتعلم فنون القول ، وطريقة الخطابة . وأسلوب التأثير المؤدى إلى استمالة الجماهير نحو الفكر المراد حملهم عليه ، وقد ساعدت فطرة اليونان الخطابية على الامتياز في الخطابة بعد تعلم أصولها .

يقول شارل سنيوبوس : " امتازت أثينا أولا ببلاغة خطبائها فكانت حقا بلد الأدب ، وحسن الإلقاء . فبالخطب في مجلس الأمة تقررت الحروب ، وعقد الصلح ، ووضعت القطائع والضرائب ، وتمت المناقشة في كل الشئون العظيمة فللخطباء كانت السلطة ، وعلى الأمة أن تعمل بنصائحهم ومواعظهم "[٢] .

وقد وصل بالخطابة عند اليونان أن تولى الخطباء قيادة الجيش أثناء الحرب ، فقد عين " كليون " قائدا ، وعين " ديموستين " في قيادة حرب فيليب .

وقد أصبحت الخطابة سلعة رائجة في بلاد اليونان القديمة وخاصة بعد التأهيل المدرسى لها ، حيث نجد الخطباء ينشئون خطبا . ويبيعونها لمن يقوم بخطبتها ، يخطبونها لهم لقاء أجر يأخذونه ، وقد ثبت أن " أشيل " أخذ مالا من ملك مقدونيا ، وأن " ديموستين " أخذ مالا من ملك الفرس[٣] .

١- تطور الفكر والدين في مصر القديمة صـ١٧٩ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ .

٢- الخطابة : صـ٥ .

٣- أصول الخطابة : صـ٥ .

وهكذا برز الخطباء في بلاد اليونان مما دفع الكثير إلى تعلم أصولهـا ، وإتقان أدائها ، طمعا في المزايا التي تعود عليهم من ورائها .

ويعتبر السوفسطائيون[١] أول من اعتمد على الخطابة بصورة أساسية لنشر أفكارهم وذيوع مذهبهم ، ذلك لأنهم لا يقرون بثبات حقيقة ما ، ويقولـون : إن الأشياء وهم وخيال ، ويدعون الجزم بعدم تحقق شئ من الأشـياء ، إلا أنهـم انقسموا في تقرير قولهم هذا .

حيث نرى بعضهم يثبته بالعناد والمعارضة . ويزعم آخرون أن الحقائق تابعة للاعتقاد . فالشئ صدق عند من يعتقد صدقه ، وكذب عند من يعتقد كذبا . **وهكــذا ...**

وينادى فريق ثالث منهم بالشك في ثبات الحقائق . فلا ينفون ولا يثبتون .

ولعل أفكار السوفسطائيين هذه هي التي دفعتهم إلـى الفـن الخطـابى ، والبيان الأخاذ ، يتقنوته ، ويعلمونه لأبنائهم لينتصروا به لمذهبهم .

وقد قام كل من "برويكوس" القوسى . " وبروتاغوراس " و " جورجياس " بفتح مدارس للخطابة يعلمون فيها قوانين الخطابة التي توصلوا إليها بأجر باهظ كى يتمكنوا هم وتلامذتهم من السبق الكلامى ، وتلبيس القول من غير اهتمـام بالحقيقة لأنه لا حقيقة لديهم .

١- السوفسطائيون : هم جماعة من مفكرى اليونان وجدوا في القرن السادس قبل البلاد يقولون بتغير العالم . وعدم ثبوت الحقائق ، وقد هيأت الظروف لوجودهم . لأن فلاسفة اليونان الأول كانوا يبحثون عن أصل العالم وهم الفلاسفة الطبيعون وعلى رأسهم " طاليس " .

وجاء بعده " الفيثاغوريون " ليقولوا إن العالم عدد ونغم وكان على رأسهم " فيتاغورس " .

ثم جاء بعد هؤلاء السوفساطائيون ليجدوا أنفسهم أمام حلول متضاربة قدمها الفلاسفة ، الأمر الذي جعلهم يقولون بمذهبهم ويدللون عليه .

والسوفسطائيون فرق ثلاثة هي العنادية ، والعندية واللا أدرية .

والعنادية يعارضون لمجرد المعارضة ولا يعنيهم الحق ، وقصدهم الجدل والمعارضة فقط .

والعندية قوم يتمسكون بما لديهم ، ويتحمسون له وأن كان باطلا .

واللا أدرية قوم ينفون كل شئ ولا يعلمون شيئا ولا يثبتون حقيقة لأمر ما .

وقد ارتبطت الخطابة السوفسطائية بالفلسفة العقليـــة ، واعتمــدت علـــى الصور الفنية الخيالية ، ولم يكن لها حقائق معينة تهدف إليها .

وبعد السوفسطائيين ، جاء " سقراط " الذي عاشــر السوفــسطائيين . وخبر مذهبهم . واستمع لخطبهم . ورأى كيفية تلاعبهم بالأفكــار . وتلـــوينهم للحقائق فها له ذلك الحال وأخذ على نفسه أن يدلل على ثبات الحقائق ، ويبطل دعاوى هؤلاء ومن أجل ذلك نجد " سقراط " يدرس الخطابة . وقوانين الجدل . وينادى بدراسة النفس الإنسانية ، وكان له في مجال مدافعة السوفسطائيين دور بارز ، حيث جعل للخطبة حقيقة ثابتة مع اعتمادها على الأســلوب البيـــانى ، والفلسفة العقلية ، وكان يجارى خصمه حتى يوقعه في التناقض ، ثــم يقنعــه بالفكرة مستعملا الاستقراء والتمثيل .

ثم جاء " أفلاطون " فسار على نمط أستاذه " سقراط " ونادى بنظريتـــه في المثل ، ووضع قوانين جمهوريته . وفيها برز دور الخطباء في نشر الحق والخير . وغرس الأخلاق الفاضلة .

ويلاحظ أن جدل أفلاطون صاعد ونازل ، فهو في صاعده يسلك طريق الاستقراء فيتبع الجزئيات المحسوسة ليتوصل بها إلى المهايا الكليـــة المــسماه بالمثل ، ومنها يتوصل إلى مثال المثل ، وهو مثال الخير ، الذي بلـــغ نهايـــة الثبات والاستقرار والخلود .

وفى نازله يستدل على وجود الأشياء بالمثل ، فيحكم على الشئ بحسب قربه أو بعده من المثال . وهذا الجدل شبيه بالقياس المنطقـــى لأنـــه اســـتدلال بالكلى على الجزئى .

وهكذا نجد أفلاطون يستعمل الجدل في إثبات الحقائق . ورد دعـــاوى السوفسطائية . ومن المعلوم أن الأدلة الجيدة هي التي تضم إلى دقـــة المعنـــى حلاوة الأسلوب ، مما يجعلنا نعرف خصائص الخطابة عند أفلاطون ، ونعلـــم أنها تدور على الدليل الجدلى بنوعية ، والاهتمام بالأسلوب البيانى الجميل ، مع تركيزها على حقائق الخير للوصول بالإنسان إلى الارتبـــاط بعـــالم المثـــال ،

ويلاحظ أيضا أن الخطابة الأفلاطونية ظهرت مرتبطة بفلسفته ونظريتـــه فـــي المثل .

ثم جاء " أرسطو " الذي عرف بالمعلم الأول . ووضع الأسس لعلــوم كثيرة كعلم المنطق بما فيه من برهان وجدل . ونـــاقش السفــسطة ، وتعقــب مبادئها . وسلم بالمظنونات والمحتملات ليكون منها أدلة لها قــوة البـــراهين المنطقية المؤسسة على البديهات والقواعد العلمية الثابتة .

وأخيرا أخرج أرسطو أول كتاب مدون في الخطابة حيث عرفها كعلم ، وبين أقسامها ، وفصل في أسلوبها وحدد جزئياتها ، وتكلم عن الخطيب ونبرته وأشار إلى بعض الموضوعات التي تبرزها الخطابة .

ويعد كتاب أرسطو أول كتاب وضع في علم الخطابة ، وقد ترجم إلـــى العربية أكثر من مرة ، وشرحه ملخصا ابن رشد .

ومن " أرسطو " بدأت الخطابة في استقلالها ، لأنه وإن ساواها بالجدل وعرفها بقوة الإقناع ، فلقد تمثل البلاغة في الخطابة . ووضع شروطا للخطيب وحدد لها المجال الذي تفيد فيه . وضرب أمثله لعناصر الخطب الجيــده فـــي مناسبات عدة .

وهكــذا ...

أخذت الخطابة دورها الممتاز في بلاد اليونان . وخاصة في عــصرهم الذهبى .

الخطابة في دولتى فارس والهند :

لم يبرز دور تنظيمى للخطابة عند فارس والهند ، ويبدو أن السبب في ذلك هو النظام الطبقى المقدس الذي يحدد لكل إنسان وظيفته من يوم مولـــده ، ومع ذلك فلقد كان الأمراء يحتاجون إلى الخطابة في بعض الأحاديين ، وكانوا يستأجرون خطباء من بلاد اليونان ، كما حدث لــ " ديموستين " الذي عمل في بلاط فارس فترة من الزمن ، ويبدو أن ذلك هو السبب في أن في الهنـــد كتبـــا مدونة في الخطابة مع عدم معرفة مؤلفيها ، وفى أن للفـــرس حرصـــا علـــى

التحضير الطويل — فكرا وزمنا — قبل الخطبة . كما علمنا من الجاحظ حيث يقول : " في الهند معان مدونة وكتب مجلدة لا تضاف إلى رجل معروف ، وفى الفرس خطباء إلى كلامهم عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وعن معاونة ودراسة "[١] .

الخطابة عند الرومان :

إذا جئنا إلى دولة الرومان فإننا نجدها تبدأ في حركتها العلمية متأخرة عن بلاد اليونان ، وتبدأها مركزة على القانون لا الفلسفة ، ومن هنا لم يجدوا معلم الخطابة في بلادهم ، فاستقدموه من بلاد الإغريق . يعلمهم هذا الفن في مدارسهم الرومانية التي أنشأوها بكثرة بعد ما علموا منزلة الخطابة في الإقناع والاستمالة . واحسوا بحاجتهم إليها .

ولقد كان الرومان في أشد الحاجة إلى الخطابة بسبب الصراعات الكثيرة . والمناقشات الحادة التي وجدت بين طوائف الشعب ، حيث حاولت كل طائفة أن تتغلب على غيرها ، ولذلك اندفعوا جميعا إلى تعليم الخطابة . وتعليمها لأولادهم بعدما كانوا يعتمدون على الجدل القانونى قبل ذلك .

وبالفعل وصل الرومان إلى كامل بغيتهم يوم أن تمكنوا من الاستيلاء على بلاد اليونان في أواخر عصر الجمهورية سنة ١٤٦ ق.م فقاموا على الفوز بإحضار العديد من المثقفين اليونانيين الذين امتازوا بالإلقاء الخطابى ، وتمكنوا بذلك من تأسيس الفن الخطابى الرومانى المتميز بالفكر المنظم ، والمعانى المنسقة ، والأسلوب الرائع المتميز عن اليونان بتأثير الثقافة القانونية والثقافة الموسيقية من حيث التفصيل ، والترتيب ، والاستنباط ، ومن حيث إجادة الإلقاء وفن التأثير .

ويبدو أن الرومان كانوا يملكون فطرة الخطيب الممتاز لأنهم أقبلوا على قواعد العلم فاتقنوها ، وبزوا الكثير في هذا المجال ، ويعتبر " شيشرون " مثلا

١- البيان والتبيين جـ٢ صـ٣٧

واضحا على تقدم الرومان في الخطابة .

وقد وصل تعلق الرومان بهذا الفن أن حصروا التربية العاليـــة فيـــه ، وقصروا الوصول إلى عضوية مجلس الشيوخ على الخطباء وحدهم ، وكـــان الخطباء هم المحامون ، ومنهم يؤخذ القضاء .

إن الأغنياء كانوا ينفقون الأموال الكثيرة من أجل أن يـــتقن أولادهـــم الخطابة حبا للعلم . وضمانا للمستقبل . وبذلك كثر الخطباء في روما .

الخطابة عند العرب :

وأما العرب فقد هيأتهم ظروفهم ليكونوا خطباء مبرزين ، ذلك أن تباعد الديار ، ووجود التفرق ، والإحساس بالسيادة عند كل قبيلة ، مع إيمانهم بشعور قومى عام أساسه اللغة والدين والجنس ، كل هذا جعل العرب يهتمون بالخطابة حيث كانوا يقدمون الخطيب إلى جيرانهم ، يجمع صوتهم . ويفاخر بهم ، وفى الحروب يهجو ويدفع ، وفى المناسبات يهنئ ويحمل البشرى .

ولقد اتجه العرب إلى الخطابة بفطرتهم . من غير تأثر بـــسواهم مـــن الأمم الأخرى ، وكان استعدادهم الفطرى واضحا يقول الجاحظ : " وكل شـــئ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال . وكأنه الهام ، وكـــانوا أميـــين مطبـــوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم اظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر "[١] .

وقد نظر العرب إلى حالهم ومنازعاتهم فوضعوا نظاما يكفل الأمـــن . ويقلل الصراع وكان هذا النظام نفسه سببا لإزدهار الخطابة العربيـــة وتنـــوع أغراضها .

وفحوى هذا النظام أنهم أقاموا أسواقا تدور مع أيام السنة ، وفى جميع أماكن الجزيرة ، وحتى يحققوا أكبر فائدة من هذه الأسواق جعلوها مكانا للكسب المادى ، وتقوية للشعور القومى ، ودفعا للتسابق الأدبى واللغوى والعقلى .

وقد أختاروا لهذه الأسواق الأشهر الحرم حتى يضمنوا لأنفسهم الحركة

١- البيان والتبيين جـــ٣ صـــ٢٨

الآمنة ، والقول الجرئ ، والنقد الحر ، وأقاموها في ســائر أنحــاء الجزيــرة العربية لكى يشترك الجميع فيها حتى يحققوا أكبر الفائدة منها .

وقد تميزت الخطابة العربية بالقصر ، والارتجال ، والسجع ، واشتمالها على الحكمة . وبعدها عن الجدل والفلسفة . ودورانهــا غالبــا حــول الفخــر والمنافرة والمدح والتهنئة والتأمل ، وكانت تخلو أحيانا من التسلسل والترتيب .

وظل العرب في الجاهلية يعتمدون على الفطرة ، فلــم يؤســسوا دارا لتعليم الخطابة ، أو يعينوا أستاذا لها ، وإنما اكتفوا بدار الندوة والأسواق . لأنها منابر القول . وفيها يتبارى الخطباء . ويقدمون من واقعهم مدرســة تطبيقيــة ونظرية في نفس الوقت .

إن العرب في هذا الزمن السحيق كانوا يعجبون بالنــشاط ، ويقومــون بالهجرات إلى بلاد الأنهار في حرية مطلقة بعيدا عن سلطان الكهنة أو سيطرة الحكام . وكل ذلك ينمى الخطابة التي اشتهر بها العرب يقول الجاحظ عنهــا : " وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب "[١] ومراده أن العــرب أجــادوا بفطرتهم هذه الصناعة . وسبقوا غيرهم إلى كثير من أنواعها .

واستمر العرب هكذا حتى جاءهم الإسلام ، وآمنوا به دينا قويما ــ ومع إيمانهم هذا علموا أن عليهم واجب تبليغه إلى العالم كله ، فقاموا بالواجب بكــل ما أمكنهم من وسائل ، وهنا ساعدتهم موهبتهم الخطابية على أداء هذا "الواجب .

لقد كان العربى يخاطب الملوك والقواد شارحا لهم دينه ، طالبا منهم أن يدخلوا فيه . وقد ازدهرت الخطابة لديهم خاصة بعد استقامتهم مع القرآن الكريم والسنة النبوية وقد استفادوا كثيرا بهما وظهرت هذه الفوائد في أساليب الخطابة ومعانيها وأغراضها .

أما استفادتهم في الأساليب فقد تهذيب ألفاظهم ، وترقــت أســاليبهم ، وهجروا كثيرا من الألفاظ المعيبة ، واستبدلوها بألفاظ القرآن الكــريم والــسنة

---

١ – البيان والتبيين جـــ٣ صـــ٢٧

النبوية ، وعدلوا عن الأساليب القديمة إلى الأساليب السهلة الممتنعة ، كما أدى ذلك إلى توسيع معانى بعض الألفاظ . واشتقاق بعضها من بعض ، وقد كثرت محاكاة الخطباء لعبارات القرآن الكريم والسنة النبوية واستشهدوا بهما . واقتبسوا من نصوصهما وامتثلوا كثيرا من بيانهما .

وأما أستفادتهم في المعانى ، فلقد شاعت الدقة والعمق والسمو في معانى الخطابة واستعملوا المعانى الإسلامية بدلا من المعانى القديمة ، والتزموا الصدق والأخلاق في خطبهم وكانوا دعاة الخير دائما .

وأما استفادتهم في الأغراض فقد هجروا الأغراض الجاهلية كالمنافرة والهجاء والعصبية . ودعوا إلى المحبة والعفة والمساواة ، ودارت خطبهم على الأغراض النبيلة كالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والحث على الإيمان ، والجهاد في سبيل الله ، وتحصين الجوارح والأرواح ، والتمسك بتعاليم الله تعالى ، ومداومة النصح والتوجيه .

وقد استمر العرب ينمون خطبهم ملتزمين بروح الدين . حتى جاءت الدولة الأموية ، وظهرت العصبية من جديد ، ووجدت الفرق من شيعة ، وخوارج ، ومرجئة ، وأمويين . واستتبع ذلك كثرة الفتن . في العراق ، وفى الأمصار الأخرى ، فأدى كل هذا إلى اهتمام العرب بفن الجدل ، حيث حاول كل فريق أن ينتصر لرأيه وجماعته ، مما أدى إلى نمو الخطابة ، وتنوعها وازدهارها ، مع عدم خروجها عن صورتها الإسلامية ، لأن كل خطيب كان يعتز بنسبته الإسلامية ، وقوميته الدينية ، ولقرب عهدهم برسول الله ﷺ .

ولم تكن الخطبة في ذلك العصر وقفا على طائفة خاصة ، بل كان من المتكلمين والمحدثين والمفسرين خطباء كالحسن البصرى وواصل بين عطاء ، واشتهر لكل فريق خطباء وشعراء وعلماء .

وقد ظهر في العصر الأموى اللحن على بعض الألسنة لاتساع الدولة ، واختلاط المسلمين بغيرهم ، كما ظهر في لسان عبيد الله بن زياد ويوسف بن

خالد وزيادة النبطى[١] .

وذلك ليس أمرا عاديا ، لأن عهد العرب بجاهليتهم قريب ، والنصوص الدينية فيهم عربية اللفظ والمضمون ، ولذلك كان اللحن نادرا .

وفى العصر العباسى : كثرت العلوم الفلسفية في بلاد العـرب ، بعـد ترجمة العلوم إلى العربية ، ووجد فن الكتابة ، وفن المقال ، مما أدى إلى ركود الخطابة ، وضعفها ، إلا أن الخطابة الدينية استمرت في قوتها ، وأخذت دورها في الوعظ والإرشاد ، وكان القراء يقومون بالقراءة في المساجد ، ويخطبـون الناس في سكون ووقار .

وقد استفادت الخطابة العربية بصورة عامة من المؤلفات التي كتبت أو ترجمت في علم الخطابة ، حيث ترجم ابن سينا وابن رشـد كتـاب الخطابـة لأرسطو ، وألف الأب لويس شيخو كتابى " الخطابة " وظهرت مؤلفات للخطابة في كل مكان أدت إلى ازدهارها ، ونموها ، وتنوعها ، وحافظت على قواعدها وأركانها .

ومازالت الخطابة تنمو ، ولسوف تظل تنمو مع تطور الأجيال وتقـدم الأمم شأنها شأن سائر العلوم لتؤثر في المـستمعين وتحملهـم علـى الخيـر والمعروف .

ويمكننا أن نقسم المؤلفات الحديثة في الخطابة إلى نوعين رئيسيين :

الأول : المؤلفات التي تتناول أصول الفن وقواعده وأركانه وتاريخه ، وهى مؤلفات نادرة وقليلة ، ومتأثرة بغموض الفلسفة الإغريقية التي أخذت منها مصادرها الأولى ، وأرى أنها في حاجة ماسة إلى الاستفادة مـن الدراسـات الإنسانية الحديثة فهناك علم الإعلام الذي وضع للإعلام نظرية يمكن الاستفادة منها في توضيح قواعد علم الخطابة ، وطرق الإعداد والتهيئة ، والاستعانة بما وضعه الإعلاميون للتأثير الصوتى ، والحركى ، والفنى ... وهكذا .

١- البيان والتبيين جـ٢ صـ٣

كما يحتاج علم الخطابة إلى وضع ضــوابط لمعرفــة آراء الجمهــور والمستمعين ، فبرغم أن اتصال الخطيب بالناس اتصالا مباشرا إلا أنه لا يمكنه معرفة رأى المستمعين ، ومدى تأثرهم بقوله ، ومقدار طاعتهم لما أشار عليهم به ، ولذلك كان معرفة رد الفعل ، ومعرفة الأثــر بــالطرق التــي وضــعها الإعلاميون أمر هام للخطيب ....

وهكذا يمكن الاستفادة بالعلوم الحديثة لإثراء الخطبة ، وإجادة الخطيب.

الثانى: المؤلفات التي تدون نصوص الخطب في المواضيع والمناسبات المختلفة وهذا النوع قد يحلل عناصر بعض الخطب ، وقد يكتفى بإيراد شواهد الخطبة فقط ، وهذا النوع من المؤلفات الخطابية تعد مؤلفات وعظية يرجع إليها الدعاة كثيرا .

وإنى هنا أنفصح بعدم الاعتماد الكلى على هذه المؤلفات لأنها وإن كانت تهتم بمناسبة متكررة إلا أن الجمهور بنفسياته وعقلياته لا يتكرر ، ولذلك وجب على الخطيب أن يجعل هذه الخطب مرجعا يضيف إليه من ثقافته وتجاربه .

ويا ليت الخطيب يتعلم فن الكتابة فيكتب خطبته كاملة ويضع العناوين لعناصرها ، ويدون في نهايتها الملاحظات الايجابية والسلبية التي توصل إليها بعد إلقائها ... إن ذلك نوع من النقد الذاتى البناء الذي يفيد في حالات كثيرة .

❖ ❖ ❖

وعلى الجملة فإن الخطابة اليوم تتميز بالتنوع الموضوعى ، والــشمول الفكرى ، والأساليب الدقيقة الأخاذة ، وقد نالت كثيــرا مــن الاهتمــام حيــث أصبحت تدرس في تخصصها المستقل على مستوى الجامعة ، وفى الدراســات العليا ، في الوقت الذي تدرس فيه من خلال الأدب ، والبلاغة ، وفى التوعية ، والإلقاء الإذاعى ، وغير ذلك .

وقد اهتمت مؤسسات الدعوة بالتطبيق العملى لقواعد الخطابة ولذلك جعلوا جزءا من الدراسة تدريبا عمليا تحت إشراف أساتذة متخصصين .

الباب الأول

قواعـــد
علـم الخطابـة

قواعد علم الخطابة

تمهيــد :

علم الخطابة له موضوعه الذي يتخذه مجالات للدراسة والبحث ، ولــه هدفه الذي يعمل لتحقيقه والوصول إليه .

وفى العصر الحديث لم يعد الأمر قابلا للصدفة والتلقائية بالنسبة للخطابة لما لها من أهمية في حركة المجتمع والناس .

إن العالم ملئ بالمساجد التي تحتاج لخطباء علماء يجيدون فن التــأثير ، ويعرفون قواعد الإقناع والخطاب . والجمعيات على تنوعها ، وتوجهاتها تحتاج للخطباء المجيدين لتحقيق غاياتهم ومآربهم .

وقد اهتمت جامعه الأزهر بإنشاء كلية الدعوة الإسلامية وأقسام الــدعوة في الكليات الأخرى لتتحرك الدعوة إلى الناس بمنهجية عالمة ، وقواعد ثابتــة وبذلك يخدم العلم العمل ، ويساعد الفكر التطبيق والأمل .

وفى هذا الباب سيكون الحديث عن قواعد العلم وأساسياته .

إن الخطابة في جملتها أقوال هادفة رتبت وفق منهج علمـــى معـــين ، يتحدث بها شخص عالم بما يقول ، ويوجهها لجمهور من الناس ، بهدف التأثير فيهم وإقناعهم بما يراد منهم ...

وعلى هذا فالأقوال هي الخطبة .

والقائل هو الخطيب .

والجمهور هم المستمعون وتلك هي قواعد علم الخطابــة الرئيــسية ...

يقول ابن رشد : " إن الكلام مركب من ثلاثة جوانب .

من قائل وهو **الخطيب** .

ومن مقول فيه وهو الذي يعمل **القول فيه** وهو **الخطبة** في حد ذاتها .

ومن الذين يوجه القول إليهم **وهم المستمعون**[1] فأكد بذلك أركـــان علـــم الخطابة وقواعده " .

إن علم الخطابة يتناول كل ركن من هذه الأركان الثلاثة . فيعرف به ، ويقسمه أقساما معينة من أجل تفهمه ، ودراسة أبعاده المتعـــددة وفـــق المـــنهج العلمى . وبعد ذلك تكون دراسة قواعد العلم وقوانينه بينـــه واضـــحة ، أمـــام الخطباء وكل من يتصدى لهذه العملية التوجيهية الهامة .

إن علم الخطابة يتصل بسائر العلوم كما ذكرنا يفيدها . ويستفيد منها في إطاره الموضوعى . وواجب على المشتغلين به أن يوجهوه إلى النافع المفيـــد ، ويبتعدوا به عن الأغراض السيئة المرذولة حتى يتضح للعلماء ولغيرهم الوجه الحقيقى لهذا العلم ، فما وضعه واضعوه إلا لخدمة الإنسان والترقى به حياتـــه الخاصة والعامة .

وستتحدد دراستى لهذا العلم في أركانه للثلاثة المذكورة . فـــي فـــصول ثلاثة حيث يرد كل ركن في فصل خاص وذلك على النحو التالى :

الفصل الأول : في الخطبـــة

الفصل الثانى : في الخطـــيب

الفصل الثالث : في المستمعيـــن .

والله الموفق ،،،

١- تلخيص الخطابة جـــ٢٨ ، الخطابة لارسطو صـــ١٦ .

الفصل الأول

الخطبـــة



تمهيـــد :

الخطبة بصورة عامة ليست أمرا سهلا ، ولا تأتى لخطيب إلا بالجهـد والدراسة والتعب .

إنها تخاطب عقولا فاهمة ، ومتنوعة ... وتحاول أن تقنـع الوجـدان ، وترضى الأرواح ولذلك لابد لها من التركيز على عناصر معينة لتكون مقبولة ونافعة .

إن الخطيب حين يقصد الخطابة لابد له أن يعـرف الموضـوع الـذي سيتكلم فيه بشرط أن يكون المستمع في حاجة إليه ، وأن يقسمه تقسيما علميـا عقليا حتى يستكمل كافة عناصره .

وأن يرجع إلى المراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع ليستخرج منها ما يحتاج إليه في موضوعه ، وفق العناصر التي حددها ، وأن يتحلـى بأسـلوب ملائم للمناسبة ، أخاذ للعقول ، مبين للمراد بوضوح لأن من المعلوم أن البيـان البليغ من الحكمة ، وأن الإنسان مولع بتتبع الجمال في كل مواطنه ، وبخاصة مع اللفظ والعبارة ... وعلى الخطبة أن تكون مرتبة منسقة ، وأن تكـون فـي جملتها متلائمة مع الظروف والمناسبة التي ستلقى فيها .

وذلك كله يحتاج إلى دراسة الخطبة مـن جوانبهـا المتعـددة ، وأهـم الجوانب التي سندرسها حول الخطبة في المباحث التالية هي :

المبحث الأول : إعداد الخطبة

المبحث الثانى : محتويات الخطبة

المبحث الثالث : أنواع الخطبة عند أرسطو

المبحث الرابع : الأنواع الحديثة للخطبة

المبحث الخامس : بين الخطبة وأشباهها من فنون القول

وستأتى الدراسة بنفس الترتيب فيما يلي :

المبحث الأول

إعداد الخطبـــة

الأمر العظيم يحتاج إلى تخطيط وإعداد ، حتى يكون على قدر المقام الذي وضع له ، ألا ترى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يستعدون لدورهم بكل ما أوتوا من قوة . فهذا سيدنا موسى عليه السلام حينما قال الله ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] كان رده ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾[2] فنجده عليه السلام يطلب من ربه أنه يلهمه الاستعداد لدوره بعد فهمه له ، وتخطيطه لما يحتاجه هذا الدور .

فبرغم أن الله سبحانه وتعالى أمده في بداية التكليف بمعجزات العصا واليد من أجا أن يصهره ويحوله إلى عبد متوكل موقن بنصر الله . رغم تحقق ذلك له نجده عليه السلام يطلب من ربه إعداد خاصا قبل لقاء فرعون ، لأنه يطلب من الله أن يشرح له صدره ، وأن يسهل له أمره . ليقبل على البلاغ وهو منبسط النفس ، مستسهل تنفيذ الأمر . ونجده أيضا يطلب أن يحل الله عقدة لسانه لئلا يقع منه خلل البته في رسالته ، ويطلب كذلك أن يشركه هارون في التبليغ ليشد أزره ، وقد استجاب الله له كل ما طلب .

وهذا رسولنا ﷺ يدرك خطورة دوره فيبذل الجهد في المحافظة على وحى الله إليه ، ويحاول أن يصونه بكل الوسائل الممكنة وهو ينزل إليه فقال الله له : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[3] .

١- سورة طه آية ٢٤
٢- سورة طه الآية ٢٥ : ٣٠
٣- سورة القيامة الآية ١٦ : ١٩

والخطبة من المسائل الصعبة الخطيرة ، يستشعر ذلك كل من مارسها عمليا ، وواجه جمهورا من الناس في يوم ما .

يقول عمر بن الخطاب "**ما يتصعدنى كلام كما يتصعدنى خطبة النكاح**"[١].

وقيل لعبد الملك بن مروان : **عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين** .

فقال : **كيف لا يعجل على . وأنا أعرض عقلى على النـــاس فـــي كـــل جمعه مرة أو مرتين**[٢] .

ولصعوبة الخطبة وجب الإعداد لها .

والإعداد هو التهيئة والتحضير ولا بد منه للخطبة ليبرز المعنى في ثوب قشيب مؤثر . يقول الجاحظ : " **إن المعنى إذا اكتسى لفظا حـــسنا . وأعـــاره البليغ مخرجا سهلا . ومنحه المتكلم قولا متعشقا صار فـــي قلبـــك أحلـــى . ولصدرك أملأ . والمعانى إذا كسيت حسن الألفاظ الكريمة . وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها . وأربت على حقائق أقـــدارها بقدر ما زينت . وعلى حسب ما زخرفت . فاذكر هذا الباب ولا تفرط فيه** "[٣] .

وإعداد الفكرة والمعنى وإظهارها بصورتها اللائقة يمر بمراحل متعددة لأن تخير الموضوع وتحديده في العقل والرضى به يمثل **مرحلة** .

كما أن تحليل الموضوع لعناصره الأساسية واختيار أدلته وتنسيقها يمثل **مرحلة ثانية** .

وأيضا فإن صياغة المعانى والأدلة في قالب بيانى فصيح ، وأسلوب بليغ يتناسب مع المستمعين يمثل **مرحلة ثالثة** .

ولا تفضل مرحلة غيرها في الأهمية فجميعها يتضافر في تقديم خطبـــة جميلة متماسكة تصل لهدفها وتأثيرها .

يقول ابن المعتز : "**إن البلاغة بثلاثة أمور . أن تغوص لحظة القلب في**

١- البيان والتبيين جـــ١ صـــ١٠١

٢- الخطابة صـــ٢٣

٣- البيان والتبيين جـــ١ صـــ١١٧

أعماق الفكر ، وتتأمل لوجوه العواقب . وتجمع بين ما غاب وما حضر . ثـم يعود القلب على ما أعمل الفكر . فيحكم سياق المعـاني والأدلـة . ويحـسن تنفيذها . ثم تبديه بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستعمال محاسنها "[١] .

إن غوص العقل في البحث والنظر يوصل إلى تحقيق المرحلة الأولى ، كما أن إحكام السياق يمثل المرحلة الثانية واختيار الألفاظ الرشيقة يمثل المرحلة الثالثة .

وهكذا تحتاج الخطابة إلى كافة جوانب البلاغة .

ويقول الشيخ على محفوظ "**من أراد العظة البليغة" والقولـة المـؤثرة فليعمد إلى المنكرات الفاشية . ولاسيما ما كان منها قريب العهد ،وحديثه على ألسنة الناس ثم يقدم أكبرها وأخطرها فيجعله محور خطابته ،وموضع عظته ، ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا الحادث من آثار يحصيها . ثم يستحضر الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار . ثم يأخذ في كتابة الموضوع بعد ذلك إن شاء[٢] .**

فنجد أن من قال في البلاغة ، ومن قال في الخطابة يقسمون الإعـداد للخطبة إلى مراحل أربع :

المرحلة الأولى : تعرف بمرحلة اختيار موضوع الخطبة .

والمرحلة الثانية : تعرف بمرحلة تحديد عناصر الخطب .

والمرحلة الثالثة : تعرف بمرحلة اختيار الأدلة والنصوص .

والمرحلة الرابعة : تعرف بمرحلة التعبير البيانى والتركيب البلاغى .

وبعد هذه المراحل يتسلم الأمر الخطيب بصفاته وخصائصه ، وهذا ما سوف ندرسه في الباب الثاني .

١- البيان والتبيين جـ١ صـ١٣٥

٢- هداية المرشدين صـ١٣٧

المرحلة الأولي
اختيار موضوع الخطبة

حينما يحتاج أمر ما إلى إلقاء خطبة ، فإن على الخطيب أن يبحث أولا عن الموضوع الذي يناسب هذا الأمر ، ويتفق مع رغبات المستمعين ، ذلك أن الموضوعات كثيرة . ومناسباتها عديدة ، فما يناب التهنئة لا يناسب العـزاء ، وما يقال في الصلح غير ما يقال في الجهاد ، وخطبة الأعياد والمناسبات الدينية غير ما في الأيام العديدة سواها ، والخطبة في جمهور العلمـاء تختلـف عـن الخطبة في العامة ، وهى في الحضر تختلف عن الريف والبادية والمناسبة دائما تتأثر بالبيئة ، والثقافات وطبيعة الجماعة .

وأيضا فإن الموضوع الواحد قد يلقى بأوجه متنوعة ، وما يثير اليوم قد لا يثير غدا تبعا لتغير الموقف والحال ، وهناك من يناسبه الإيجاز ومن لا يفيده إلا الإطناب .

ثم إن الناس يتأثرون بفكرهم ودينهم ولا بد أن تتناسب الخطبة معهم ، ومن هنا كانت أهمية اختيار موضوع الخطبـة . وتحديـده وفـق اعتبـارات موضوعية معينة ، واختيار الموضوع هو المرحلة الأولى في الإعداد ، وحتى يكون إيجاد الموضوع في إطاره العلمى وجب أن ينبنى على الاعتبارات التالية:

أ - نفسية المخاطبين :

يتأثر الإنسان بعدد من المؤثرات بعضها فطرى . والآخر مكتسب ، ولا ينجو إنسان ما من هذه العوامل الموجهة ، فهى تلازمه وتعيش معه وتدفعه إلى سلوك معين . وتجذبه نحو غاية خاصة ، بل إنها تساعده على التعامل مع كافة المواقف النفسية والاجتماعية ، وتعينه على بلوغ أهدافه ، وتمكنه من الدفاع عن فكرته ، ورد انتقادات الناس الموجهة إليه .

والاتجاهات الفردية صورة لاتجاه الجماعة بشكل عام . وكلاهمـا إمـا

أصلى أو طارئ[١] .

والخطيب يمكنه معرفة اتجاه الأفراد والجماعات إذا لاحظ العوامل التي تحدث الاتجاهات العامة ، وتؤثر في نفس الأفراد . وتنميها . وقد أشار علماء النفس الاجتماعى إلى انحصار هذه العوامل في البيئة . والوراثة . وإمكانية الشخص ذاته .

لأن البيئة تعطى للناشئة فيها تقاليدها وعاداتها ، فأبناء التجار يأخذون طبع آبائهم . وأبناء العلماء يتجهون نحو البحث والمعرفة ، وأبناء العمال والمزارعين يتقنون ما رأوا آباءهم يعلمونه .

وعن طريق الوراثة يرث الابن الخلق ، والطبع ، وصورة السلوك .

وتقوم الثقافة الشخصية للإنسان بتوجيهه ، لأنه يفهمها ، ويعمل بها عن اقتناع ورضى .

ومن المؤكد أن هذه العوامل تساعد أيضا في ذيوع الاتجاهات الطارئة وتوصيلها . وملاحظة الاتجاهات الفردية على النحو المذكور يمكن الخطيب من التركيز على القضايا المؤثرة في المستمعين ، وعدم التصادم المباشر مع الاتجاهات السائدة ومن هنا تأتى أهمية اختيار موضوع الخطبة ليكون متفقا مع نفسية المستمع .

ومن هنا يختلف الموضوع في القرية عن المدينة ، والخطبة للعمال تغاير الخطبة للمثقفين ، كما أن ملاحظة هذا الجانب النفسى يؤدى إلى اختيار الطريقة الصحيحة للموضوع ، وتقديمه بطريقة معينة لأن الطريقة التي تقدم بها المعلومات إلى الأفراد ذات أثر بالغ في التأثير وتعديل الاتجاه .

ومن التجارب الطريفة فى هذا الباب أن " هو فلاند " قدم لمجموعة من طلاب الجامعات في أمريكا عددا من قصاصات الصحف .

وقال لنصف الطلبة : إن أمريكيين هم الذين كتبوا ما في القصاصات .

١- المقصود بالاتجاهات الأصيلة تلك المؤثرات الثابتة مع الإنسان منذ مولده بسبب الوراثة ، والمقصود بالاتجاهات الطارئة تلك المؤثرات التي تأتى وتذهب تبعا للمواقف والأحداث البيئية .

وقال للنصف الآخر : إن القصاصات هي أجزاء من جريدة " البرافدا " الروسية وبأقلام روس .

ولاحظ أخيرا أن النصف الأول وافقوا على ما جاء في القصاصات . والنصف الآخر وقف ضده[1] .

والسبب في هذا التغاير أن الاتجاهات النفسية الفردية لها أثر قوى في الاستفادة مما يسمع أو يقرأ ، ولو تصورنا خطيبا يخطب الطلبه في وسائل النجاح . وطريقة الامتحان ، فإنه يلقى ترحيبا ، وقبولا لأنه خاطب الطلبة فيما يشغلهم نفسيا .

ولو تصورنا خطيبا آخر يخطب أهل المدينة بطريقة مقاومة الآفات الزراعية فإنه يقابل بالظن والنفور .

إن الخطيب الأول ينجح في عرضه لأنه لامس حاجة الجمهور وركز على اتجاهاتهم ، والخطيب الثانى لا ينجح في شأ لأنه في جانب والمستمعون في جانب آخر بعيد .

ويمكن للخطيب أن يعرف الاتجاهات النفسية للجمهور بواسطة اختلاطه بالناس ، وسعة قراءاته ، وسؤاله المختصين العاملين مع الجماعة كالاخصائى الاجتماعى ، والمرشد الدينى ، ومهندس الزراعة وغيرهم ...

أ ــ عقلية المخاطبين :

الإنسان مخلوق عاقل ، وعلى قدر تعقله يكون مستواه ونشاطه مع الناس .

والبشر ليسوا على عقل واحد ، فمنهم العبقرى النابه الذي يفهم بالإشارة ويدرك باللمحة ، ويعيش قضايا مجتمعه بفكر راق ، ولب حكيم ... ومنهم متوسطو الثقافة ، متوسطو الإدراك ، يفهمون ماديات الحياة ، وتعجز عقولهم عن التجديد ، والتخيل ... ومنهم قوم هم أشبه بالسوفسطائيين الإغريق ، يحبون الجدل ، ويميلون إلى المعارضة . ومواصله الحوار والنقاش مع الناس .

١- علم النفس الاجتماعى صـ٨

ومن هنا وجب على الخطيب أن يدرك المستوى العقلي والفكري للمجتمع الذي سيخاطبه ليتمكن من إفادته .

وإدراك المستوى العقلي للمخاطبين أيسر من الوقوف على نفسياتهم لأن ظهور العقل أثناء الفكر والحديث أمر ممكن ، وأيضا فإن الوقوف على عدد المثقفين ، ومعرفة تخصصاتهم ، والإحاطة بنشاطهم في المجتمع أمر ليس خافيا على من يريد الوقوف عليه .

وعلى ضوء المستوى العقلي للمخاطبين يمكن اختيار الموضوع حتى لا يعلو فلا يفهم ، ولا يسفل فينصرف المستمعون .

وقد تحدث العلماء عن تنوع المستوى العقلي للناس ، وضرورة التعامل الملائم لكل صنف .

يقول الألوسي : **إن الناس ذو عقليات ثلاثة :**

فطائفة : منهم أصحاب نفوس مشرقة . قوية الاستعداد لإدراك المعاني قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية . مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، وهؤلاء هم أصحاب العقل الراقي في الناس ولابد لهؤلاء من موضوعات تناسب دقتهم وفكرهم .

وطائفة ثانية : هي عوام الناس الذين يملكون نفوسا كدرة ، ضعيفة الاستعداد للمعاني شديدة الإلف بالمحسوسات ، قوية التعلق بالرسوم والعادات ، قاصرة عن درجة البرهان ، وهؤلاء قوم يستثارون بسهولة ولا عتاد عندهم وهؤلاء يناسبهم الموضوع البسيط الملائم لبساطتهم ، النابع من واقعهم بعيدا عن الإغراب والتفلسف .

وطائفة ثالثة : معاندة مجادلة بالباطل،تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف ، ورسخ فيها من العقائد الباطلة[١] وهؤلاء يناسبهم الموضوع الذي يجادلون فيه على أن يكون في شكل استفهام واستفسار .

١- تفسير الألوس جـ١٤ صـ٢٥٤

ويقول ابن رشد : " والناس على ثلاثة أصناف ، صنف ليس هو أهل التأويل وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب ، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى عن هذا النوع من التصديق ، وصنف هو من أهل التأويل الجدلى وهم الجدليون بالطبع أو بالطبع والعادة ، وصنف هو من أهل التأويل اليقينى ، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة "[١] .

وقد ارتضى الإمام فخر الدين الرازى في تفسيره هذا التقسيم ، وذكر أن البشر بالنسبة لكمال الطبع طرفان وواسطة .

فالطائفة الأولى التي تتجه إليها الحكمة هي طرف الكمال والسبق ، وهى التي تتميز باللب والعقل ، والعبقرية والفهم .

والطائفة الثانية صاحبة الموعظة وهى متوسطة العقل والفهم ، يثيرها الجديد ، ويحركها الانفعال والعاطفة وهى الواسطة [٢] .

والطائفة الثالثة هي المجادلة وهى التي تدوم مع الحوار والنقاش وهى طرف النقصان .

إن الوقوف على المستوى العقلى يساعد على اختيار الموضوع وعلى تحديد العناصر ، ووضع الأساليب المختلفة .

إن الدليل في الخطبة يجب أن يتفق مع عقلية المستمعين ، كما أن تسلسل العناصر يحتاج إلى عقل معين لمتابعته .

إن الرجل الأمى لا يمكنه أن يجمع في ذهنه الكليات المركبة ؛ والدليل معه يجب أن يكون مبسطا ، والتعاريف إليه لابد أن تكون بالعرض المحسوس والتشبيهات ، والأمثال يجب أن تكون من واقع بيئته ، وهذا بخلاف الرجل المثقف ، لأن متابعة التسلسل سهل لديه ، والغوص في المعانى دأبه وديدنه ، وكثيرا ما يسعد بأسلوب يحلق به في عالم الجمال ، ويقرب له المحسوس بالمعنوى ويملأ بيانه بالمجازات المختلفة ، والاستعارات الكثيرة .

١- فصل المقال صـ٣٠

٢- مفاتيح الغيب جـ٥ صـ٥٣٦

وعلى الجملة فإن الإحاطة بعقلية الأفراد تسهل للخطيب النجاح .

ب ــ معرفة المناسبة :

التناسب بين الشيئين أساس لتآلفهما ، وعناصر المادة لا تتآلف إلا بهـذا التناسب ، وكذلك " **الأرواح** " **ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**[١] .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم متناسبا فـي آيـة وسوره ومناسبا[٢] لواقع الناس ، ومصالحهم ، فخلد بذلك في النفوس والعقـول ، ولقد كان العربى يستمع إلى القرآن الكريم فيأخذه بيانه السحر ، وتناسبه العجيب وينادى القرآن آمرا أو ناهيا فلا يسعه بسبب ما فيه من دقة إلا أن يـستجيب ، ولقد وصفه الوليد بن المغيرة فقال : " **إن له حلاوة ، وإن لطلاوة وأن أعـلاه لمثمر ، وأن أسفله لمغدق** "[٣] والوليد هذا من العرب الخلص الـذين تميـزوا بالحكمة وبرعوا في الفهم فكان قوله هذا دليلا على ما في القرآن من مزايـا ، ومنها التناسب .

لذا نطابق الصواب حين نلزم الخطيب بأن يتناسب مع الناس ، ولعـل أوضح التناسب أن يعيش مناسباتهم على اختلافهم .

والمناسبات كثيرة منها الوطنية . والقومية . والشخـصية . والدينيـة . وتتغاير الخطب بقدر تغاير المناسبات .

إن خطبة العيد تغاير خطبة الجمعة ، وخطبة التهنئة تختلف عن خطبة العزاء . وواجب على الخطيب أن يحيط بسائر المناسبات حتى يعيش في واقع الناس وفكرهم بهذه الإحاطة .

والخطيب وهو يعيش المناسبة عليه أن يتخير معها موضوعا مرتبطـا بهذه المناسبة ليقدم الحل الإسلامى لموضوعه الذي يعيش الناس فيه .

ومن أمثله التآلف المناسب بين الخطبة والواقع أن يقدم الخطيب للشباب

١- رواه البخارى عن عائشة رضي الله عنها .

٢- انظر مؤلفات البقاعى والسيوطى والفراهى عن مناسبات الآيات والسور .

٣- سيرة النبي جـ١ صـ٤٦٥

عند الامتحان خطبا في (الغش وضرره) (وأهمية الأمانـــة) (وضـــرورة مراقبة الله تعالى) (واللجوء إلى الله للسداد والتوفيق) .

ومن أمثله ذلك في المناسبات الوطنية أن تكون الخطبة فـــي " عوامـــل النصر " و " المحافظة على الحقوق " و " العودة إلى شريعة الله تعالى " .

وهكذا في سائر المناسبات ... وليس من الضرورى أن يغوص الخطيب في أعماق المناسبة ، وتحليلاتها ، وبيان أسرارها .

يقول ابن رشد : " من الضرورة أن يقف الخطيب على مـــا يحتـــاج أن يشير به في واحد من الأشياء التي يختارها ، وليس يحتاج عتد الإشارة بالزيادة في النبات أن يكون فلاحا ، ولا في الحيوان أن يكون راعيا ، لكن يكفيه فـــي ذلك معرفته بمقدار الحاجة إليها ، لكنه يحتاج مع هذا أن يكون عالمـــا بالـــسير المتقدمة في هذه الأشياء . وما عند الناس فيها "[١] .

إن الجمهور حينما يجد قولا يتصل بيومه . وحياته . ينتبه إليه وإن فآته منه شئ سأل عنه . إشباعا لنفسه التي أثارها هذا المقال .

وليس معنى مراعاة الخطيب لمناسبات الجمهور ألا يوجه لهـــم أمـــرا جديدا ، لا يأمرهم به ولا ينهاهم عنه ، وإنما الذي نقصده أن يكون مع النـــاس في مناسباتهم . ويحول الأمر ببراعته إلى ما يريد . ولا يكون بعيدا عن الناس فيتخلف أو ينعزل .

ولقد كانت خطابة النبىﷺ مثالا لهذا التناسب الذي نتمناه.يصفها الرافعى فيقول : " إن خرجت قلت : أنين من فؤاد مقروح ، وإن راعت بالحكمة قلت : صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع . ويشتد فينزو بالدماء[٢] ولا غرابة في هذا لأن النبى ﷺ صناعة إلهية من أجل الناس وقد أدبه الله تعالى فأحسن التأديب " .

ونحن لا نطالب الخطيب أن يكون على هذا المستوى المعجـــز ،ولكنـــا

١- تلخيص الخطابة صـــ٣٦

٢- البلاغة النبوية صـــ٣١١

نطالبه أن يسير على الدرب المرسوم ، خاصة بعد أن بـين العلـم الطريـق ، وطالب بضرورة مراعاة المناسبة والتوافق بين المقال والناس .

إن الإحاطة بالاتجاهات النفسية ، ومعرفة عقلية الجماهير ، والوقـوف على المناسبات المختلفة يمكن الخطيب من اختيار الموضوع المثير . وانتقـاء الدليل المناسب ، ومراعاة مقتضى الحال .

وكثير من الخطباء يغفل عن تخير الموضوع المناسب للواقع الذي يوجد فيه ، ويتصور أن أى موضوع كاف ... وهذا أمر غير صـحيح ، ولا يفيـد الخطيب في شئ ، لأنه يؤدى إلى انصراف الناس ، وعدم اهتمامهم بالموضوع المعروض .

ولا يمكن القول إن هناك من الموضوعات المناسبة قـضايا لا يـصح الخوض فيها وبخاصة وسط الخلافات المدهبية ، والانقسام السياسى .

لا يصح ذلك لأن الخطيب الناجح يمكنه الدخول في هذه الموضـوعات ويناقشها من زاوية دينية خالصة ، يفيد بها الناس ، بعيدا عن محـل التنـازع والخلاف .

المرحلة الثانية

إيجاد العناصر

إيجاد العناصر وتركيبها هو المرحلة الثانية في إعداد الخطبة ، ذلك أنه في المرحلة الأولى حدد الموضوع . وبعد ذلك يحتاج إلى تحديد العناصر . ليختار الدليل مع كل عنصر واضعا في ذهنه الأسس التي اكتسبها من المرحلة الأولى ، وقد سمى ابن سيناء هذه المرحلة بـ " العمود " لأنها الأساس المكين في الخطبة ، وعليها المعول الأكبر في الترتيب والتنسيق . وعلى الخطيب أن يحدد عناصر الخطبة ويميز كل عنصر على حدة . ويجعل كل العناصر تدور حول موضوع واحد .

ويستحسن للخطيب أن يوجز هذه العناصر في كلمات قصار ، لكى تدوم معه ويتمكن بعد دوامها من جمع الأدلة المناسبة لكل عنصر .

ومما يعين في تعيين العناصر القراءة في المراجع العلمية . والتفحص العقلى للموضوع ، ووضوح الهدف من الخطبة كلها .

وتشمل العناصر في مجملها مع أى موضوع النقاط التالية :

أ ــ إيراد مقدمة تحدد صورة البداية ، وتعرف بعنوان الموضوع بطريقة يختارها الخطيب .

ب ــ تقسيم الموضوع إلى عناصر مع ترتيب هذه العناصر ترتيبا يرضى به العقل العلمى والمنطق السليم .

ج ــ ترتيب جزئيات العنصر الواحد .

د ــ الختام حيث الوصايا وإظهار الهدف .

ويجب أن تكون العناصر مترابطة مسلسلة بحيث يأخذ كل عنصر بحجز صاحبه بلا خلل . وغير بعيدة عن الموضوع ، وبخاصة أن الاستطراد غير

مستحب في الخطبة . ومن أمثلة إيجاد العناصر في خطبة عنوانهـا " **الإيمـان طريق السعادة** " ما يلي :

أولا : تحديد المقدمة للموضوع وفيها إشارة للموضوع بآية قرآنية ، أو حديث نبوى ، أو بسؤال ، أو بغير ذلك .

ثانيا : الدخول في تحديد العناصر وهى :

أ ــ التعريف بالإيمان وصلته بالسعادة والرضى .

ب ــ بيان أركان الإيمان .

ج ــ طرق اكتساب الإيمان .

د ــ الأثر الإيمانى في الفرد والجماعة .

ه ــ مناقشة الواقع وما عليه الناس إيمانيا .

و ــ ضرورة تصحيح المسار الإيمـانى لتحقيـق السعادة .

ثالثا : الختام ويكون بذكر حديث أو قرآن ، أو بإشارة إلى الموضوع :

ومن أمثله العناصر في خطبة اجتماعية عنوانها " **أهمية التعـاون فـي الإسلام** " ما يلي :

أولا : مقدمه تشير إلى الموضوع

ثانيا : تحديد العناصر وهى :

ــ التعريف بالتعاون الخير ، وبيان الفرق بينه وبين غيره من صور التعاون الآثم .

ــ بيان تنوع التعاون بتنوع العمل .

ــ اهتمام الإسلام بنشر التعاون بين المسلمين .

ــ صور من التعاون الخير قديما وحديثا .

ــ فوائد التعاون .

ــ أضرار التفرق .

ثالثا : الختام ويشتمل على توصيات وتوجيهات

وبالممارسة ، والدقة ، وتتبع قواعد العلم ، يسهل اختيار العناصر بشرط تماسكها ، وتناسقها .

ويمكن أن تختلف عناصر الموضوع الواحد عند شخص وعن غيـــره ، لأن لكل عقل مجالة ، ولكل خطيب توجهه ... وكل ما نرجوه هـــو التناســـق والتكامل بين العناصر في كل خطبة على حدة .

وبتحديد العناصر تبدأ الخطوة العملية في تركيب الخطبة .

وقد ضرب لنا ابن رشد في تلخيصه لكتاب الخطابة أمثلة لعناصر بعض الخطب لكي تحتذى .

يقول ابن رشد : إن المشير بالحرب يحتاج أن يعرف .

ـــ قوة من يحارب .

ـــ وقوة بمن يحارب .

ـــ ومقدار الأمر الذي ينال بالمحاربة .

ـــ وحال المدينة في وثاقتها وحصانتها وضعف أهلها وقوتهم .

ـــ وأن يعرف شيئا من الحروب المتقدمة[١] .

وهذه كلها أهم عناصر الخطبة التي يجب أن يحيط بها الخطيب ، وهو يتحدث عن القتال ، وعلى هذا النمط تكون العناصر في الموضوعات الأخرى .

ويمكن للعلماء والمشرفين على تعليم وتدريب الخطبـــاء أن يعرضـــوا العديد من الموضوعات أمام طلاب الدعوة ، ويكلفوهم باستخراج عناصر كـــل موضوع ، ومناقشتهم بعد ذلك ، وبذلك يتقن الطلاب عملية استنباط العناصـــر من الموضوع .

وتحديد العناصر مسألة مهمة في الإعداد لأنها تمثل الهيكـــل العظمـــى للخطبة ، وإذا لم تحدد سلفا يحدث خلل في البناء النهائى للخطبة .

١- تلخيص الخطابة صـــ٣٧

المرحلة الثالثة
اختيـــار الأدلـــة

بعد الاستقرار على موضوع الخطبة ، وتقسيمها إلى عناصرها الأساسية يأتي دور البحث عن الأدلة والبراهين التي تعين الخطيب على بيان موضوعه . وإفهام المستمعين ، وهذا يحتاج إلى تحديد نوعية المصادر التـــي تفيـــد كـــل موضوع ، فمثلا مصادر الخطبة الدينية أساسا هي الكتب المقدسة ، ومـــا دار حولها من دراسات واجتهادات العلماء والخطبة السياسة تختلف مصادرها عـــن تلك . وهكذا ...

ويرى العلماء أن الأدلة منها ما يتصل بالموضوع اتـــصالا مباشـــرا ، ومنها ما يتصل بطريق عرضي غير مباشر .

وعلى من يتصدى للخطبة أن يختار أدلته في إطار الجوانب التالية :

١ــ أراء أهل التخصص :

للقلم رجاله ، وللسان أهله ، ولكل فن أصدقاؤه الذين تعلموه . وأتقنوه وتخصصوا فيه ، وحينما يحتاج الإنسان إلى رأى ما فواجب عليه أن يسأل صاحبه الذي تخصص فيه . يقول اله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[١] ذلك أن أهل التخصص يجيدون الفتوى في موضوعهم ، ويعرفون طريق الصواب في الأمور التي يشيرون فيها ، وقد درج الناس جميعا منذ القديم على توجيه السؤال إلى من يعرف صوابه . أو من يظن فيه ذلك .

إن اشتمال الخطبة على أقوال أهل التخصص يقنع المخاطبين بسهولة ، ولذلك كانت أقوال الحكماء والأئمة مفيدة في بابها ، و أصبح الاستشهاد بها أمرا

١- سورة النحل آية ٤٣

ضروريا على الخطيب أن يستعين بها حتى يصل إلى غرضه .

ومما يساوى أقوال أهل التخصص في عملية الإفتاء ، والقوانين وخاصة في الخطب القضائية ، إن المحامى الناجح يستطيع بقدرتــه علــى الاستــشهاد بالقوانين أن يقنع القاضى ويستميل الجمهور إلى جانب الحق الذي يدافع عنه .

ومما يساويها كذلك العقود المسجلة والشهادات المشهورة الــصادقة لأن الإنسان أكثر إلفا بمثل هذا . حيث أنه كالمحسوس المشاهد . بعدما رآه بعقلــه وعايشه بفكره ووجدانه .

إن الواجب على الخطيب ــ أيا كان ــ أن يهتم بمثل هذه الأمور فــي أدلته حتى يتمكن بسهولة من أداء دوره .

٢ـــ مراعاة مواطن العقيدة :

التدين ميل فطرى في الإنسان . لأنه حاجة من حاجات نفسه ، ونزعة داخلية لا يستطيع العقل أن يفسرها . أو يقدم تحليلا لمكوناتها .

وأصحاب العقائد على اختلافهم يحاولون اكتساب هذا الميل في الإنسان إلى جانبهم ، حتى يطمئنوا إلى حقيقة الدوافع في الإنسان .

وقد أصبح هذا الميل في الإنسان ملازما لدين ما ، وخاصة عند العامة الذين تلقنوا هذه الملازمة بلا تفسير ، ونقلوا إلى ذويهم بلا تعليل . حتى أصبح من الأمور البدهية أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين ، ونقصد بالدين هنا المعتقد الذي يلمس شغاف القلب . ويكون سببا في دفع صاحبه إلــى الحركــة والعمل . سواء كان هذا الدين في إله حقيقى ، أو صنم ، أو وثن أو شــخص . أو فكرة أو ما شابه ذلك .

والدين بهذا المفهوم الواسع هو محرك الوجدان ، وموقظ الهمم ، وقــد سمعنا عن أفراد وثنيين في أفريقيا يقتلون أنفسهم تنفيذا لأمر من الكهنة ، وهناك المذاهب التي تربى أتباعها على حرمان النفس وتعذيبها . لا لشئ إلا ليتعــودوا الطاعة العمياء والخضوع الدائم لفكرة العقيدة .

والمسلمون الأول بسبب إيمانهم الخالص بدين الله ، وحبهم المطلق لرسول الله ﷺ كانوا يندفعون في الإتباع والتنفيذ لكل ما يسمعون . مضحين بالغالى والنفيس . ومن أجل هذا كان على من يتصدى لعملية التأثير أن يلاحظ موطن العقيدة في المستمعين فإن كانت العقيدة حقه استشهد بها في خطبة . ونقل من نصوصها في أدلته ، وأن كانت باطلة استغل ما فيها من حق ليبطل باطلها به ، وبذلك يحق الحق بلا تصادم أو صراع . ومثال ذلك ما علمه الله عز وجل لرسول الله ﷺ حيث قال تعالى﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[١] فهو يدعوكم إلى الأمور المسلمة لديهم ليثبت التوحيد ، ويحق الحق بعد ذلك انطلاقا من المسلمات المشتركة .

والخطباء المسلمون عليهم أن يهتموا بهذا الشأن في الدليل حتى يحققوا الإقناع واليقين . وعليهم أن يعرفوا أن القرآن الكريم والسنة النبوية يفيدان — أسلوبا وتأثيرا — لما لهما من إعجاز وبيان . ولكونهما مصدرين دينيين .

ومن هنا فإنا نهيب بالخطباء المسلمين أن يرجعوا إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وآثار السلف الصالح ليختاروا منها الأدلة والنصوص المناسبة للموضوع .

وقد عد الاستشهاد بالنصوص من المواضع العرضية لأنه ليس من الموضوع ذاته ، بل هو دليل عليه . يفيد اليقين والجزم ، لأنه من مسائل بالدين المقدسة التي تفيد الإقناع والتصديق .

٣ــ العادات وآثار السلف :

يتصرف الناس وهم مرتبطون بعاداتهم وآثارهم وكثيرا ما نرى هذا

١- سورة آل عمران آية ٦٤

الارتباط في قوة لها تأثير ساحر على كل جوانب الحياة .

يقول باسكال: "ماذا تكون مبادئنا الفطرية إذا لم تصدر عن العادة ،فالعادة هي طبيعة ثابتة تقوض أركان الأولى ، ومنها نأخذ أشد أدلتنا قوة ، وأكثرها فيضا ، وهى التي تعين وجهة النفس دون أن يفكر الإنسان ، وبها يصبح الإنسان نصرانيا ، أو وثنيا ، أو محترفا ... الخ "[١] .

ويقول جوستاف لوبون : " لو أن قدرة خارجة جعلت الإنسان أو الشعب يهرب من تأثير عاداته لأصاب الفالج حياته فجأة لأن العادة هي التي تملى علينا كل يوم ما يجب أن نقوله . وما يصح أن نغفله وما يحسن أن نفكر فيه " [٢] .

ومثل العادات في قوة التأثير آثار السلف . ذلك أن الأحياء يتخذون أعمال سلفهم تكأة يعتمدون عليها ، وينطلقون فيها ، كأنها وصية مقدسة واجبة الإتباع .

إن دعوة الرسل صادفت عنادا من المقلدين الذين تمسكوا بمواريث أجدادهم ، وكانوا دائما يقولون : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ [٣] ﴾ .

يقول جوستاف لوبون . " تقدم علم تركيب الأجسام . من يوم أن بين علم التكوين مقدار تأثير الماضي في تطور الكائنات ، وسيتقدم علم التاريخ أيضا حينما ينتشر هذا ، لأن الأمة جسم منظم أوجده الماضي . فهى كغيرها من الأجسام ، لا تستطيع الانتقال من طور إلى طور إلا بتراكم آثار الوراثة فيها على مهل "[٤] .

١- الخطابة صـ٤٠

٢- الخطابة صـ٤٠

٣- سورة البقرة آية ١٧٠

٤- الخطابة صـ٤٢

وواجب على الخطباء أن يلاحظوا تأثير العادات والآثار القديمة وقت إعدادهم للخطبة حتى يتمكنوا من التأثير . وحمل الناس على ما يريدون .

وكثيرا ما تكون العادة عائقا في التقدم ، وهنا يحتاج الخطيب أن يتعامل معها برفق ، وينقدها بهدوء ويستمر في ذلك حتى يقلع الناس عنها ... وعليه أن يستبدل بها عادات جديدة تساعده فيما يريد .

لقد جاء الإسلام إلى عادات العرب وحولها إلى عادات إسلامية مقبولة ولم يعمل على هدمها وبترها مباشرة لأن التصادم المباشر لا يحقق الغاية ويؤدى إلى عكس المقصود ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1] .

لقد حول المنهج الإسلامى العصبية للقبيلة إلى حماس للإسلام ، وحول حب القتال والسلب إلى حب للجهاد والشهادة ، وحول ولعهم بحفظ الإشعار والخطب إلى حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية ... وبذلك أهتم بالعادة ، وترقى بها . وهو الأمر الذي ينادى به العلماء في العصر الحديث . وهو ما يجب أن يهتم به الخطباء .

١- سورة الأنعام آية ١٠٨

المرحلة الرابعة
التعبيـــر البيانـــى

تدور هذه المرحلة مع الخطبة قبيل ظهورها إلـــى النـــاس ، وتتـــصف بالأهمية والضرورة ، لأنها مرحلة تسم صاحباتهم بقدرها وتعطـــى للمراحـــل السابقة نفس الجودة التي تظهر بها . فلو أجادت فهو أثر لجودة المراحل الثلاثة ولو ضعفت فلا جودة لشئ بعدها ، وأيضا فهى مرحلة خاصة بالخطبة لأن فن المقال والكتابة يعيش مرحلة التعبير في التركيب ، أما مرحلة التعبير مـــستقلة فهى خاصة بالخطبة حيث تقوم بصنع دور الملاءمـــة بـــين الخطبـــة . وبـــين موضوعها . ومقامها الذي ستلقى فيه،وهذه الملائمة تفرض مغايرة بين التعبير الخطابى وبين غيره من فنون المقال . ولذلك أختصت الخطابة بهذه المرحلة .

والتعبير الخطابى يحتاج إلى جمال الأسلوب ، وموسيقى اللفظ، وينبنـــى على الفصاحة والبلاغة ، ويؤمن بالتكرار والتأكيد ، ويعرف الاستشهاد المؤثر ويصاحب التمثيل الصوتى والتعبير الحركى ، وينادى بمراعاة حال المستمعين وأفهامهم . ومن هنا جاز للتعبير الخطابى أن يغاير سواه .

إن الكاتب قد يكرر ويعلل ويحلل ، أما الخطيب فإنـــه يقـــذف بكلماتـــه فيتلقاها الجمع في سرعة لا يتيسر له مراجعتها أو التوقـــف لتفهمهـــا ، لأنـــه مضطر إلى متابعة الخطيب وتلقف ما يقول .

لابد للخطيب أن يكون مع الناس بأسلوبه المبسط ، ومعانيـــه الـــسهلة ، وإقناعه الملزم .

وقد وجه أرسطو في مؤلفه ست نصائح للخطيب تتعلق بالأسلوب قال :

١- أول ما يحتاج إليه الخطيب أن يتأدب بلسان القوم الذين هو خطيب بلسانهم ، ويعلم متى تكون مخاطبتـــه فـــي جميـــع أقاويله على أفضل ما جرت به عادة أهل ذلك اللسان .

٢- وعليه أن يستعمل الأسماء الواضحة والاصطلاحات المفهومة بعيدا عن الأسماء العامة المبهمة والمصطلحات الغامضة .

٣- وعليه أن يختار الأساليب ذات الدلالة الواحدة الواضحة حتى لا توهم الشئ وضده وتضلل السامع ، وتبعده عن فهم المراد .

٤- وعليه أن يحافظ على قواعد اللغة وأصول الفصاحة والبلاغة ليخترق سمع وقلب المستمع الألفاظ الدالة على المذكر والمؤنث .

٥- وعليه أن يحتفظ باستعمال أشكال الأسماء الدالة على الواحد والاثنين والكثير بطريقة عادية بلا تقعر أو خفاء .

٦- وعليه أن يكون كلامه سهل التفسير[١] ، واضح العبارة مفهوم المعنى .

وهذه النصائح لأرسطو لها أهميتها القصوى لأن الخطيب إذا تحدث بلغة غير لغة القوم لا يفيد سيئا ، ولا يسمع له أحد ، وإذا خلا كلامه من الفصاحة والبلاغة والإعراب نظر إليه مستمعوه على اعتبار جهله ، وعجزه وحينئذ لا يفيد شيئا .

ويجب الاهتمام بالأسلوب كما يجب الاهتمام بالمعانى فهما معا موطن البلاغة والفصاحة .

ونلاحظ أن أرسطو يطلب الخطاب بلغة المستمعين السهلة الخالية من ألفاظ الشيوع والتناقض . وأن يكون الكلام على وفق القواعد النحوية والفصاحة والبلاغة وهو ما نوافق عليه .

وقد أثيرت في القديم والحديث قضية تدور حول الاهتمام بالأسلوب وحده ، أو بالمعنى وحده ، أو بهما معا . وقد دار الحوار حول أيهما البلاغة .

١- تلخيص الخطابة صـ٢٧٢ ـ ٢٨٥ بتصرف .

وقد انتصر للأسلوب بعض الأدباء منهم الجاحظ وأبو هلال العسكـــرى يقول الجاحظ : " **والمعانى مطروحة يعرفها العجمى ، والعربى ، والبـــدوى ، والمدنى ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج** "[١] .

ويقول أبو هلال العسكرى : " **وليس الشأن في إيراد المعانى يعرفهـــا العربى والعجمى والبدوى ، وإنما هو جودة اللفـــظ . وصـــفاؤه . وحـــسنه . وبهاؤه . ونزاهته . ونقاؤه . وكثرة طلائه . مع صـــحة الـــسبك والتركيـــب والخلو من أود النظم والتآلف** "[٢] .

إن البيان الخطابى يعتمد على الأسلوب وعلى المعانى ، ويحتـــاج إلـــى بلاغة اللفظة والجملة ، وإلى دقة المعنى ووضوح الدلالة ، ولا يغنى أحـــدهما عن الآخر .

لأنه لو اختل واحد من اللفظ ، أو الأسلوب ، أو المعـــانى ، لأدى إلـــى فقدان الخطبة لرونقها . وضياع عنصر تأثيرها . ذلك لأن التأثير الخطـــابى لا ينشأ من اللفظ وحده ، وإنما ينشأ بما بين اللفظ والمعنى من التناســـق ، ومـــن الملاءمة بينهما وبين مقتضى الحال .

يقول عبد القاهر : " **إن اللفظ الجميل ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف ، وإلى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المـــرء فـــي فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده** "[٣] .

ويقول فولتير : " **الصورة والفكرة كالجسد والروح . وهما في رأيـــى شأن واحد ، وكلما كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها أجمل ، إن دقة الألفاظ من دقة المعانى ، أو هذه هي تلك** "[٤] .

وفى رأيى إن هذا الاختلاف ظاهرى فقط ، لأن من قال: إن البلاغة في

١- الحيوان جـــ٣ صـــ٤٠

٢- كتاب الصناعتين صـــ٨٧ .

٣- أسرار البلاغة صـــ٣

٤- فن الخطابة صـــ١٨

الألفاظ لم يهمل المعنى لأن للألفاظ دلالاتها ، وكل كلمة تدل على مرادهــا ... كما أن من قال بضرورة الاهتمام بالمعانى لم يهمل الألفاظ ، لأن عبــر عــن توجهه بألفاظ بليغة جميلة .

ومن هذا كله نرى أن تحسين اللفظ يجب أن يكون بجوار تحسين المعنى وأنه لا غنى للخطيب عن المعنى المحكم ، لأنه عمود الكلام . والمقصد الأسمى ولا غنى له كذلك عن اللفظ الجميل لأنه بهاء القول وزينته . غير أنه يجب أن يلاحظ أن يكون التحسين طبيعيا بلا تكلف واضــح . أو صــنعة ظــاهرة لأن التكلف يفسد اللفظ ، ويضيع المعنى معه .

يقول قدامة بن جعفر : " ومن الأوصاف التي إذا كانت في الخطيب سمى سديدا . وكان العيب في خطبته بعيدا ، وهو أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جاريا على سجيته ، غير مستكره لطبيعته ، وحسبك من ذم التكلف أن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ بالتبرؤ منه . فقال تعالى ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[١] "[٢] .

ويقول ابن رشيق : "**وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، وقد قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمنا ، وأعظم قيمة ، وأعظم مطلبا** "[٣] .

وممن انتصر للمعنى فقط أميل زولا . حيث يقول : " **ليس مطلق الحق أن الكاتب يكفيه أن يعنى كل العناية بأسلوبه ليشق له في الأدب طريقا يبقــى على الأبد ، إن الشكل عرضه للتغير والزوال بسرعة ، ولابد للعمــل الكتــابى قبــل كل شئ أن يكون حيا بمعناه خاصة** "[٤] .

وهناك كتاب معاصرون ينادون بأسلوب التلغراف وهو الأسلوب الــذي يهتم بالمعنى وحده ويورده في ألفاظ قليلة لا صلة لها بالفصاحة أو البلاغة .

١- سورة ص آية ٨٦
٢- الخطابة صـ١٣٧
٣- العمدة جـ١ صـ٨٢
٤- فن الخطابة جـ١ صـ١٧٨

والرأى الراجح الذي أميل إليه هو الاهتمام بهما معا لما لكل منهما من أثر وفائدة كما بينه هؤلاء في الجملة ، ومن المعلوم أن ضخامة المبنى دليل على ضخامة المعنى وأن الجمال في حقيقيته مظهر ومخبر فكم من فتاة جميلة نشأت في منبت السوء لا تستفيد بجمالها ، وكم من متوسطة الجمال حسن خلقها وطبعها فسبقت الكثير .

وحين نرجع إلى البلاغة نراها تهتم بالفصاحة ، والجمال في مجاز والتشبيه ، والبديع ، وفى نفس الوقت يهتم بالمعنى ، والدلالة ، والوضوح .

وحين نعود للقرآن الكريم نجد الإعجاز في اللفظ والمعنى ...

وهذا كله يحتم على الخطيب ضرورة الاهتمام بجمال ألفاظه ، وحسن المعانى ، وحتى نيسر الأمر للخطيب أتحدث هنا عن نقطتين :

الأولى : خصائص التعبير الخطابى .

الثانية : الفرق بين التعبير الخطابى والتعبير الكتابى .

وذلك على النحو التالى :

النقطة الأولي
خصائص التعبير الخطابى

التعبير الخطابى أساسه اللفظة . ومنها يتكون الأسلوب ، وتوجد المقاطع والفقرات ، وتظهر الخطبة كلها . ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة خصائص اللفظة مفردة ، وخصائص الأسلوب مكونا من كلمات ، وخصائص المقاطع الخطابية ، ومدى مساهمة كل هذا في نجاح الخطبة ، وذلك فيما يلي :

١ـ خصائص اللفظ

اللفظ المفرد رمز للمعنى المفرد ، وهو أساس الكلام كله مكتوبا أو ملفوظا . وللفظ فصاحته البادية من تلاؤم حروفه ، وعدم غرابته ، وسلامته من الشذوذ . وإذا انضم اللفظ إلى غيره صنع إسنادا لغويا له معناه الأوسع ، ولذلك قال البلاغيون : لكل كلمة مع صاحبتها مقام .

وفى الخطبة يجب أن يتميز اللفظ بما يلي :

أ ــ أن تكون الكلمة فصيحة بمعنى تلاؤم حروفها ، وسلامة نطقها ، وبعدها عن الشذوذ اللفظى المعيب ، وقد ضرب البلاغيون صورا لألفاظ غير فصيحة مثل قول العرب (تكأكتم) بمعنى اجتمعتم فقد تنافرت حروفها ، وصعب النطق بها ... ومثل قولهم (افرنقعوا) بمعنى انصرفوا لبعد المعنى المقصود منها .

ب ــ أن يكون اللفظ سهل الإدراك ، مكشوف المعنى . متفقا مع مألوف السامعين لا يغرب عن تفكيرهم ، ولا يشذ في دلالته ، ولا يكون وحشيا غريبا مستهجنا .

إن اللفظ لو لم يكن سهل الدلالة على المعنى فإن المستمع لا يفهمه وحينئذ ينقطع الاتصال بينه وبين الخطيب ، وبذلك ينصرف المستمعون عنه ، ويتصورونه ناطقا بغير لغتهم ، ويتخيلونه غريبا

لا يعرفهم ، وهذا الانصراف ليس من حاجات الخطبة ، لأنها تبحث عن الاستمالة والجذب .

ومن المعلوم أن اللفظ الغريب يؤدى إلى البعد والنفور .

وقد سمى أرسطو الكلمة السهلة بالكلمة " المستولية " لأنه يراها تشد الانتباه ، وتستولى على العقول وتصنع رباطا قويا بين الخطيب والجمهور .

وفسرها ابن رشد بقوله " هي اللفظ الخاص بأهل لسان ما ، وتكون مشهورة عندهم ، سهلة دالة على المعانى التي وضعت لها من أول الأمر من غير . تفسير وتأويل ويقول : " **والألفاظ المستولية تجعل القول محققا** " **ويصفها أرسطو بأنها الكلمة البهية النبيلة غير الحقيرة**[1] .

وعلى الخطيب أن يتخذ ألفاظه سهلة ، بسيطة ، حاوية لفصاحة الكلمة من كافة جوانبها .

ج ـ أن يكون اللفظ عربيا بعيدا عن العجمة ، بعيدا عن العامية ، نـاء عن التسفل . لأن ذلك يذهب رواء الخطبة ، ويضيع بهاءها ، وأعظم ألفاظ الخطبة هي الألفاظ السهلة الممتعة ، وواجب على الخطيب أن يرفع العامة إليه ، ولا ينزل هو إليهم .

يقول بشر بن معتمر " **فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ** "[2] .

ونحن نرغب في الخطيب أن يكون بليغا جامعا لخصائص البلاغة وشروطها .

١- تلخيص الخطابة صـ٢٥٧ ، ٢٦٠

٢- الخطابة صـ١٤٢

د ــ أن تكون ألفاظ الخطبة مثيرة للخيال ، موقظة للهمم : وذلك بأن تهيج الوجدان ، وتهز النفس بالسرور والاطمئنان ، أو بالسخط والغضب . وذلك كاستعمال كلمة " **الأخ** " في قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1] لأن الإنسان حين يدرك أن الغيبة تشبه أكل لحم الأخ حيا فإنه يستقذر ذلك ، وينصرف عنه ، وكلفظ " **المؤمنين** " في النداءات الموجهة إليهم . لأن وصف الناس بالإيمان يدفعهم إلى الاستجابة .

ومن الألفاظ المثيرة كلمات الحرية ، والمساواه ، والعدل عند قوم يشعرون بالظلم ويتمنون العدل . ومنها لفظ الدين ، والشريعة ، وحق الله عند قوم يحبون دينهم ، ويتمنون التمسك به .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " يلاحظ أنه لا يحسن وجود هذه الألفاظ المثيرة في الخطبة إلا بشرطين :

أحدهما : الملاءمة التامة بين هذه الألفاظ وبين الموضوع الذي تقال فيه.

ثانيهما : ألا تكون تلك الألفاظ قد أبلاها الاستعمال . وصار ذكرها يؤدى إلى الابتذال "[2] ، وذلك في حال كثرة استعمالها للدعاية الكاذبة الخالية من التنفيذ والعمل ، لأن المستمع من كثرة ترددها لا يلتفت إليها ، ويشعر بجو من الكذب والنفاق .

والخطيب يستطيع أن يستفيد كثيرا من ألفاظ القرآن الكريم فلقد جاءت متآلفة دقيقة . تجعل المطلع عليها يؤمن بأن اللفظة لم تخلق إلا للمكان الذي وضعت فيه سبكا في الأسلوب ، وتأدية لدورها في المعنى .

١- سورة الحجرات آية ١٢

٢- الخطابة صـ١٤٤

ولقد دعا القرآن الكريم إلى عدم استعمال لفظ مكان آخر يقول تعالـــى ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ [1] ﴾ . فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ . ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة بوضوح . فالقرآن شديد الدقة في ألفاظه . ومعانيه ولذلك وجه الأعراب إلى التعبير الصادق الدقيق .

أنظر إليه ينكر كلمة حياة في قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [2] ﴾ . فنراه بذكر كلمة " حياة " ليشير إلى تفاهة الحياة التي يرجوها هؤلاء ، بينما يعرف نفس الكلمة في قوله تعالى ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ [3] ﴾ . ليشير إلى عظمة الحياة الآخرة بعد الموت .

والمؤلفات في إعجاز اللفظ القرآني وإعجاز معانيه كثيرة فليرجع إليها من يريد التوسع .

إن الواجب على الخطباء أن يهتموا بإختيار ألفاظهم خاصة وهم في مرحلة الإعداد ، لأن ذلك أدعى لأن يقدموا للجمهور خطبا جادة . تثير الوجدان وتوقظ الهمم . وبذلك يفيدون ويستفيدون .

٢ـــ خصائص الأسلوب

يتكون الأسلوب من الألفاظ المفردة ، وما دامت ألفاظ الخطبة سديدة فواجب أن يكون الأسلوب كذلك ،وهذا لا يتأتى إلا إذا جمع الأسلوب مجموعـــة

١-سورة الحجرات آية ١٤
٢-سورة البقرة آية ٩٦
٣-سورة الفجر آية ٢٤

من المزايا من أهمهما :

أ ــ فلا بد أن يكون الأسلوب متلائم الكلمات ، متآلف التراكيب ، بحيث تنساب الجمل من لسان الخطيب ، وكأنها نغم يلمس أذن المستمع ، ويمده بالشجن والسرور .

ويجب أن يكون واضحا أن الكلمات إذا تنافرت فيما بينها ، تضر الخطيب والخطبة والمستمعين لأنها تخرج من الخطيب ثقيلة نابية وتؤدى إلى غموض الخطبة وخفاء معناها وغموض هدفها ، وتصيب المستمعين بالسأم والملالة ، لأنها تفقدهم روح الانتباه والميل للاقتناع .

وقد ذكر ابن الأثير أن من بلاغة الكلام أن تكون كل كلمة مع أختها متعاونة معها ، تشاركها في إظهار المعنى بصورة متكاملة ، وبذلك لا يكون الكلام فلقا نافرا عن مواضعه[1] .

والكلام المنظم المترابط المتعاون في إعطاء معناه مثل العقد المنظوم حيث تساعد كل لؤلؤة أختها في إبراز حسنها وزينتها . وحين تتنافر لا تظهر شيئا ، ولا أثر لها ، ولذلك قال العرب : لكل كلمة مع صاحبتها مقام ، لأنها يشتركان في أداء المعنى الواحد في المقام الواحد .

والخطيب يستطيع تحسين أسلوبه بانتقاء التراكيب الجميلة ، ووضعها في موضعها اللائق ، ويساعده على ذلك أن يطالع أساليب البلغاء ، ويفحصها بطريقة الدراسة التحليلية ، هذه الطريقة التي عرفت بالقراءة الأدبية حيث يقف القارئ أمام كل كلمة في النص . يتبين ما يوحى به من معانى . ويرى ما يحيط بها من الظلال . ويتأمل سر اختيارها . وتفضيلها على غيرها .

١- الخطابة صـــ١٤٩ نقلا من المثل السائر

وبعد ذلك يستخلص ما فيها من خواطر ومعان .

والقارئ في هذه الحالة يمر بثلاث مراحل :

التـــذوق

النقـــد

الحكـــم

فهو حين يقرأ إلى الجملة ليرى فيها حسن الفصاحة ، وجمال البلاغة ، ومدى دلالتها على مرادها ، ودورها في إظهار المعنى ، وحينئذ يتذوق بعقله حسنها ... وعليه بعد ذلك أن يبحث عن المماثل للكلمة وينظر في استعمال هذه الكلمات المماثلة ليرى أيها أولى بالاستعمال ، ويستمر في بحثه حتى يستقر على لفظ معين ، وأسلوب خاص .

ولنأخذ مثلا موضحا من القرآن الكريم . يقول تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝[١] ﴾ ألا ترى ما في اختيار كلمة " الناس " وما في عمومها من عدم مجابهة المنافقين بتعيينهم ، وفى ذلك ستر عليهم ، وإغراء لهم بالإقلاع عن نفاقهم ، ذلك أنهم ما داموا لم يعينوا فمن المتوقع أن يصغوا إلى القرآن ، فربما انصرفوا عن غيهم إذا استمعوا إلى تصوير حال ضلالهم ، ولو أن القرآن جبههم بكشف الستار عنهم لا نصرفوا معرضين ...

وكلمة " يقول " في الآية توحى بأن إيمانهم لم يتعد أفواههم ؛ وأجرت الآية الإيمان على ألسنتهم بصيغة الماضى في قوله " آمنا " زيادة في التمويه والخداع منهم .

وخص الإيمان بالله واليوم الآخر لأن الإيمان بهما يجمـــع كـــل

١- سورة البقرة آية ٨

إيمان ... واختار في ختام الآية نفى الإيمان عنهم في قوله تعالى "**وما هم بمؤمنين**" ليدل بها على استقرار هذا النفى ، وثباته ، ودوامه ماداموا متمسكين بنفاقهم .

هذا مثال للقراءة التحليلية . والقرآن كله كذلك . وعلى الخطيب أن يعتنى بانتقاء أسلوبه على هذه الوتيره ليتلاءم أسلوبه ، وتتآلف جمله ، وتظهر الخطبة جميلة وافية .

ب ــ لابد للأسلوب أن يكون جامعا لعديد من فنون التعبير كان تأتى فقرة بأسلوب الإنشاء ، وأخرى بأسلوب الخبر ، وثالثة فيها التشبيه ، ورابعة فيها المجاز والبديع ... وهكذا يتنوع الأسلوب ويمكن للخطيب أن ينتقل بالسامع من فن إلى فن طردا للسأم ، وتنشيطا للذهن .

وما دامت سائر التعابير تدور حول المعنى الواحد فجميعها أسلوب جميل ، ذلك أن الانتقال من الإنشاء إلى الخبر ، ومن الاستفهام إلى النفى أو الإثبات يثبت الأفكار ، ويوقظ المشاعر ، ويحمل النفس على الاطمئنان إلى المعانى . كما أن التكرار بهذه الصورة يكون عامل توضيح وجذب .

ومن المعلوم أن الناس مختلفون عقلا وثقافة ، وهذا يحتاج إلى تنوع الأسلوب ليستفيد به الجميع مع تنوع مستوياتهم .

ومن قديم وعلم البيان في البلاغة يعرف بـــ " **أنه العلم الذي يعرف طريقة إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على ذلك المعنى** "[١] فهو علم يدور حول المعنى الواحد المؤدى بتعابير مختلفة غير مترادفة .

١- الخطابة صـــ١٤٩ نقلا من المثل السائر

ومن المعلوم أن البيان قمة البلاغة ، وسيد الأسلوب ، وما أجمل الخطبة التي تشتمل على التشبيه والمجاز والاستعارة لأن كل ذلك يقرب المعنى ، ويؤدى إلى تحقيق المطلوب .

ج ــ لابد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات ، وأن يلاحظ أحوال السامعين لأن مقام التهديد غير مقام التحميس ، وإظهار الألم غير إظهار الفرح ، وقد سبق لنا أن بينا أن أصناف الناس ثلاثة وما يناسب هذا الصنف لا يناسب الصنف الأخر وهكذا .

يقول الإمام الغزالى في القسطاس المستقيم " **واعلم أن المدعو إلى الله بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ، فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير ، وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى ، وإن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوى بخبز البر ، وهو لا يألف إلا التمر ، أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر** "[١] .

ويضرب الغزالى مثالا بالخليل عليه السلام حينما حاج خصمه فقال ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فلما رأى أن ذلك لا يناسبه . وليس حسنا عنده حين رد عليه وقال: ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ عدل إبراهيم عليه السلام حينئذ إلى الأوفق لطبعه ، والأقرب إلى فهمه فقال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ

١- القسطاس المستقيم صــ١١ ــ ١٣

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ ولم يركب الخليل ظهر اللجاج في تحقيق عجزه عن إحياء الموتى إذا علم أن ذلك لا يلائم قريحة الخصم . ولا يناسب حده في البصيرة ودرجته[1] .

وهكذا نجد الإمام الغزالى يدعو إلى تنوع المقامات ، وتعدد الأدلة ليصل إلى إقناع المستمع واستمالته . ومن المعروف البدهى أن الإمداد بالموافق منتج مفيد ، والإمداد بغيره كلا إمداد.

وواجب على الخطيب أن ينوع أسلوبه ويجعله مناسبا للمستمعين وقد اشترط بعض العلماء أن يكون الأسلوب واضحا ، طويلا ، مكررا ، مثيرا . ونحن نرى أن تحقق الخصائص السابقة للفظ وللأسلوب يوجد هذا وغيره .

والخطيب لن يصل إلى المستوى إلا بعد القراءة الكثيرة ، والفهم الواعى ، والحفظ الواسع لكثير من أساليب الغرب شعرا ونثرا .

٣ــ المقاطع الخطابية

يجب أن يختار الخطيب مقاطعة على نظام خاص ، بحيث ينتهى المقطع بعد نهاية جزء تام المعنى . وإن يحتوى المقطع على رنين موسيقى يحسنه في الأذن ويخففه على اللسان .

ومعنى ذلك أن يقوم الخطيب وهو في مرحلة الإعداد بكتابة أسلوبه ، ويجعل لكل عنصر أو جزئية فقرة أو فقرات ، ويتخير لها الأسلوب الأمثل في تنوعه البلاغى ، وتعدده في أداء المعنى .

إن اختيار المقاطع عمل هام من عمل الخطيب ، وكثير من الخطباء قد نجحوا بسبب إجادتهم لهذا الاختيار وقد روى الأحنف بن قيس أن عمرو بن العاص كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام ، وخاض في

١- القسطاس المستقيم صـ١١ ــ ١٣

استخراج المعنى بألطف مخرج . حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه وبين ما يتبعه من الألفاظ .

ومما يجعل المقاطع جملة مقبولة إدخال السجع فيها ليتأكد من سلاسته وجماله ، ولا عيب في هذا التوقف لضرورته لمن يريد الإجادة لخطبته .

يقول ابن الأثير : " **ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة ، حادة ، طنانة . رنانة . لا غثة ولا باردة** "[١] .

وقد كره بعض البلغاء استعمال السجع لما فيه من تكلف وصنعة ، ولكن الحق مع من يستحسن السجع بشرط أن يكون بريئا من التكلف . يقول أبو هلال العسكرى : " **لا يحسن منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجا . ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج** "[٢] .

إن الخطيب داع إلى الله ، وواجب عليه أن يبلغ الإسلام من خلال خطبه ولذلك وجب أن يجهد نفسه لتحقيق الواجب المشروع .

١- المثل السائر صـــ٢٢٥

٢- الصناعتين صـــ٢٤٩

النقطة الثانية
الفـــــرق
بين التعبيرين الخطابى والكتابى

تختلف الكتابة عن الخطابة في عدة نواح أهمها :

١- مدة الخطابة محددة تبعا للمجال الذي تلقى فيه حيث نراهـــا تطـــول الخطب السياسية ، وتقصر في الخطب الدينية والاجتماعية ، وذلـــك لمراعاة حال المستمعين ، وظروفهم ، وأعمالهم ... أما الكتابة فهـــي غير محددة المدة لأن الكاتب قد يؤلف كتابا طويلا ، ويتركه لقـــارئ يقرؤه في أيام متعددة .

٢- الخطابة تقدم موضوعا متكاملا في الخطبة الواحدة بينمـــا يتـــضمن الكتاب الواحد على موضوعات كثيرة تدور حول مـــسألة واحـــدة أو تتحدث عن عدد من الموضوعات .

٣- جمهور الخطبة متنوع الثقافة ، والعقل ، والمستوى بينما يكتب الكاتب لطائفة من الناس يلتقون حول فكره . وهو يكتب لهم .

والفروق كثيرة وهى في جملتها أدت إلى حدوث فروق جوهرية بين التعبير الخطابى والتعبير الكتابى نشير إليها فيما يلي .

أولا : جاذبية التعبير

المستمع يسمع الخطبة مرة واحدة ، وما يفوته لا يجده ، فلو غفل أو سها ضاعت الخطبة منه ، وصار وجوده لسماعها كعدمه وذلك يحتم أن يكون التعبير الخطابى جميل التركيب ، سهل المعنى فيه كثير من المنبهات والمثيرات ، ينتقل بالمستمع من مقام إلى مقام ، ولا يتركه وحده يسرح به الخيال . ويجعله لا يفكر في غير ما يقال ، ولا يكتفى بالنظر إلى الخطيب لا يعى من كلامه شيئا .

ويجب على الخطيب أن يبدأ خطبته باللفظ الجيل ، بارعا في استهلاله

لأن حسن البدء له تأثيره في الانتباه ، ويستمر على هذا الحسن حتى ينتهى من خطبته .

أما الكاتب فإنه يعمد إلى فكرته يسوقها في قالب بيانى ، وبعدها يترك كتابة بين يدى المستمع ، الذى يقرأ فيه حينا ، ويتركه حينـــا ، وقــد يسأم مرة ويقبل أخرى ، وهذا الأمر لا يحتم على الكاتب اســتعمال الألفاظ المنبهة ، والاستعارات الجذابة ، والبديع الأخاذ .

ثانيا : بساطة التعبير

التعبير الخطابى يتناول موضوعا موجزا يلقى في وقت قصير وهـــذا يدعو إلى اختيار الأسلوب السهل البسيط ليصل إلى المستمع مباشرة مفهوما واضحا ... فليس هناك مجال للـــسؤال ، والحـــوار ... ولا مجال للشرح والتفصيل .

أما الكاتب فالوقت أمامه متسع ، ويمكن أن يحاور ويناقش ويجادل ، ويدون كافة الاحتمالات في الموضوع الواحد ويقسمها ، ويحللهـــا ، ويختار منها ما يرى .

لقد حاول أحد الخطباء مرة أن يتحدث عن " توحيد الله تعالى " فأخذ يستعرض أدلة الإمكان والحدوث ومنع التعارض مستشهدا بقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ [١] ﴾ . فضيع الوقت في التقسيم والمناقشة الكلامية ولم يفد شيئا ، لأنه تصور نفسه كاتبا ، ولم يلتزم ببساطة التعبير .

وفى الوقت نفسه خطب غيره في نفس الموضوع " توحيد الله تعالى " فعاش مع آيات الكون ، وبدائع الخلق ، وأسرار الحيـــاة ، وجعلهـــا شاهدة تنطق بوحدانية الله وعظمه فوفى وأفاد .

١- سورة الأنبياء آية ٢٢

وفى هذا دلالة على أهمية الأسلوب السهل البعيد عن التفلسف والتعقيد الخالى من صور المنطق ، وألوان الأقيسة الذي يعرض المنطق في صورة بليغة بديعة ، وبذلك يفيد وينتج المراد .

ثالثا : التوجه إلى الإنسان

الإنسان مخلوق مدرك ، وطرقه إلى الإدراك عقله وعواطفه ووجدانه ولكل منها خط يحركه ، وأسلوب يؤثر فيه .

فالعقل رياضى بطبعه ، يميل إلى الفكرة ، ويرضى بالإيجاز ، ويحب التقسيم والتحليل ، ويرضى بالحقيقة .

أما العاطفة فهي تستثار بالخبر الغريب ، وتحركها الانفعالات ، وتميل إلى الخيال ، وتعشق الإشباع ، وتسعد بالرضى .

والوجدان قوة غامضة ، يحركها إحساس في الإنسان غير مرئى وتدفع الإنسان إلى أعمال غير مقنعة أحيانا ، كمن يحب امرأة عمياء دميمة ... إنها أحبها بوجدانه لا بعقله ، وكمن يتمنى أمرا لا يعرف عنه شيئا بسبب دعاية مثيرة ، ووصف مشبوه .

والإسلام يتعامل من عناصر الإنسان كلها ، فيقنع العقل ، ويشبع العواطف ، ويرضى الوجدان .

وفى الخطابة الموجهة إلى الإنسان يجب ملاحظة هذه العناصر فى التعبير .

فعلى الخطيب أن يهز بأسلوبه أو تار الوجدان ، ويثير الشعور والعاطفة ، ويخاطب الأحاسيس الدقيقة ، ويوقظ الرغبات الكامنة ، وفى نفس الوقت يناقش العقل ، ويخاطب الفكر .

وبهذه الطريقة يتحرك الإنسان كله نحو الخطيب ، أما الكاتب فإنه قد يقصر حديثه إلى جانب واحد في الإنسان فالفيلسوف يخاطب العقل ، والروائى يخاطب العاطفة ، وعلماء الروحانيات يخاطبون الوجدان .

ومن هنا كان التوجه الخطابى إلى الإنسان توجها شاملا رغم قصر وقت الخطبة ، وهذا يحتاج إلى مهارة علمية ولغوية يتمتع بها الخطيب ليصل إلى ما يريد .

رابعا : وضوح الهدف والغاية

الخطبة لها موضوع واحد تتناوله وتكمله في لقاء واحد ، ولذلك لزم لها أن تحدد موضوعها من البداية ، ثم تدلل وتبرهن عليه وتوصى الناس به من خلال التعبير البيانى ... أما الكتاب فقد يكون متعدد الموضوعات ، وقد يستغرق في الحديث عن موضوعه مئات الصفحات ، وهذا يسمح له بإخفاء هدفه ، وعدم التصريح به ابتداء ، ولذلك احتاجت الخطبة إلى وضوح الموضوع ، وبساطة اكتشافه ، ليعيش المستمع معه ويركز على تفهمه ، والإحاطة به ، أما الكتاب فإنه تأليف مطول ، وتقسيماته كثيرة ، وهذا يساعد على الغوص والبحث عن الهدف إن كان غامضا .

المبحث الثاني
محتويـات الخطبـة

عشنا في المبحث السابق مع " إعداد الخطبة " بدءا من اختيار الموضوع وانتهاء بالتعبير والصياغة وأشرنا إلى مراحل تكوين الخطبة التامة التي تمكن الخطيب من تكوين الخطبة جزءا جزءا،بدءا من الميلاد وحتى تصير طاقة فنية.

وبعد ذلك تكون الخطبة في صورتها الفنية الكاملة ، ومحتوياتها الشاملة المفيدة .

ومن أجل تحقيق أكبر قدر يعلو بالخطبة ، ويرفع الخطيب نعيش في هذا المبحث مع المحتويات والشكل النهائى للخطبة ، آملين أن تكون عونا للخطيب أثناء الإعداد والتكوين ولذلك سنتاول في هذا المبحث المسائل التالية :

أولا : رأى العلماء في محتويات الخطبة وجزئياتها .

ثانيا : الحديث عن الجزء الأول .

ثالثا : الحديث عن الجزء الثاني .

رابعا : الحديث عن الجزء الرابع .

خامسا : الحديث عن الجزء الخامس .

إن كل جزء من هذه الأجزاء له أهميته في الخطبة ، ولذلك حسن اهتمام الخطبة به ، وتحضيره بصورة جيدة قبل إلقاء الخطبة .

وقد علمنا أن خطباء اليونان والرومان كانوا يعدون خطبهم ، ويخرجون بها إلى الفضاء الواسع . وعلى شاطئ البحر . ويتخيلون جمهورهم قد حـضر أمامهم فيأخذون في الإلقاء ... ثم يتساءلون عند نهاية الخطبة عن الجزء الذي جمع النواحى الفنية البلاغية ، وأيها ليس كذلك ليعودوا إلى تحسينه وإجادته .

وسوف نتناول بالتفصيل الحديث عن الأجـزاء الخمـسة بـشئ مـن التفصيل:

ـ أولا ـ
رأى العلماء في أجزاء الخطبة

اختلفت العلماء في عدد أجزاء الخطبة قديما وحديثا ... فذكر كل من أرسطو وابن رشد من القدماء أن الخطبة خمسة أجزاء هي :

الجزء الأول : المقدمة ويسمونها " الصدر " لوقوعه في صدر الكلام وبدايته .

الجزء الثاني : بيان الموضوع ، ويسمونه " السمة " أو " العنوان " أو " الغرض "حيث يرون أن الغرض هو الموضوع المقصود مع أن الغرض يشمل الموضوع والهدف .

الجزء الثالث : عرض الأدلة ويسمونه " الاقتصاص " ويراد به تقطيع الخطبة ، وتقسيمها إلى عناصر رئيسية .

الجزء الرابع : التعبير والمناقشة والتحليل ، ويسمونه " التصديق " .

الجزء الخامس : خاتمة الخطبة ، ويسمونها الخاتمة[١] .

ويلاحظ في هذا التقسيم القديم غموض التسمية ، وغرابة المسميات الذي لا بد له من الشرح والتوضيح ، حتى يعرف ويفهم .

ومن الغريب أننا نرى أرسطو يسمى كل جزء من الأجزاء المذكورة باسم " الاقتصاص " ويقول : **إن الاقتصاص قبله اقتصاص ، وبعده اقتصاص** ... وهكذا حتى ينتهى إلى الاقتصاص الخامس ، كما بدأه بالاقتصاص الأول وهذا يوقع القارئ في الاضطراب ، والحاجة إلى شرح وبيان ليعرف المراد بكل اقتصاص منها .

وقد حاول ابن رشد وضع مسميات لهذه الاقتصاصات وبين أن معنى الاقتصاص التجزئة والتقطيع ، وكأن مراد أرسطو أن الخطبة خمسة أجزاء

١- تلخيص الخطابة صـ٣٠٧

وقطع ، لكيان واحد هو الخطبة والجزء هو مقطع منها ...

وقد ميز ابن رشد هذه الأجزاء الخمسة بالأسماء التي أوردها بعدما استنبطها من كلام أستاذه أرسطو ، ويكفى أرسطو في هذا المجال أنه أول من أسس للخطابة ، وتحدث عن أجزائها ، وأهدافها ، وأهمية التسامى بها ... وسبب ظهور هذا الدور المميز لأرسطو يرجع إلى اهتمام الفلاسفة اليونانيين بشكل عام بالخطابة والخطباء.

أما العلماء المعاصرون فقد ذكروا أن أجزاء الخطبة ثلاثة هي :

١- المقدمة

٢- العرض

٣- الخاتمة[١]

وحاولوا توضيح كل جزء من هذه الأجزاء ، وعادوا مرة أخرى إلى تقسيم المقدمة إلى افتتاح ، وبيان الموضوع ، وتقسيم العرض إلى الإتيان بالأدلة والتعبير البيانى ، فعادوا بذلك إلى الأقسام الخمسة كالقدماء مع اختلاف يسير ، وكان الجديد لديهم هو الأسماء الواضحة لأجزاء الخطبة .

وإنى لا أرى حاجة لهذا الاختصار الذي أحدثه المعاصرون لأجزاء الخطبة ، ذلك لأن وضوح الخطبة بأقسامها الخمسة أمام الخطيب يمكنه من إتقان الخطبة بحيث لا ينتقل من أى قسم إلا بعد إيفائه حقه.

وأيضا فإن من اختصر الأقسام إلى ثلاثة عاد حين تفسيره لها وشطر كلا من القسمين الأول والثانى إلى جزئين وبذلك صارت الأقسام خمسة من جديد مما يرجح أن الأولى الإبقاء على أجزائها الخمسة بمسميات واضحة .

ولعل تراجع المعاصرين ، وعدم تتبعهم خطوات ابن رشد وأرسطو في التقسيم يعود لغموض المسميات ، وتداخل الأجزاء حتى أنه في كثير من الأحيان ، وفى بعض أنواع الخطب يحدث تداخل بين بعض الأجزاء ، إلا أننا

١- الخطابة صـ٤٥ ، أصول الخطابة صـ١٠٦ ، فن الخطابة صـ١٤٢

مع ذلك نرجح التعامل مع التجزئة الخماسية على أن نسميها بأسماء واضحة يتميز كل منها بمسماه عن غيره .

وقد يقال : إن هذا المبحث يعد تكرارا للمبحث السابق ، لأن كليهما يتناول الأجزاء الخمسة للخطبة ، والتكرار لا يصح في الدراسة والبحث .

وأقول : إن هذا المبحث والمبحث السابق يدوران حول الأجزاء الخمسة من زوايتين مختلفتين ، لأن المبحث السابق يتحدث عن إعداد الخطبة ، وتتبع هذا الإعداد بطريقة عقلية بحته حتى توصل إلى أنها خمسة أجزاء مترابطة ومتماسكة من البداية حتى النهاية ، وعرفها بإجمال .

أما هذا المبحث فإنه يتناول الأجزاء بعد وجودها ، وتمامها ويقوم بتفصيل بعض الجوانب الفنية التي ينبغى أن تكون عليها هذه الأجزاء لتصير الخطبة حسنة ، شكلا ، ومضمونا .

إن المبحث السابق يتناول الأجزاء قبل وجودها ، والمبحث الذي نحن فيه يتناول نفس الأجزاء بعد كمالها وتمامها .

وباختلاف جهة التناول ينتفي التكرار في المبحثين .

والمتأمل في بدايات السور القرآنية يرى أنها توجز السورة كلها في كلمات ، وهى مع هذا الإيجاز تشتمل على الإعجاز الإلهى الذي يستولى على عقل الإنسان وعواطفه ، ويأخذه إليه بالإيمان والطاعة وبعد ذلك تأخذ في التفصيل والإحكام ، ولا يقال عن التفصيل بعد الإيجاز ، أو الإيجاز بعد التفصيل إنه تكرار مخل ، لأن كلا من الإيجاز والتفصيل أخذ جانبا خاصا به .

وبدراسة هذا المبحث سوف نتبين التمايز بين المبحثين :

الجزء الأول

الافتتـــــاح

هذا القسم هو صدر الخطبة لأنه أول ما يبدو من الخطيب تـشبيها لــه بصدر الإنسان أول ما يظهر في مقدمه .

وهذا الجزء من الخطبة هام وضروري لأنه سمتها ، وعنوانها العــام ، وجودة العنوان دليل على جودة المعنون له ؛ والضياء يبشر بالنور ، واللحظــة الأولى مثل الفكرة الأولى تبشر بما بعدها دائما .

ومن المعروف أن السمع إذا فاجأه حسن الافتتاح يتيقظ ، واهتم بمتابعة ما بعد ذلك بشوق وشغف ، ويحاول تذوق جمالها اللفظى . ومعرفــة معناهــا الدقيق . وحينئذ تكون الخطبة مشتملة على براعة الاستهلال الذي لابــد منــه لنجاح الخطبة .

إن الباحث في القرآن الكريم يرى العناية الإلهية واضحة فــي أوائــل السور لأنها تثير في النفس الإجلال والشوق ، والرغبة في تتبع القراءة ، فهي حينا تكون ثناء على الله تعالى كسور الحديد ، والحشر ، والــصف ... وحينــا تكون تعظيما لشأن القرآن الكريم كأوائل سور فصلت ، والزخرف ، والــدخان ... وحينا تكون شرطا ، أو استفهاما كسورة الإنسان ، والفيل .

إن بدء بعض السور بالقسم ، أو الاستفهام ، أو بالشرط ، أو بالنداء يولد عند المستمع رغبة في المتابعة تبيانا للمقسم عليه ، أو انتظــارا للجــواب ، أو تفهما للمنادى ، ويعيش بعقله كله ليكتشف لوازم هذه البدايات التي اهتم الله بها فإذا وصل إليها فكر فيها ، وتدبر في أمرها ، وآمن مصدقا بكل إيقاعاتها وهكذا تتضح عناية القرآن الكريم بالافتتاح الحسن . لأنه يدل على ما في السور مــن أول وهلة كما يجذب عقل المستمع إلى الإنصات له .

إن المؤتمرات الخطابية في العصر الحديث تهتم بالبدايات في كل خطبة وفى كل أعمال المؤتمر بعدما علمت أن ذلك سر الفوز والنجاح .

والخطيب الناجح هو الذي يستفيد بهذا الأسلوب المعجز ، ويحاول محاكاته على قدر جهده . حتى يتمكن من جذب انتباه المستمع إليه .

يقول ابن الأثير : " **وإنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى على استماعه ، ويكفيك من هذا الباب الابتداءات بالنداء ، وكذلك الابتداءات بالحروف المقطعة في القرآن الكريم . وغير ذلك فإن هذا أيضا مما يبعث على الاستماع إليه لأنه يقرع السمع بشئ غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه . والإصغاء إليه** "[١] .

ويكون الافتتاح حسنا إذا كان لائقا بموضوع الخطبة ، دالا على المعنى المقصود منها ، فإن كان موضوع الخطبة نصرا وفوزا لزم في الافتتاح أن يشير إلى ذلك ، وإن كانت تهنئة فتهنئة ، وإن كانت عزاء فعزاء . فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مغزاه ، ولا يعرف بالموضوع الذي إليه نزع ، ومن أجله تحرك ، وله يظهر ويبين .

وفائدة حسن الاستفتاح أن يعرف المستمع من البداية الموضوع المراد من الخطبة ، ويحيط بالهدف المقصود ، ولو أضفنا إلى حسن الافتتاح أن الخطبة مناسبة مع واقع المستمعين لعلمنا يقينا أنها تلامس رغبة الجماهير ، وتشارك وجدانهم ، فيعايشونها من أول الافتتاح إلى نهاية الخاتمة ، وحينئذ يؤدى الخطيب دوره ، وينجح من أول بدئه في خطبته إلى نهايتها .

والافتتاح أربعة أنواع[٢] هي :

أ ــ الافتتاح المباشر :

وهو الافتتاح الذى يبين الموضوع بلا تكلف . وقد سماه الشيخ على محفوظ بالافتتاح الساذج . ذلك لأنه يشير إلى الموضوع صراحة بلا حاجة إلى

١- المثل السائر صــ٢٦٠

٢- الخطابة للشيخ على محفوظ صــ٤٦

تكلف أو تفكير ، كأن تكون الخطبة في الصبر ويكون الافتتاح بالحمد لله الـذي أمر بالصبر وحث عليه . ووعد الصابرين بالخير الجزيل ، وغالبا ما يكون هذا النوع في خطب الوعظ الديني الدورية ، وخطب الحرب ، وخطـب مجـالس الأدباء ، وخطب التهانى ، والخطب الموجهة إلى العامة .

ب ــ الافتتاح الفخم :

وهو ما يبدو الموضوع من تفهم معناه من خلال لفظه الجميل الفخـم ، وأسلوبه المتأنق .

وهذا الافتتاح يشير إلى المقام الهام للخطبة التي يكون فيها لأنه لا يكون إلا في الأحوال الخطيرة . والأحداث الهامة ، وذلك كافتتاح أبـى بكـر رضي الله عنه لخطبته يوم أن تشكك بعض المسلمين في وفاة النبي ﷺ إذ قال: " **أيها النـاس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبـد الله فـإن الله حـى لا يموت**"[١] ثم استمر في خطبته بعد ذلك . فتراه رضي الله عنه لم يتكلم عن الموضـوع ، وإنما جعل الوقائع والكلمات تشير إلى الموضوع ، وترك للصحابة أن يستنبطوا المراد وهم يعيشون روعة الموقف الذي كان الخطاب فيه .

وهذا الافتتاح يستعمل في الأحداث الهامة ، حيث لا يتسع المقام لطـول الكلمات ، وتوسع المقدمات .

ج ــ الافتتاح البدهى :

وهذا الافتتاح وسط في دلالته بين الوضوح والخفاء ، وبـين الـسهولة والفخامة ، فهو ليس مطلق الوضوح . وليس بعيد الفهم . ولكنه سهل المنـال . يسير الفهم ، ولذلك سمى بدهيا ، وهذا النوع يناسب الخطب المفاجئة في مناسبة معلومة للمستمعين . وذلك كخطبة أحد المرشحين في انتخابات المجالس النيابة مثلا . لأن الحدث معروف . والمستمعين على درايـة بمـا سـوف يقـال . والخطيب يريد الوصول إلى الناس مباشرة وبيسر ، وكل مستمع يمكنه أن يحدد

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠

الموضوع سلفا بصورة مجملة .

د ـ الافتتاح الملوح :

وهو الافتتاح المشير للموضوع من بعيد كأن يدل عليه بطريق مجازى خفى . ولا يكون هذا الافتتاح إلا في أناس تميزوا بالثقافة والدقة ، وكانوا من أهل الحكمة . الذين عشقوا المعانى العالية . والأساليب البلاغية الراقية .

وعلى الجملة فإننا نرى أن الافتتاح من الأجزاء الهامة في الخطبة لابد منه لها لأنه ينبه الناس ، ويعرض الموضوع في كلمات بهية بليغة ، ومن هنا فإنى لا أتفق مع من يرى جواز إلغائه في بعض الأحيان .

ويكفيه ضرورة أنه يوقظ المستمعين إلى ما سيقال ، ويدفعهم إلى الرغبة في المتابعة ، كما أنه يعقد صلة بين الخطيب وجمهوره ، وبين الموضوع ومستمعيه .

إن هذا الافتتاح هو المقدمة التي يفتتح بها الخطيب حديثه ، وأرى حاجة الخطيب إليها ، لأنه بواسطتها يكتشف من أمامه من الناس ، ويأخذ في كلامه بعد ذلك هادئا مطمئنا .

ومع إصرارنا على ضرورة المقدمة المناسبة للموضوع وللمستمع فإننا نرى أن يكون الافتتاح تنبيها خاطفا ، سريعا بحيث لا يزيد عن عشر زمن الخطبة على أكثر تقدير .

ويجب أن يبتعد الخطيب عن الإسهاب والإطالة في المقدمة ، لأن ذلك يبعد الخطيب عن مقصده من المقدمة .

ولا يصح أن تكون المقدمة يكون مبتذلة مكررة بصورة واحدة مع سائر الخطب .

وأن لا يتناول الخطيب في مقدمته تفاصيل موضوع الخطبة . ويجب أن يلتزم بخصائص المقدمة . فيشير إلى الموضوع في حسن وإيجاز .

يقول ابن المقفع : " **وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن**

خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفــت قافيته "[١] .

ويعلق الجاحظ على هذا القول فيقول : " **هناك فرق بين صـــدر خطبـــة النكاح . وبين صدر خطبة العيد . وخطبة الصلح . وخطبة المواهب . حتـــى يكون لكل من ذلك صدر يدل على عجزه ، فإنه لا خير في كلام لا يدل علـــى** معناك ، **ولا يشير إلى مغزاك . وإلى العمود الذي إليه قصدت . والغرض الذي** إليه نزعت "[٢] .

ويجب أن يعرف أن الخطبة الدينية لها استفتاحها الخاص بها ، ولسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن خطبة الجمعة والعيدين .

ومن بلاغة المقدمة أنها تأتى مترابطة مع ما بعدها متناسقة معـــه فـــي الأسلوب والفصاحة بحيث لا يشعر المستمع بنهايتها ، والانتقال إلى ما بعدها .

إن الخطيب الناجح هو الذي يلون فـــي افتتاحيتـــه . ويجعلهـــا مثيـــرة لجمهوره . كأن يحيى أراءهم القديمة ، أو يثنى على بعض خصائـــصهم ، أو يرد على معارضيهم ، ويبين أنه منهم ولهم ، أو يشير إلى معتقد خاص بهـــم ، أو يستشهد بنصوصهم المقدسة ، أو يتساءل عن أمور أثارته ، أو يعرض سؤالا وجه إليه ، أو يورد حدثا اهتم به مع جمهوره .

وقد أعمجبنى خطيب أعد خطبته عن " عظمة الله تعالى " ، وقـــدم لهـــا بطريقة حسنة حيث قال: : حين مجئ إليكم سمعت المؤذن يقول : الله أكبر ... فتساءلت مع نفسى عن أى شئ أكبر ... هل هو أكبر منى ، أومن غيرى ؟ أو من الشجر ، أو من الحجر ... واستعرضت الخلق كله على قدر طاقتى فوجدت أن الله سبحانه وتعالى أكبر من الوجود كله مجتمعا أو منفردا . واستغرقت في التساؤل حتى دفعنى إلى أن نعيش اليوم مع عظمة الله تعالى وكبريائية .

وبمثل هذا تكون المقدمه موضوعية ، ومثيرة للنظر ودالـــة علـــى مـــا بعدها.

١- البيان والتبيين جـــ١ صـــ١١٥

٢- البيان والتبيين جـــ١ صـــ١١٦

الجزء الثاني

بيـــان الموضـــوع

يأتى هذا القسم مباشرة بعد الافتتاح . وفيه يجمل الخطيــب موضـــوع خطبته للمستمعين ليتهيأوا للتلقى والاستماع .

ويجب أن يكون بيان الموضوع قصيرا . ومعبرا . ومتفقا مع موضوع الخطبة وأهدافها . ومتناسقا مع الافتتاح بحيث لا يشعر المستمع بالانتقال مــن قسم إلى قسم آخر منفصل عنه ، لأن الخطبة كل واحد لا ينقسم ، وإنما كان هذا التقسيم منهجيا للتعليم والتنشئة .

ولا بد عند ذكر الغرض من ملاحظة ثلاثة نقاط هي :

١- أن يذكر الغرض من خلال قضية عامة ، لا يبنيها علـــى مقــدمات منطقية . لأنه لو بناها على مقدمات كان ذلك سياقا برهانيا يأتى في البراهين والأدلة ، وليس في إبراز الموضـــوع ، فمـــثلا إذا كـــان موضوعه الذي هو بصدد الكلام فيه الدعوة إلى تثبيت نظـــام . أو منع فوضى يقول : السلطان وازع الله في أرضه ـــ وإذا كان يريد الدفاع عن متهم ببيان أن أدلة الاتهام تحوم حولها الـــشبهات يقـــول مثلا : المتهم برئ حتى يقوم الدليل على جنايته . وكل شك يكـــون في مصلحة المتهم . لا في مصلحة الاتهام ... وإذا كان يريـــد أن يخطب جمعا يحثهم على إحياء القرآن الكريم بحفظه والعمـــل بـــه يقول مثلا : " **في القرآن نبأ ما قبلكم . وخبر ما بعدكم وحكم مـــا بينكم** " ... وفى كل هذا ترى أن الموضوع قد ذكر في قضية عامة بلا تفصيل ،أو برهان ، أو إثبات ، أو نفى .

٢- أن يكون ذكر الغرض واضحا في الدلالة على الموضوع . لأنه إن لم يكن كذلك لا يثمر ثمرته المرجوة ، وكان إيـــراده بـــلا فائـــدة ، وحينئذ يشعر المستمع أنه يسمع كلاما لا معنى له ، متضمنا لأفكار

متناقضة ، ومعانى شتى ، وهذا يلقى في نفسه روح التبرم . الأمر الذي يؤدى به إلى الانصراف عن الخطيب وعدم الاهتمام بكلامه . وهذا أمر غير مقبول .

٣- أن يأتى التعريف بالغرض في جملة تثير خيال الـنفس . وتهزهـا لتنشط إلى سماع ما يقال . وتهتز أوتار القلب لكل مـا يجـئ بـه الخطيب من معان . وعبارات جيدة محكمة .

ومن أبلغ المقدمات التي اشتملت على مقصد بليغ قول على بن أبى طالب رضي الله عنه في إحدى خطبة التي يحث فيها على الجهاد . قـال : **" أما بعد . فإن الجهاد باب من أبواب الجنة . فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة . وشمله البلاء . وألزمه الـصغار ، وسـيم الخسف ، ومنع النصف . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء ليلا ونهارا . وسرا وإعلانا ... إلخ "**[١] .

١- نهج البلاغة صـ٦٥

الجزء الثالث

تحديـــد العناصـــر

يدور هذا القسم مع الموضوع كله حيث يقسمه إلـــى أجـــزاء تفـصيلية مرتبة ، ولا يصل الخطيب إلى التقسيم الجيد إلا بعد الإعداد العلمـــى المـــنظم للخطبة .

وتقسيم الموضوع إلى عناصر رئيسية وأخرى فرعية له فوائد عديـــدة تعود على الخطيب ، وعلى الخطبة ، وعلى المستمعين .

أما فوائده على الخطيب فهو :

أولا_: يؤدى إلى العناية بتحضيره لخطبته ، وإعدادها بعناية .

ويجعله ـــ **ثانيا :** ملتزما بموضوع خطبته . متمسكا بـــالأجزاء التـــي يذكرها في تقسيمه بحيث لا يتعداها أبدا .

ويبعده ـــ **ثالثا :** عن التكرار والإعادة . وبذلك يكون خطيبا موضوعيا موفقا .

وأما فوائد تحديد العناصر على الخطبة ذاتها :

فإنه ـــ **أولا :** ينسقها بترتيب عناصرها . وتسلسل أفكارها

وهو ـــ **ثانيا :** يجعلها منحصرة في موضوعها وحده ، وبذلك تنأوا عن الابتذال والسقوط .

وأما فوائد تحديد العناصر والالتزام بها على المستمعين .

فإنه يوقفهم على سياق الخطبـــة وأجزائهـــا . وهـــذا داع إلـــى انتبـــاه المستمعين ، وحرصهم على الإدراك التام . ومتابعة الخطيب وهو ينتقـــل مـــن عنصر لآخر وهكذا .

ويجب أن تجمع العناصر الخصائص التالية :

أ ـــ الشمول التام لكل أجزاء الخطبة بحيث لا يترك عنـــصرا ، أو إتجاها ما إلا بعد توضيحه ، وتقديم أدلته ، ورد الشبه المثـــارة

ضده .

ب ــ البعد عن ذكر أجزاء ليست داخلة في الموضوع العام للخطبة .

ج ــ الاستقلال الواضح لكل جزء بحيث لا يتكرر الجزء الواحد ولا تتكرر جزئيات هذا الجزء في جزء آخر .

د ــ الوضوح المعنوى لسائر الأجزاء بحيث يدركها السامع بيسر وترتيب .

ه ــ الإيجاز الوافى مع سائر العناصر لأن ذلك أدعى للحفظ ، وأقوى في الإحاطة .

وتحديد العناصر يستحسن كثيرا في الخطب الطويلة . وفى الخطب القضائية ، والسياسية .

و ــ الانتقال من جزء لآخر في ترابط وانسجام بعيد عن الخلل والتناقض .

الجزء الرابع
الأدلة المؤيدة والتعبير الراقى

وهذا القسم هو الأدلة المؤيدة لعناصر الخطبة وأجزائهـا ، ولا بـد أن تكون الأدلة أمورا تثبيته لأن الخطبة تأتى من أجل إثبات أمر ، ورد ما يضاده من أقوال[١] ، ولذلك لزم أن تكون الأدلة والعبارات في إطار إثبات المطلـوب ، وقد اهتم العلماء المحدثون بهذا الجزء وقسموه إلى قسمين[٢] .

أولاهما : يتعلق بتوضيح الموضوع وإيراد أدلته .

وثانيهما : يتعلق بنقد دعاوى الخصوم والرد على المعارضين .

وهذان القسمان يحتاجان لتوضيح وتفصيل .

القسم الأول
البيان والتوضيح

بعدما يتناول الخطيب أجزاء خطبته . بوضع عناصرها الأساسة يلجـأ إلى شرحها . وتأييدها بما يؤكدها عند المستمعين . ويلونها في أساليب متعـددة من أجل الإقناع والتأثير . مستخدما في ذلك ما يكون في الخطبة من لفظ جميل وأسلوب رقيق . ومعنى دقيق . والخطيب الناجح هو الذي يستخدم سائر معارفه في إفهام خطبته للمستمع . ومن الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الخطيب في توضيح موضوعه ما يلي :

أ ـــ **الأسلوب القصصى :** وهو الأسلوب الذي يتخير من أخبار السابقين جزءا ملائما لحال المستمعين . ويستدل به على ما يريد .

١- الخطابة صـــ٤ تخليص الخطابة صـــ٢٤ ، ٣٢٢

٢- أصول الخطابة صـــ١١٧ الخطابة صـــ٤٨

وهذا الأسلوب له أهمية كبرى . وتـــأثيره أكبـــر ، وقـــد أكتـــشفه الأقدمون، حيث حدث أن كفار قريش كانوا يعارضون رسول اللهﷺ بما يقصونه من حكايات . إذ كان النضر بن الحارث يـــأتى نيابـــة عنهم ويقول للناس : " **إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود . وأنا أحدثكم بأحاديث رستم . وبهرام . والأكاسرة وملاك الحيـــرة** "[١] ، **وما كان ذلك منه إلا لعلمه أن النـــاس تتـــابع وتتـــأثر بقـــصص السابقين وأخبارهم .**

وفى القصص القرآنى تأثير بالكلمة ، وتـــأثير بالحـــدث ، وتـــأثير بالأشخاص وتأثير بالواقع كله .

أما تأثيره القولى ــ أولا ــ

فبسبب اهتمامه بفنون البلاغة بأنواعها كلها اقرأ قوله تعالى قاصا إجابة موسى لفرعون حين سأله عن ربه ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٢] نرى أنه عليه السلام ذكر أدلة وجوب وجود الرب المعتمدة على قدرته ، وعنايته بالإنسان ، حيث هداه إلى الخير ، وذلك كله في هذه الجملة القصيرة التي يحتاج تفصيلها إلى كتب كثيرة، يقول الرازي : الشروع في بيان عجائب حكمة الله في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له[٣] .

واقرأ قوله تعالى قاصا مقالة الهدهد لسليمان : ﴿ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾[٤] .

فقد بين الهدهد بهذه الكلمات الأربع أن غيبته كانت لغاية كبرى تفيد

١- تفسير الرازى جــ٢ صـــ١٣٧

٢- سورة طه الآية ٥٠

٣- مفاتيح الغيب جــ٦ صـــ٦٠

٤-سورة النمل الآية ٢٢

سليمان وتهمه ، وقد أتى الهدهد بها من مكان بعيد ناء ، وإن هـذه الغاية تحمل أخبارا لم تعرف من قبل ، ولم تكن محتملـة ، وهـي أخبار صادقة لا تحتمل الكذب أبدا ، قد الكلمات الأربع في جمـال وحسن يبدوان من الإدغام والغن وتنوع شكل الحروف وهكذا سائر التراكيب .

يقول الباقلاني ما رأيك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] .

فإن هذه الآيات تشتمل على ست كلمات (جمل) سناؤها وضياؤها على ما ترى، وسلاستها على ما تشاهد ، إنها تشتمل على جملة ، وتفصيل ، وتفسير ، حيث ذكر العلو في الأرض، وفسره باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء، وإذا تحكم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما، ثم ذكر الفاصلة التي ردت آخر الكلام إلى أوله بقوله ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

ولعل إجابة موسى على فرعون، وإجابة الهدهد، ووصف فرعون لو حاول بشر أن يصوغها ابتداء، لاستوفاها بأضعاف أضعاف كلماتها.

والجملة القرآنية في القصة ــ ثانيا ــ

تتكون من كلمات متفقة ، ومؤتلفة ، ومتعاونة في أداء المعنى وكأن كـل كلمة لفق[2] لجاراتها لفظا ومعنى .

اقرأ قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ

١- سورة القصص الآية ٤

٢- اللفق شق الملاءة أي أن كل كلمة جزء من الكلمة المجاورة

﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١] .

فإن كلماتها مرتبطة ومؤدية لكثير من المعاني، يقول عبد القاهر معلقا على هذه الآية : **إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثانية بالثالثة ، وهكذا إلى أن تستقر بها كلها ، ثم يقول : إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤدية وهي في مكانها من الآية قل " ابلعي " واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت . ثم أن كان النداء بيا دون أي ــ ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال "ابلعي الماء " ثم إن نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ثم اتبعه بنداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم إلى بناء الفعل " غاض " للمجهول للدلالة على إنه لم يغض إلا بأمر آمر، وقدرة قادر ، ثم إن تأكيد ذلك وتقريره بقوله وقضى الأمر، ثم إلى ذكر ما هو نتيجة لهذه الأمور جميعا وهو الاستواء على الجودي ، ثم إلى إضمار السفينة قبل الذكر للتعظيم والتفخيم، ثم إلى مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ " قيل " في الفاتحة[٢] .**

وهكذا نرى أن الأسلوب القصصي في القرآن يصور الحقائق في براعة نادرة ، أخذت بلب البلغاء ودهشتهم، وجعلت العرب وهم أرباب البلاغة ــ معنى وبيانا وبديعا ــ يقفون أمامها وليس لهم إلا

١- سورة هود الآية ٤٤

٢- الإيجاز في شرح دلائل الإعجاز صـ٣٢ .

التأثير والتسليم .

والجملة في القصة القرآنية ــ ثالثا ــ

تراعى عملية التأثير في نفسية المستمعين على حسب وضعهم لأنها تتجه لما سيقت له بدقة ، وتتعامل مع الواقع على ما هو عليه .

كما أن القصص القرآني يراعى واقع الناس ، ويعالج ما هم فيـــه ، ففي القصص المكي يوم أن كان المسلمون غير آمنين في حيـــاتهم ومعاشهم ، والمشركون منصرفين عن القرآن إلى الماديات المثيـــرة لوجدانهم ومشاعرهم .

في هذا الوقت كان على القصة أن تستولي على القلـــوب بأســـلوب مناسب للنفوس القلقة من حيث قصره وإيجازه وتـــصويره لموقـــف أخاذ ، أو إيرداه حادثة تطمئن المضطرين، وتخوف ظالميهم .

وهذا الأسلوب لابد أن يكون على صورة الإسجاع العربية، لأن ذلك هو الذي يثير العربي ، ويوقظ مشاعره، ويشده إليه إقرأ قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[١] .

هذه الكلمات القليلة تعبر عن المعاني الكثيرة بدقة وإيجاز ...

فحين نقرأ "**أَلَمْ تَرَ**" ندرك أن العلم بهذه الأخبار يقين كالمشاهدة الحسية تماما ...

ومن جملة الآيات نعرف عادا وموطنها، وضخامة أشخاصها بصورة لا نظير لها، ونعرف ثمود الذين قطعوا الصخر ليصنعوا

١- سورة الفجر الآيات من ٦ : ١٤ .

بيوتهم بالوادي منه، ونعرف فرعون بكثيرة جنوده، ونعرف أن هؤلاء جميعا عادا وثمود وفرعون كانوا طغاة ظالمين مكثرين في إفسادهم بالكفر والقتل والظلم، وكانت عاقبتهم أليمة، واستحقوا ما فعل الله بهم حيث رصد الله أعمالهم كلها ... وهكذا اشتملت هذه الآيات القصيرة على مجموعة من الأقاصيص غايتها واحدة هو بيان شدة العذاب ودوامه ، إذ الصب يشعر بالدوام ، والسوط يشعر بزيادة الآلام[1] .

ولعل هذه الموسيقى المؤثرة الواضحة من مقاطع الآيات القصيرة هو السر في نزول القصص المكي غالبا على هذا النمط .

ومن فنية القصة القرآنية أنها لا تعطي أحداثها دفعة واحدة ، بل تتخير حدثا مفيدا للغرض وتهتم به ، وبذلك تحقق شيئين لابد منهما في الدعوة على الله تعالى هما :

تجزئة القصة الواحدة .

وتكرار الحدث الواحد .

وبهذا تتحقق أغراض القصة في سهولة ويسر، لأن التجزئة لا تثقل على السامع، والتكرار في حد ذاته له تأثير عجيب فإن أدركنا أن التكرار القرآني لا يعني الالتزام بصورة واحدة دائما، وإنما هو في القرآن الكريم جديد في كل مرة بزيادة أحداث، والتركيز على جوانب معينة مع تغير الصنيع، وتنوع التوجيه، وتعدد الأهداف، حين ندرك ذلك، وهو حق، نعلم ما في القرآن الكريم من دقة وإعجاز وبخاصة في التكرار والتجزئة .

وحتى نتبين هذين الشيئين في قصص القرآن نقرأ قصة نوح عليه السلام كما جاء بها القرآن الكريم .

١- تفسير النسفي جـ٤ صـ٣٤٥ - ٣٥٥ بتصرف .

فهي في سورة الأعراف تحتل الآيات من ٥٩ إلى ٦٤ وتركز على ضلال القوم بشكل عام، وتبين استغراقهم فيه، وتشير إلى عاقبة الكفر والاستكبار وجزاء الإيمان والطاعة .

وهي في سورة هود من آية ٢٥ إلى ٤٨ تركز على بيان الأدلة الواقعة على الإيمان بالله إذ هو مصدر الرحمة ﴿ وَءَاتَنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ والأجر والحق عنده ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ والنصر منه وحده ﴿ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ وهو العليم بالخفي والظاهر ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ومشيئته مطلقة في إنزال العقوبة ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾ وإليه المرجـــع والمآب ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ونرى من مناقشات القصة في سورة هود أن نوحا عليه السلام كان يديرها نحو الأدلة ولم يسترسل معهم في المجادلة الباطلة .

وهي في سورة الأنبياء تحتل آيتي ٧٦ ، ٧٧ وتركز على النعم التي جعلها الله لنوح بشكل مجمل وموجز .

وفي سورة المؤمنون تأتي القصة في الآيات من ٢٣ إلى ٢٨ وتركز على نعمة الإنجاء بواسطة السفينة ، وهي نعمة تستحق الحمد .

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [١] .

وفى سورة العنكبوت تركز على بيان المدة التي مكثها نوح في قومه لأن عليه السلام مكث فيهم ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ .

وفى سورة القمر تركز على تهويل صورة العذاب وكيف يبدو مـــن

١- سورة المؤمنون آية ٢٨

قوله تعالى ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [١] .

وفي سورة نوح نرى التركز على أعمال نوح عليه السلام يقدمها إلى ربه موجزا عمله خلال مدة بعثه طالبا من الله أن ينزل العقاب على الضالين الكافرين ويذكر له نتيجة خبرته الطويلة معهم وكأنها في سورة نوح بيان ختامي يقدمه نوح عليه السلام لله رب العالمين.

فهذه سبع مرات لقصة نوحل ، ولكل مرة أحداثها البارزة الواضحة المركزة على جانب معا لتكون مفيدة في هذه النقطة، وليأخذ من نزل القرآن لهم من تجزئة القصة درسا لهم .

فالعلم بعاقبه المؤمنين والكافرين درس من القصة في الأعراف .

والأدلة الإيمانية درس من سورة هود .

وضرورة الحمد على النعم درس سورة المؤمنون .

كما أن بيان رفعة منزلة النبي ﷺ عند الله درس سورة الأنبياء .

والإحاطة بقدرة الله في تعريف قوى الطبيعة درس سورة القمر .

وهكذا جزأ القرآن أحداث قصصه ليوسع الفائدة بها ويوجد الدافع إلى التأثير والهدف .

من الممكن أن يستفيد الخطيب وهى يعد خطبته بهذه اللمحات القرآنية في القصة القرآنية ، فيختار حدثا ويستعرض ما فيه من دروس وعبر .

أو يتقن فنية التكرار وما لها من تأثير وفائدة .

إن القصة نوع من الأدب له جمال . وفيه متعة ، تؤثر في نفوس الكبار . كما تؤثر في نفوس الصغار ، لأنها تجذب العقل ،

١- سورة القمر الآيات ١١ ، ١٢

وتخاطب الوجدان . وقد أدرك العرب قديما ما للقصة مـــن تـــأثير فاستفادوا بها.

ولعل أكبر ما يحدثنا عن فائدة القصص في الخطاب ما نراه من أحاديث الرسل لأممهم . إذ تراهم صلوات الله عليهم يقصون أخبار السابقين من أجل الإنذار والتخويف ، يقول هود عليه السلام لقومه ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [١] ﴾ .

ويقول شعيب عليه السلام لأهل مدين ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ [٢] ﴾ .

ولأهمية هذا النوع في الاستدلال وجدنا الكثيرين يؤلفون القصـــص الخيالية على ألسنة الناس . أو على ألسنة الطيور والحيوانات . هادفين من وراء ذلك نشر فكرة . وتأييد اتجاه . وقد حوى كتاب " كليلة ودمنة " الذي ألفه الفيلسوف " بيدبا " قصصا خيالية كثيرة على ألسنة الحيوانات والطيور ، تدور على ضرورة نشر العدل ، ومقاومة الظلم والعدوان ، ومعرفة أساليب ودهاء المخادعين .

والتربية الحديثة تركز في أساليبها على القصة كأسلوب تربوى هام. ومن خصائص الأسلوب القصصى أنه يجزئ البيان ، ويراعى حال المدعوين . ويتدرج معهم من الأسهل إلى السهل ، كما أنه يأخذ المستمع إلى حوادثه وقضاياه ، ويدمجه معه في حالة من الانفعـــال

١- سورة الأعراف آية ٦٩

٢- سورة هود آية ٨٩

النفسى ، وهذه تهيئة للتوجيه والاستفادة بصورة تلقائية ، وهكذا .

إن القصة تعد المجال الخصيب للترغيب والترهيب الذي هو فن جميل الأثر في الناس ، لأن الإنسان إذا أستثير شوقه إلى شئ ما زاد اهتمامه به . وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياة الفرد عملا وتحمسا وتعلقا بما تشوق له ، رغبة في الحصول عليه .

وأيضا فإن الخوف من شئ ما يجعل الإنسان يهابه ولا يرغبه . ويبتعد عنه حذرا من الوقوع فيه . وهذا أمر طبيعى . لأن الرغبة هي التي تحسن الأشياء ، والرهبة هي التي تصورها بصورة سيئة. كما أن التأثير بالترغيب والترهيب يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته المحبة للثواب والنعيم ، الكارهة للعقاب والبؤس .

إن القصص القرآني من خلال قصه يذكر هذا الفن للناس فهو يرغب في الإيمان بالله واتباع الرسول ﷺ ويبين أن ذلك هو منهاج النجاة من كل شدة وعذاب ، ويذكر أن الناجين دائما هم المتبعون للرسل فلقد نجى الله أتباع نوح عليه السلام يقول الله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾[١].

ونجى أتباع هود عليه السلام يقول تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[٢].

وعلى هذه الوتيرة في الإنجاء جرى الأمر مع أتباع الرسل كلهم لأن إنجاءهم يخضع لقاعدة يجب أن تبقى واضحة وقد عرفها لنا الله بقوله ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

١- سورة الأعراف الآية ٧٢
٢- سورة هود الآية ٥٨
٣- سورة يونس الآية ١٠٣

يقول أبو السعود : في هذه الآية تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان[1] ويشير الرازي إلى أن قوله تعالى " حَقًّا " يفيد وجوب الإنجاء بسبب الوعد لأن تخليص الرسول والمؤمنين معه من العقاب إلى الثواب واجب أوجبه الله على نفسه ، ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الأفعال الشاقة[2] .

وكما أن الاتباع يستلزم النجاة فهو أيضا طريق التمكن في الأرض والتمتع بخيرها والأمن والهدوء فيها، كوعد الله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾[3].

وما أعطى الله الذين سبقوا هذه النعم الغالية إلا لأنهم يعبدون الله وحده ولم يشركوا به وقد وضح تنفيذ هذا الوعد جليا مع بنى إسرائيل أتباع موسى عليه السلام فلقد ورثوا أرض الشام بما فيها من خير وبركة يقول الله تعالى ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ ﴾[4] .

وكما أن الاتباع سبيل إلى الإنجاء والتمكين فهو أيضا سبيل النصر.

١-تفسير أبو السعود جـ٢ صـ٣٥١

٢- مفاتيح الغيب جـ٥ صـ٤٦

٣- سورة النور الآية ٥٥

٤- سورة الأعراف الآية ١٣٧

ولا يقتصر الترغيب على الإيمان بالله وتصديق الرسول ﷺ بل إنه يتعدي ذلك إلى الترغيب على سائر الطاعات والأخلاق انفاضلة إذ يجعلها من أوامر الرسل في أقوامهم حين يأمرون بالعبادة الحقة والأخلاق الفاضلة من أمثال الوفاء بالوعد، وإيفاء الكيل، والعدل – والاستقامة – والعفة وما دام مطيعو الرسل في نجوة وتمكين وانتصار بسبب طاعتهم فإن المستمعين للقصص يحبون الخير، ويريدونه ويطيعون الرسول ﷺ فيه .

وكما يرغب القصص في الخير، يخوف من غيره حين يبين عاقبة المكذبين للرسل، الكافرين بالدعوة الموجهة إليهم، وهو عذاب رهيب بحق يدفع العقلاء إلى الابتعاد عنه بتجنب كل ما يؤدي إليه، فيصدقون الرسول ويؤمنون بالدعوة، لأنهم لو كذبوا فسيأتيهم ما أتى ثمود وعـــادا من عذاب بينه الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ **فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾[١] .

يفسر الزمخشري طاغية ثمود بالواقعة المجاوزة للحد من الشدة، والريح الصرصر بأنها الشديدة الصوت والعصف والعتو والنحس والاستمرار حتى صرعتهم وقطعت رقابهم ٢ .

ولو أجال العاقل فكره في سائر الأمم المكذبة لعلم يقينا أن العـــذاب الذي وقع عليهم عجزوا عن مقاومته رغم شدة قوتهم وتمكنهم من آثار الأرض .

١- سورة الحاقة الآيات من ٥ : ٧ .

٢- تفسير الكشاف جـــ٤ صـــ١٤٩، ١٥٠ .

إن الواجب على العقلاء أن يجيلوا فكرهم في قصص السابقين ويتدبروا فيه فما ذكره الله إلا لأجل إفادتنا .

وقد امتلأ القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة الحقيقية . وجعلها وسيلة قرآنية للدعوة إلى الله ، فهي تعرف بالله ، وتبين صفاته ، وتفيد حجج المعارضين ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتستشهد بالواقع العملي في التوجيه ، ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر بما يسمعه عن غيره أكثر من أن يلقى إليه مباشرة ، ويستفيد بالماضي للنهوض بالحاضر ، وتحسين المستقبل .ولأهمية القصة في التأثير كان أمر الله لرسوله ﷺ باتخاذها أسلوبا للدعوة فقال تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [١] ﴾ .

إن على الخطيب الكفء أن يستفيد بالقصة ــ أسلوبا ومنهجا ــ عن طريق اختياره للمناسب من أحداثها وعرضه أمام مستمعيه . وإحاطة كلماته بالمؤثر المفيد .

ولعلنا هنا ندرك سبب نجاح القصاص[٢] في دعوتهم إلى الله .

ب ــ الأسلوب المجازى : وهو الأسلوب الذي يلون الأقوال بالتشبيهات

١- سورة الأعراف آية ١٧٦

٢- القصاص هم الذين كانوا يقصون على الناس أثار الأمم البائدة . وقد وجدوا مع بدء الدعوة الإسلامية . ولهم أثر كبير في مجال تبليغ الإسلام ، ونلاحظ أن مادتهم القصصية في القرن الأول كانت تستمد من القرآن والحديث وأخبار أهل الكتاب الذين أسلموا . وبعد مرور قرن هجرى بدأ القصاص يروون الأكاذيب في قصصهم ، فانحطوا بمستواها الوعظي . وأخذوا ينقلون عن الرومان وغيرهم الأساطير التي لا أصل لها .

والمجازات والكنايات . وفائدة هذا الأسلوب تأتى من حيث تقريب البعيد . وتجسيم المعنوى بالمحسوس . وبيان الغامض بالواضح . كما أن إيصال المعنى بصور بيانية متعددة هو البلاغة في الحقيقة . يقول ابن السعود : " **التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء ، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبى . وقمع صورة الجامح الأبى . كيف لا ! وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات . وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية . وإبداء المنكر في سورة المعروف . وإظهار الوحشى في هيئة المألوف** "[١] .

ويقول الجرجانى : " **وأعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعانى أو برزت هي باختصار في معرضه . ونقلت من صورتها الأصيلة إلى صورته كساها أبهة . وكسبها منقبة . ورفع من أقدارها . وشب من نارها . وضاعف قواها في تحريك النفوس لها . ودعا القلوب إليها . واستثار لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا . وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا . فإن كانت مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس ، وأعظم وأهز للعطف ، وأسرع للإلف ، وإن كانت افتخارا كان مسه أوجع ، وحده أحد . وأن كانت حجاجا كان برهانه أنور . وبيانه أبهر . وإن كانت افتخارا كان شأوه أبعد . وشرفه أجد . وإن كانت اعتذارا كان إلى القلوب أقرب . وإن كانت وعظا كان أشفى للصدر وادعى إلى الفكر . وأبلغ في التنبيه والزجر . وأجدر بأن يجلى الغياية ويبصر بالغاية . ويبرئ العليل . ويشفى الغليل** "[٢] .

وقد يحتوى التمثيل على قصة خيالية . وحينئذ يعرف بـ " القصة

١- تفسير أبو السعود جـ١ صـ٤٠

٢- أسرار البلاغة صـ٩٢ ، ٩٣

التمثلية " وهذا النوع موغل في القدم . فقد استعمل الأنبيــاء هــذا الأسلوب المجازى كثيرا ، ومن يقرأ التوراه يجد فيها أمثالا عديدة ، وقد استعمل المسيح الأمثال في نشر دعوته إلى بنـــى إســرائيل ، والقرآن الكريم يحوى كثيرا من هذا النوع . وبذلك صـــنع التــأثير النفسى الرائع وكان بذلك أسلوبا ناجحا في نشر الدعوة .

ج ـــ الأسلوب المنطقى : وهو الأسلوب الذي يــستعمل فيــه الأقيــسة المنطقية بعد أن يشكلها بالأسلوب الخطابى ، وذلك بأن يطوى بعض المقدمات ، ويضمرها في ثنايا الخطبة ، أو يثبت دعــواه بإبطــال نقيضها . وهو ما يعرف بــ " قياس الخلــف " أو يثبــت الــدعوى بإلحاقها في حكم كلى مقرر عند المستمعين . وهو ما يعرف بـــــ " التمثيل " .

وعلى الخطيب إذا لجأ للأسلوب المنطقى أن يصبغة باللون الخطابى بأن يجعله متماسكا آخذا بعضه بحجز بعض . ويجرده مـــن شــكله المنطقى الجاف الذي يمتلئ بالقضايا ، والأقيسة حتى لا يبدو قضية رياضية تتجه إلى العقل وحده في إيجاز وقصر . وتركيــز ، ولــو سلكها الخطيب لا ندفع السامع إلى اللامبالاة والإهمال . وبخاصـــة العامة وهم الجمهور العريض في المستمعين .

إن هذه الأساليب وأمثالها هي وسيلة الخطيــب لــشرح موضــوعه وبسطه أمام الجمهور الذي يخاطبه حتى يجليه على الوجه الصحيح فإن ظهر له معارض من الخصوم فإن عليه أن يهتم بالتوجيهــات التي سنتحدث عنها في القسم الثاني .

القسم الثاني
المناقشـــة والتحليـــل

المناقشة تعنى الرد على معارضات الخصم الذي يضاد موضوع الخطبة وهذه المعارضات يعرفها الخطيب بدراسته لاتجاهـــات الأفـــراد والجماعـــات والأفكار السائدة فيهم . ولذلك ينبه الدكتور " رسل " الخطباء على هـــذا حتـــى يعدوا للمناقشة ، ويستعدوا لها ، ولذلك قال[١] آمرا الخطيب .

١- سجل الحقائق التي جمعتها من المعارضين لتبقـــى حيـــة أمامـــك ، وحتى لا تضيع منك بصورة كلية أو جزئية،لأن ثبوتها عند الخطيب يسهل الوقوف عليها ، وردها بعد ذلك .
٢- جادل فيها مع نفسك قبل مواجهة الناس ، ولا تكن كالآلة الـــصماء التي تحفظ النص ، وهى لا تفهمه ، بل تأمل فيما جمعت،وقف على أوجه النقد وابحث عـــن الـــرد وأنت وحدك لتواجه به الجمهور بعد ذلك .
٣- اعرف الدليل الذي يعتمد عليه الخصم لتقـــف علـــى وجـــه القـــوة والضعف فيه حين تناقشه ، وحين تواجهه تجد نفسك أيها الخطيـــب قد غزوت ميدانه وهدمت عرشه وبذلك تبطـــل دعـــواه ، وتـــسقط معارضاته .
٤- فند الدليل المعارض واستحضر القضية كاملة قبل مواجهة الناس ، ورتب مناقشتك فأمامك دعوى الخصم ، ودليلـــه ، ورده عليـــك ، وعليك أن ترد دعواه ، وتبطل أدلته ، وتسقط معارضته ومزاعمة .

وبذلك تثبت القضية ، ويؤكد البيان ما يريده الخطيب .

ويجب أن يهتم الخطيب فعلا بالتفنيد لأهميته يقول ابن عبد ربـــه : " **إن الجوابات هي أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطلبا . وأغمـــضه منـــصبا .**

١- التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة صـــ٥

وأضيقه مسلكا . لأن صاحبه يعمل مناجاة الفكرة . واستعمال القريحة . يروم في بديهته نقض ما أبرم القائل في رويته "[١] .

ومن صور المناقشة : **ما يسمى بالاستدراج** وهو يقوم على استدراج الخصم إلى الاذعان والتسليم . وذلك كقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢] . فنجد أن الرجل جاء لقومه من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم إليه ، وناقشهم مناقشة عقلية هادئة ، وقدم نفسه لهم محايدا ، فسألهم عن سبب محاولتهم قتل موسى ، وعن الجريمة التي ارتكبها ، وهل هي دعوته التوحيديه ، وقوله ربى الله ، مع أنه يقدم دعوته بأدلتها ... وعليهم أن يردوا دعوته ، أو يبطلوا أدلته أن تمكنوا من ذلك ، وبين لهم بعد ذلك أن احتمال صدقه أو كذبه لا يضرهم ، وحينئذ فلا معنى لقتله ، وقدم لهم احتمال كذبة على احتمال صدقه ليثقوا بحياده ومنطقه ، وختم الآية بحقيقه عامة تشمل الجميع وهى أن الله تعالى لا يهدى الكاذب المعتدى .

يقول ابن الأثير : **في الآية من خداع الخصم واستدراجه ما الإخفاء فيه وقد تضمنت من اللطائف الدقيقة الكثير**[٣] .

ومن صور المناقشة التصدى للخصم برد معارضته دفعة واحـــدة ، أو برد المقدمة وحدها ، أو برد الدليل ، أو برد النتيجة .

والأولى في هذه الصور أن يستعرض الخطيب فكرة الخصم . ويحللها .

١- العقد الفريد نقلا من أصول الخطابة صـــ١٢٨ . والجوابات تعنى الرد علىالمعارضين ولو لمجرد التصور .

٢- سورة غافر آية ٢٨

٣- المثل السائر صـــ١٩٠

ويوضحها . ثم يردها بما أمكنه من دليل ، ولا مانع من رد فكرة الخصم بـــرد أدلته ، أو بالإتيان بأدلة من عنده ، أو بالطريقتين معا .

ويجب أن يلاحظ أن مرحلة ذكر الأدلة يجب أن تحفل بالنـــصوص ذات الأثر القوى عند المستمعين . وهذه النصوص تكون من الحقائق الإسلامية فـــي الخطب الدينية ، وتكون من القوانين في الخطب العسكرية والقضائية وهكـــذا . لأن النصوص الموثقة أدعى إلى التصديق . وأسرع في الإقناع والاســـتمالة . وهى برهان الصدق ودليل الحقيقة .

الجزء الخامس
الخاتمـــــة

لا جدال في أن هذا القسم هو أقصر أقسام الخطبة ، ولا يعنـــي قــصر الخاتمة أنها لا فائدة فيها . بل لا بد أن تكون الخاتمة قويـــة التـــأثير . عميقـــة الدلالة على موضوع الخطبة . لأنها توجز الموضوع في كلمات قصيرة تبثهـــا في أذان المستمع ليحفظها . وبذلك يستمر حفظه للخطبة كلها.

إن حسن الختام لا يقل أهمية عن براعة الاستهلال .

ولئن كانت المقدمة تعد السامع للتأثير . والبيان يعده للانتباه . والتقـــسيم يعده للتركيز . والإثبات يجعله يقتنع ويصدق . فإن الخاتمة تودع الموضوع كله في ذهن المستمع بحسنها ورونقها . ولقد دأب الخطباء أن يجعلوا الخاتمة إيجازا لما سبق في الخطبة . وبعضهم يركزها في فكرة رئيسية .

ونحن نشجع التركيز في فكرة رئيسية مع تأييدها بـــأثر يحييهـــا ، لأن الخاتمة لا تحتمل النقاش والتقسيم ، ويجب أن تساق هذه الفكرة في صورة بليغة جميلة .

أنظر في خواتيم سور القرآن نجدها في غاية الحسن ، وغاية الدلالة على موضوع السور . مع تضمنها على ما يؤذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى انتظار عند المستمع . ومن أحسن ما أذن بالختام خاتمة سورة إبراهيـــم ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ [١]﴾ . ومثلها خاتمة الأحقاف والحجر بقولـــه ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [٢]﴾ . وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة

١- سورة إبراهيم آية ٥٢

٢- الحجر آية ٩٩

وختمت بقوله ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ [١] ﴾

وعلى الخطيب أن يبذل وسعه في الإحاطة بالأجزاء التي تحويها الخطبة ليقدر على الأداء السليم . لأنه لو ضم إجادة التقسيم إلى فطرة مستعدة لكان خطيبا ناجحا في رسالته ، وعليه كذلك أن يجعل الأقسام مترابطة متسلسلة . بحيث لا يشعر المستمع بإنتقاله من قسم إلى قسم آخر بعده . لينجو بخطبته من التفكك والضعف . وحتى يملك عنصر التأثير في مستمعيه .

١- سورة الزلزلة من الآية ٧ :٨

المبحث الثالث

أنواع الخطبة عند أرسطو

يعتبر أرسطو أول من اتجه إلى تمييز الخطبة وتقسيمها إلى أنواع متغايرة . وبالنظر في كتابه " الخطابة " وشرح ابن رشد له نلحظ أنه اعتمد في التقسيم على المستمعين وعلى الزمن الذي حدثت فيه وقائع الخطبة . وعلى الخطيب نفسه . وذلك لأنه نظر فوجد المستمع إما مستمعا عاديا . أو من ذوى المراتب الرفيعة ، ووجد الزمن ماضيا . أو حاضرا . أو مستقبلا ، ووجد الخطيب إما أن يكون هو الحاكم . أو هو مناظر من الناس . أو مقنع في موضوع ما . وقد أدى به نظره السابق إلى أن الخطبة أنواع ثلاثة :

النوع الأول
الخطبة المشورية

وهى الخطبة التي تشتمل على التوجيهات الآمرة والناهية . وفيها الإذن بفعل شئ . والنهى عن فعل شئ آخر .

ومن المعلوم أن الأمر والنهى يقتضيان تطبيقا لهما في المستقبل .

ولا يكونان إلا من صاحب رتبة ومنزلة في الناس .

وأما المستمع الذى يوجه الأمر والنهى إليه فقد يكون من العامة . أو من الخاصة الذين هم في منزلة أقل من الخطيب المشورى .

وعلى ذلك

يكون هذا النوع متعلقا بالزمن المستقبل .

والخطيب فيه من ذوى المراتب العالية .

والمستمع من العامة أو من الخاصة .

وهدف هذا النوع تحقيق النفع . وإبطال الضرر .

ويرى أرسطو أن هذا النوع لا ينبغى أن يكون إلا في الأمور الممكنة ، لأن الأمر القابل للتنفيذ يكون فيما يستطاع ، أما الآمر بالمستحيل فإنه لا يفيـد ويقلل من قدر قائله .

يقول أرسطو : " **ليس في كل شئ تكون المشورة . لكنها تكـون فـي الممكن الذي يستطاع أن يكون وأن لا يكون . فأما اللاتى من الاضـطرار أن تكون أو لا يستطاع أن تكون فلا تحتاج لمشورة** "[١] .

وتدور الخطب المشورية حول التوجيه والإرشاد وبخاصة فى الجوانب السياسية والعسكرية التى يلجأ إليها القادة والرؤساء لإخبار رعاياهم ، وأتباعهم بما يريدون .

النوع الثانى
الخطبة المشاجرية

وهى الخطبة التى تتصل بالتنازع والتشاجر ، ذلـك أن المتـشاجرين يحاولون الشكاية إن تصوروا الحق معهم ، أو الاعتذار إن كان الحق علـيهم . وعلى ذلك فموضوع هذا النوع هو الشكوى والاعتذار .

ومن المعلوم أن الشاكى أو المعتذر إنما يتوجه بشكايته واعتذاره إلـى أصحاب المراتب العليا لكى يظهر حقه أو يتنصل مما وقع .

وعلى ذلك فهذا النوع تتحقق وقائعه فى الزمن الماضى .

ويكون الخطيب فيه من العامة .

والمستمع لهذا النوع لا بد أن يكون حاكما يقضى فـى الـشكاية بعـد سماعها .

والخطب المشاجرية يكثر فيها الحوار ، والجدل لأن المتحـدث فيهـا يعرض مشكلته أو مشكلة غيره ، وحينئذ يلجأ الخطيب إلى الأسلـوب الملـئ

١- الخطابة صـــ١٩ وقد بين ابن رشد في كتابة هذا نماذج لخطب مشورية وطريقة التحضير لها .

بالاستفهام ، والتأكيد .

وهذا النوع يعد من الخطب القضائية التى يلقيها المحامون أو أصحاب القضايا أمام القضاة .

وغاية هذا النوع تحقيق العدل . ورد الجور . وإعطاء كل ذى حق حقه.

النوع الثالث
الخطبة التثبيتية

وهى الخطبة التى تهدف إلى المدح ، أو الذم بوصف ما هو كائن . وإثبات موضوعها بالطرق الجمالية الممكنة ، وزمن هذا النوع هو الحاضر يقول ابن رشد : " **وأما الأمور التثبيتية فإن أولى الأزمنة بها هو الزمن الحاضر . أعنى القريب من الآن . فإن الناس إنما يمدحون ويذمون بالأشياء الموجودة حين المدح . وحين الذم ، ويتحدثون عن الممدوح والمذموم الذى هو كائن موجود ، ويمكن أن يكون المدح والذم موجها إلى الماضى كمن يمدح رسول الله فى صفاته ، أو يذم أعداءه لخلقهم** " [١] .

والخطيب والمستمع فى هذا النوع من الخاصة ، أو من العامة على سواء.

وهدف هذا النوع هو المدح أو الذم .

ويعرف هذا النوع بالخطب الاستدلالية ، أو البيانية .

وبعد بيان الأنواع الأرسطية للخطبة نلاحظ فيها ما يلى :

١ــ أن أزمنة الخطب متداخلة بمعنى أن يلجأ الخطيب المشورى إلى الزمن الماضى ليثبت مدعاه . ويرغب المستمع فى قبول أوامره ونواهيه . وبهذا ندرك أن تحديد زمن الخطبة أمر غالب ، وربما ارتبط الزمن بالهدف المقصود .

١- تلخيص الخطابة صـ٢٩

٢- حين ننظر فى الغايات المقصودة فى كل نوع نرى التداخل فيما بينهما بمعنى أن يلجأ إلى إثبات أن هذا الأمر عدل ويمدحه ليأمر به . وأن ذاك جور يجب البعد عنه ، وهو بهذا يجمع خصائص الأنواع كلهـا ليحقق غاية خطبته ، ولذلك نرى أن نوع الخطبة يحدده هدفها فـإن كان الهدف تحقيق أمر فهى المشورية ، وإن كان الهدف رفع ظلم ، أو تحقيق عدل فهى المشاجرية ، و إن كان الهدف إظهار حسـن أو بيان قبح فى التثبيتية .

٣- لم يتناول التقسيم القديم نوعا شائعا ، مهما هو الخطب الدينيـة ، لأن الدين كان حبيسا بين رجاله يومذاك ، وكان معتمدا على الأسـاطير والخرافات ، ولم تظهر له خطب وخطباء ، أو تحدث حوله حوارات ومناقشات .

ومن الممكن الاستفادة بالتقسيم القديم فى الخطـب الدينيـة ، وذلـك بالاستفادة من خصائصه ، ومنهجه بعد صبغها بالـصبغة الدينيـة ، يقول ابن رشد : " **إن استعمل واحد غاية صاحبه فليس مـن أجـل قصد صاحبه . بل من أجل الغاية الخاصة به**"[1] ، ومعنـى ذلـك أن الهدف الأساسى للخطبة هو أساس التفسير ، وما عداه فهو من أجلـه ولخدمته .

١- تلخيص الخطابة صـ٣٠

المبحث الرابع

الأنواع الحديثة للخطبة

لم يرتض علماء العصر الحديث تقسيمات أرسطو للخطبة لعدم وضوحها،ولقصورها عن الإحاطة بما استبعد من أمور الحياة والناس . ولتداخل أنواعها فى بعضها . ولذلك نوعوا الخطبة أنواعا جديدة تعتمد على موضوع الخطبة،وعلى تقدير وتوجيه الخطيب لها،وحددوا لكل نوع إسمه وخصائصه .

والأنواع عند المعاصرين هى :

١ــ **الخطبة الوعظية** : وهى الخطبة التى تتم فى دور العبادة ، وتتعلق بالعقيدة والإيمان . والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى الأخلاق .

٢ــ **الخطبة السياسية** : وهى الخطبة التى تدور حول الشئون العامة للدولة وتشمل الخطب الانتخابية ، والبرلمانية ، والرئاسية .

٣ــ **الخطبة القضائية** : وهى الخطبة التى تلقى فى دور المحاكم من النيابة ، أو من المحامين ، أو من المتقاضين .

٤ــ **الخطابة العسكرية** : وهى الخطب التى تلقى فى الجنود ، ورجال الجيش .

٥ــ **الخطبة المحفلية** : وهى خطب التأبين ، والمدائح ، ومحافل الفرح والتهانى .

ويلاحظ أننا آثرنا تسمية النوع الأول بالوعظ لأن الإسلام دين يشمل كل جوانب الحياة عسكرية . وقضائية ، وسياسية ... وغيرها .

والخطب فى هذه الجوانب جميعا دينية بالضررورة ، ومن هنا تعد الخطابة الوعظية جزءا من الخطابة الدينية .

وكل نوع من هذه الأنواع يتمتع بمزايا خاصة تميزه عن غيره ، وسوف أبين خصائص كل نوع مع ذكر عوامل النهوض به ، وذلك على النحو التالى :

ـ أولا ـ
الخطابة الوعظية [١]

سنتاول بإذن الله تعالى في دراسة الخطابة الوعظية التعريـف بهـا ، وتحديد موضوعها ، وبيان أهم خصائصها وذلك فيما يلي :

ـ ١ ـ
تعريف الخطابة الوعظية

الخطابة الوعظية تشمل الخطب التي تلقى في دور العبادة ، والمناسبات المختلفة ، ويقصد بها توضيح العقائد ، والتمكين للدين في القلوب ، ورد الشبه التى توجه للدين بصورة عامة وأساسها في الإسلام خطبة الجمعة والعيـدين ، وهى الخطب الدينية ، والدعوية .

وقد وضعت الشريعة الإسلامية ملامحها بتحديد الأركـان والـشروط والكيفية ... وغير ذلك .

ـ ٢ ـ
موضوع الخطابة الوعظية

يدور موضوع هذا النوع حول تكاليف الدين . أمرا أو نهيـا . إذ مـن المعروف البدهى أن الأديان لا تنتشر ولا تزد هى إلا بالدعوة إليها ، ومن هنا كان لكل دين أنصار وأتباع ، يتولون الدعوة إليه مع رسولهم ، أو بعده ، وقـد

١- سوف ندرس هذا الموضوع بشئ من التطويل لأنه المقصد الأكبر من الكتاب كله

رأينا بنى إسرائيل وهم يواصلون دعوة موسى عليه السلام ، وهؤلاء هم حواريو المسيح عليه السلام يناصرونه بالتأييد والدعوة إلى دينه ، وعلماء المسلمين مكلفون بالدعوة إلى دينهم الإسلامى ما دام على الأرض إنسان .

يقول الإمام الغزالى فى كتابه " الأحياء " : **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين . وهو المهم الذى أبتعث الله النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه . وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة . واضمحلت الديانة . وعمت الفترة . وفشت الضلالة . وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد . واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا في يوم النناد**[1].

وبقدر حاجة الإنسان إلى الدين تكون حاجته إلى هذا النوع من الخطابة الذي لا يمكن الاستغناء عنه أبدا ، وقد رأينا أهمية الخطابة للإسلام ومنزلتها مع سائر الوسائل والأساليب الدعوية فيما سبق .

ـ ٣ ـ
أهمية الخطابة الوعظية

تبدو أهمية الخطابة الوعظية من تتبعنا لتاريخ الإنسان نفسه . حيث نشاهده يبتلى بالأهواء المنحرفة التى تبعده عن طريق الله خاصة ، وقد رأينا أصحاب النحل يبذلون المشقة والجهد من أجل الانحراف بالإنسان ، ولو استعرضنا تاريخ البشر لوجدناه مؤسفا بحق ، حيث تزيد فترات انحرافه على فترات صحوه ، ويظهر أن أبالسة الإنس يتربصون بالإنسان فإذا مات الرسول ـ أى رسول ـ دبت الخلافات فى أمته ، ونشط الأعداء محاولين القضاء على ما تركه الرسول ، وقد رأينا كيف أن الفرس والروم خططوا للقضاء على

١- الأحياء جـ٧ من المجلد الثالث ط دار الفكر الثانية سنه ١٩٨٠ القاهرة

الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ فأشعلوا فتن الردة ، وأثاروا المناذرة والعساسنة فى الشام والعراق ضد المسلمين فى الجزيرة ، ولولا حكمة وشجاعة أبى بكـر رضي الله عنه فى محاربة المرتدين وتوجيه الجيوش نحو العراق والشام لتم لهـم مـا أرادوا والله ولى المؤمنين .

وقد حاول أنصار الهوى أن يأخذوا من نصوص القرآن الكريم ما يدفع إلى التيئيس من نجاح الوعظ والإرشاد ، واستدلوا فى محاولتهم بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾[1] ﴾ . وذكروا أن الآية ترشد إلى ترك الإرشاد والوعظ لعدم جدواه ، وما على الإنسان إلا نفسـه . وسـوف لا يؤاخذ الله الإنسان إن ترك وعظ الآخرين وكان مستقيما في ذاته .

ونحن نرد على أصحاب هذا الرأى بما رد به رسول الله ص على أبى ثعلبة الخشنى رضي الله عنه حينما سأله عن هذه الآية قال : **يا أبا ثعلبة . مر بالمعروف وأنه عن المنكر ، فإذا رأيت شحا مطاعا . وهوى متبعـا . ودنيـا مـؤثرة . وإعجاب كل ذى رأى برأيه . فعليك بنفسك . ودع عنـك العـوام ، إن مـن ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم . للتمسك فيها أجر خمسين منكم .**

قال أبو ثعلبة : **بل منهم يا رسول الله .**

قال ﷺ : **لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانـا ، ولا يجـدون عليه أعوانا[2] .**

وقد اهتم الدين الإسلامى على الخصوص بتوجيه أتباعه إلـى الأمـر بالمعروف . والنهى عن المنكر بصورة مطلقة ليدوم الخير في الأمة ، وينتشر بواسطتهم في العالم كله . وكلف الإسلام أتباعه أن يدوروا بالأمر بـالمعروف اتجاهات ثلاثة :

١- سورة المائدة آية ١٠٥

٢- سنن الترمذى ـ كتاب التفسير . باب ومن سورة المائدة جـ٥ صـ٢٥٧

الأول : يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أفـراد الأمـة الإسلامية جميعا علماء وجهلاء . حيث ألزم الدين كل مسلم بتوجيه أخيه إلى ما ينفعه . يقول ﷺ : **الدين النصيحة**

قيل : **لمن يا رسول الله**

وقال ﷺ : **لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** "[١] .

وهذه هى الدعوة الضرورية التى يسميها الإعلاميون الاتصال الجمعى الذى يتميز بمعرفة كل طرف الطرف الآخر ، وتـتم بالمواجهـة المباشـرة ، ومعرفة الفعل ورد الفعل ، وإدراك الأثر والفائدة .

الثانى : دعوة الجماعة الإسلامية لغيرها من المسلمين وغير المسلميـن ذلك لأن الحياة واسعة الاختصاص والأعمال . وقد شرع الله أن تتخصص جماعة فى الدعوة إلى الله ، وأوجب على هذه الجماعة أن تدعو غيرها من المسلمين وغيرهم . فقال تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٢] وواجب على الجماعة التي تفقهت أن تقوم بالدعوة والأمة من ورائها تدعمها ، وتعينها .

الثالث : دعوة الأمم غير الإسلامية إلى الدخول فى الإسلام . فقال يقول الله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٣] ، لأن العالم كله هو مجال الدعوة ، ويجب أن يبلغه دين الله على وجه صحيح ، والفرق بين الوجه الثانى والوجه الثالث هو أن الوجه الثانى يقوم به الأفراد ، والوجه الثالث تقوم به الأمة .

١- فيض القدير جـ٣ صـ٥٥٥

٢- سورة التوبة آية ١٢٢

٣- سورة آل عمران آية ١٠٤

وعلـــى الجملة

فإن الأمة الإسلامية مكلفة بالمساهمة فى الدعوة إلى الخير ونشر دين الله تعالى . وحث الناس على تطبيق تعاليمه يقول ﷺ : " **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضعــف الإيمان** "[١] .

وغير خاف بعد ذلك أن نعرف أن مصادر الوعظ هو القرآن الكريم . والسنة النبوية . وخلاصة أفكار المخلصين من العلمـــاء المـــسلمين الـــذين لا يخرجون عن أصول الكتاب والسنة ، ويعتبر النبى ﷺ هو إمام الوعـــاظ فـــى خطبهم وإرشادهم كما أنه الإمام فى سائر الشئون .

ـ ٤ ـ
خصائص الخطابة الوعظية

تتميز الخطابة الوعظية بالأمور الآتية :

١ــ **الاستهلال بحمد الله** : والاستفتاح بتحميده وإلا ســـميت الخطبـــة (بتراء) لسقوط بدايتها ، ويجب أن تتوشح بآيـــات مـــن القـــرآن الكريم ، وتتزين بالصلاة على النبي ﷺ ، وإلا سميت "شوهاء" ، وفى خطب الجمعة تقترن الحمد له بالشهادة وإلا كانت "جذماء"[٢].
وقد تتضمن بعض الآيات القرآنية الآمرة بالتقوى ، وهى كثيـــرة يقول ابن قتيبة : **أنه تتبع خطب الرسول فوجد أوائل أكثرها هو " الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه . ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفـــسنا . ومـــن ســـيئات**

١- فيض القدير جــ٦ صـــ١٣٠

٢- عيون الأخبار جــ٢ صـــ٢٣١

أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل الله فلا هـــادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[١] .

إن خطباء العصر الأول كانوا يعتبرون الحمد له والتشهد والقرآن فوق أنها أجزاء للخطبة ، كانوا يعتبرون ذلك إستعانه على النجاح لدرجة أنهم كانوا يختمون خطبهم بنحو ما يستهلونها بـــه كقـــول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى نهاية خطبة له : " **فاحمدوا عباد الله نعمه ، واشكروه على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين** " ، **وكقول أبى بكر** رضي الله عنه " **اللهم اجعل خيـــر زمانى آخره ، وخيـــر عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقائك** " .

يروى ابن عبد البر أن القوم كانوا إذا سمعوا هذا القول من أبى بكر عرفوا أنه قد فرغ من خطبته .

٢ــ **مراعاة مقتضى الحـــال** : وذلك بأن تكون الخطبة قصيرة موجزة إن كان موضوعها سهل التناول . خاليا من المعارضة والتنازع . أما إن كان الموضوع شائكا . يتعلق بأمر فيه الاختلاف . فيجب أن يكون طويلا ليشمل سائر جوانب الموضوع . ولقد كان النبى ﷺ يقول لأصحابه : " **أطيلوا الـــصلاة وإقتـــصروا الخطبـــة** "[٢] ويوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين وجهه لفتح الشام فيقول له : " **فإذا وعظت جندك فأوجز فإن كثير الكـــلام ينـــسى بعضه بعضا** "[٣] . وحينما وقع الاختلاف المذهبى والسياسى بـــين المسلمين طالت الخطب . واتسعت لتشمل البيان والتفنيد والدفاع.

٣ــ **الارتباط بالقرآن الكريم** : وذلك أن القرآن الكريم هـــو دســـتور الدعوة . وقد حفظها للناس . وبين فى ثنايـــاه وســـائل التـــأثير

١- المرجع السابق جـ٢ صـ٢٣٢

٢- صحيح مسلم . كتاب الجمعة

٣- الكامل لابن الأثير جـــ٢ صـــ١٩٦

والإقناع . والمطلع على علوم القرآن الكريم يعرف الدور التأثيرى للقصص القرآنى والقسم فى القرآن ، وغير ذلك . فى دقة . وهدف .

يقول الجاحظ : " **إن خطباء العصر الأول كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل ، وفى الكلاه يوم الجمع . آى من القرآن . فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع** "[١] .

وبالنظر فى شأن الخطباء المجيدين نجد أن السبب هو ارتباطهم بالقرآن الكريم . لدرجة أن الأعراب الجفاة الذين لم يتفهموا الدين ولم يحفظوا كتابه بعدوا عن الإجادة فى الخطبة . ولم يقدموا فى هذا المجال شيئا يذكر .

٤ـ **الإعداد الدقيق :** تحتاج الخطابة الوعظية إلى كثير من الإعداد حتى تأتى مناسبة لمقامها،مطابقة لأدلتها من القرآن الكريم . وهى أكثر أنواع الخطب حاجة إلى العناية والتجهيز .

وأغلب الذين يفشلون فى مواعظهم لا يعدون لها . ويتخيلون أن الموعظة كلمات يحفظونها .ويلقونها فى كل مناسبة مهما كان اختلافها عن موضوعها . ولذلك نجد هؤلاء عديمى الفائدة ، قليلى الأثر .

إن النبى ﷺ كان يختار ألفاظ مواعظه بدقة متناهية . وكان يوجه أصحابه إلى التدقيق فى اختيار الألفاظ يقول الجاحظ : " استعمل النبى ﷺ **المبسوط فى موضع البسط . والمقصور فى موضع القصر ، وهجا الغريب الوحشى ،ورغب عن الهجين السوقى** "[٢].

وكان أصحاب النبى ﷺ وأتباعه يعدون خطبهم قبل إلقائها توخيا

١- البيان والتبيين جـ١ صـ١١٨

٢- البيان والتبيين جـ٢ صـ١٧

لإجادتها وخشية العجز عنها .

يروى الطبرى أن عمر قال يوم السقيفة : " **أتيناهم وقد كنت زورت (أعددت) كلاما أردت أن أقوم به فيهم ....** "[١] . ويقول عبد الله بن وهيب الراسبى لأتباعه حينما طلبوا منه أن يخطب فيهم قال : " **ما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب** " ذلك لأن الرأى الذى يوجد فى لحظة القول فقط ينتج الكلام غير المترابط . وهذا لا يرضاه الراسبى لنفسه .

لقد كان الخطباء يخافون اعتلاء المنابر فى الجمعة والعيدين والاستسقاء وهذا دفعهم إلى إعداد الخطب . وتزويرها .

٥ـ **الارتباط بالعقل والوجدان** : الموعظة فى حقيقتها توجيهات تفيد القرب النفسى بين الخطيب ومستمعيه بما تشمل من إثارة الانفعال . وإيقاظ الشعور . مع وضوح أن الخطيب يقصد النصح والإرشاد ، وما دامت الموعظة هكذا فلا بد لها من الارتباط بالعقل والوجدان وهذا يحتاج إلى الأمور الآتية :

أ- **إيمان الخطيب بما يقوله** . وحرصه على إقناع المخاطبين برأيه واستمالتهم إليه . ولا يمكنه ذلك إلا إذا اظهر نصائحه القولية فى تطبيقاته العملية ، لأن الناس أكثر إلفا بالأعمال ، وأكثر تتبعا لها ولعل هذه النقطة أخطر ما يحتاج إليه الخطيب المعاصر ، حيث يوجه النقد المستمر إلى من اتخذوا الوعظ وظيفة لهم ، وقصروا رسالتهم على توجيه الأقوال دون أن يطبقوا شيئا ، فأساءوا إلى الوعظ أكثر من أن يفيدوه.

ب- **الالتجاء إلى أساليب التوكيد المختلفة** . ومن أمثال ذلك ما نجده فى أقوال النبى ﷺ يوم حجة الوداع حيث كرر " **ألا هل**

١ـ تاريخ الطبرى جـ٣ صـ٣٦٠

بلغت . اللهم فاشهد " ، وما تجده فى قول أبـــى بكـــر رضي الله عنه حين توليه الخلافة . " **ألا إن القوى فيكم ضعيف حتى آخـذ الحق منه . والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له** "[١] .

ومن أمثاله أيضا ما نجده فى قول على رضي الله عنه : " **أى دار بعد داركم تمتعون . ومع أى إمام بعدى تقاتلون . ما بالكم ؟ ما دواؤكم ؟ . ما طبعكم ؟ ألقوم رجال مثلكم . أقوال بغير علم وغفلة من غير ورع . وطمع فى غير حق** "[٢].

ج- الاعتناء بالجمال اللفظى لأن ذلك أدعى للانتباه واليقظة .

٦- **الدعوة إلى الخير المطلق** : ترتبط الخطـب الوعظيـة بـالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دائما . ولذلك فهى خيرة دائمـا ، ومفيدة للبشر أجمعين ، وهى تأتى غنية بأفكارها . مشتملة على عناصر الخطبة ومحتوياتها على النحو السابق ذكره .

❖ ❖ ❖

ويلاحظ أن الخصائص المذكورة للخطبـة الوعظيـة لا تبعـدها عـن محتويات الخطبة عموما . لأن الخاصية الأولى والثانية تتعلق بالـشكل العـام للخطبة حيث تحدد الموضوع بالافتتاح . وتجعله مناسبا للمستمعين ، والخاصية الثالثة تتعلق بالدليل وطريقة اختياره وضرورة أن يكون مرتبطا بمصدر حـق مؤثر ، والخاصية الرابعة والخامسة تتعلق بترتيب الخطبة . وبتسلسل أفكارها . واشتمالها على البيان بأنواعه .

ويلاحظ أيضا أن هذا النوع من الخطب يوجه إلـى المـسلمين تثبيتـا للإيمان ، وتعليما للدين . ويوجه إلى غير المسلمين دعوة لهم إلـى الإسـلام . ودفاعا ضد شبهاتهم .

١- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٣٩

٢- البداية والنهاية جـ٦ صـ٣٤٠

ويلاحظ كذلك أن المواعظ الإسلامية تغاير سواها بدقة أفكارها وبشمولها لكافة الموضوعات . لأن المواعظ غيرها مجموعة من الأذكار والصلوات المحفوظة التى تكرر بين الحين والحين تبعا للموضوع التى ألفت فيه كموضوع التعميد . والزواج مثلا . وفى الغالب نجدها تئول إلى أفكار واحدة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان .

ـ ٥ ـ
حالة الخطابة الوعظية اليوم

نلاحظ أن الخطابة الوعظية اليوم فى أغلبها تحتاج إلى عناية أكبر نظرا لعجزها عن القيام بدورها .

ويمكننا أن نرجع سبب هذا العجز إلى واحد من الأسباب الآتية :

أ ـ عدم التزام الخطباء بالأصول العلمية للخطبة حيث نجدهم يجعلون للخطبة الواحدة موضوعات شتى تدور مع الفضائل والرذائل ، داعية ومنفرة ، وهذا الوضع فى نظرنا هو الإفلاس العلمى للخطباء مما يجعلهم يعجزون عن الالتزام بموضوع واحد . ولا يقدرون على العمق العلمى فى هذا الموضوع . ومن هنا نجدهم يهربون إلى تشتيت الخطبة حتى جعلوها كشكولا جامعا مفككا بلا تأثير فى ناحية ما . ولا يمكن للخطبة أن تؤثر وهى هكذا .

إن الخطبة موضوع واحد له عناصره . وليست بحثا له موضوعاته ويجب أن يفرق الخطيب بين الخطبة والبحث . لأن بعض الخطباء يجمع الموضوعات . ويتخيلها عناصر لأدنى ملابسة رغم بعد الترابط بينها . ووضوح استقلال كل عنصر عن غيره .

وهناك بعض الخطباء الممتازين ذوى التأثير الرائع الذين يلتزمون

بالموضوع الواحد ويخدمونه بعلمهم وقراءاتهم . وهــؤلاء نقــدمهم دليلا نعرف به أثر الالتزام بموضوع واحد في الفائدة ، وأثر تعــدد الموضوع فى عدم جدوى الوعظ ، وفى نفس الوقت ننادى بضرورة الالتزام بالموضوع الواحد المناسب للمستمعين .

ب ــ ومع تعدد الموضوع فى الخطبة الواحدة فإن الخطيب لعجزه يعــود ويكرر المعانى الواحدة مع كل موضوع بعد استبدال لفظ بمرادفــه وبذلك يضم إلى عدم الفصاحة العى والقصور ، وهكــذا يــستمر الخطيب فى الدوران حول نفسه بعيدا على التأثير والاستمالة .

ج ــ التزام بعض الخطباء للخطب المكتوبة من فترة طويلــة ، والتــى ألفت على عدد أيام الجمع وتدور مع السنة كلها . ورغم أنها ألفــت لعصرها فقط ، فإننا نشاهد العى من خطيب اليوم وهو يتمسك بها ، أنه يتناول حوادث ولى زمانها ، أو ملوكا دالت دولهم ، أو وقائع لا يسمع بها إلا القارئ للتاريخ ، وهذا يبعث على السخرية ، وهنــاك من الخطباء من يحفظ بعض الخطب ويستمر فى تكرارها واعادتها.

إن تكرار هذا النوع جعل المستمعين يحفظون هذه الخطب ، فإذا ما بدأ الخطيب موعظته سبقه الناس إلى النطق بما سيقول .

وكم سمعنا عن أعاجيب لا تكاد تصدق لولا أن الإنسان شاهد هــذه الأعاجيب بنفسه .

إن الخطبة يجب أن تلامس مشاكل الناس وتحللها . وتقدم لها العلاج من الدين ، وبذلك تتمكن من التأثير والإقناع .

د ــ عدم مراعاة الخطبة للمستمعين . وهذا يحدث أحيانا عنــد محاولــة فرض خطبة واحدة على سائر الأقاليم . أو عدم ملاحظة الخطيــب لأوضاع مستمعيه .

ه ــ عدم التزام الواعظ لما يعظ به الناس . فيخالف قوله عمله . ومــن هنا نجد الناس الذين يستمعون الموعظة لا يتأثرون بهــا . يقــول

مالك بن دينار : " **إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته من القلوب** "

ويقول حكيم : " **إن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يمكنه أداة الزكاة** "[1] .

وهذه الأسباب أدت إلى ندرة فائدة الوعظ . وقلة تأثيره في الناس ووضعه فى صورة سيئة باهتة ممسوخة .

ولما كان هذا الحال ضارا بالأمة والأفراد . فإذا الواجب المحتم أن يقوم المهتمون بالدعوة بإصلاح حال الوعظ ليتبوأ مكانته الطبيعية بين الناس وبذلك ينجو الجميع من عقوبة التقصير ، ويفيدون الإنسانية أمما وأفرادا .

ـ ٦ ـ
طريقة النهوض بالوعظ

من الواجب النهوض بالخطابة الوعظية لتقوم بدورها في المحافظة على الدين ، وتفهيم الناس ، وصيانة الحق من اتباع الباطل وأنصار الشيطان . وطريقة النهوض بالوعظ بمختلف صوره في تصورى تأتى بالأمور التالية :

ـ أولا ـ
ضرورة إخلاص الواعظ

إخلاص الخطيب الواعظ لدعوته عملية أساسية للنهوض بالدعوة . وهذا الإخلاص لا يتأتى إلا بتطابق القول مع العمل (ولسوف نرى أهمية هذه الصفة حين نتحدث عن الخطيب) .

---

١ ـ أصول الخطابة صـ٢٥٦

يقول الشاطبى : " **إن المفتى إذا أمر مثلا بالصمت عمالا يعنى فإن كان صامتا عما لا يعنى ففتواه صادقة . وإن كان من الخائضين فيما لا يعنى فهى غير صادقة ، وإن حض ذلك على الزهد فى الدنيا وهو زاهد فيهـا صـدقت فتواه . وإن كان راغبا فى الدنيا فهى كاذبة . وعلى هذا الترتيب سائر أحكـام الشريعة فى الأوامر ، ومثلها فى النواهى لأن علامة صدق القـول مطابقـة العمل ، بل هو الصدق فى الحقيقة عند العلماء . وحينما نهى النبى ﷺ عـن الربا ووضع الدماء لم يكتف بالقول وإنما قرن نهيه بالفعل والتطبيـق علـى نفسه وأهل بيته فقال : " وأول ربا أضعه ربا عمى العباس . وأول دم أضـعه دمنا دم ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب** "[١] .

إن الواجب على الواعظ أن يتعظ ثم يعظ . ويبصر ثم يبصر ، ويهتدى ثم يهدى ، ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد ، ومسنا يستحد ولا يقطع . وسراجا يضئ للناس ويحرق نفسه ... إنه لو أخلص لا ستفاد وأفاد .

وحينما يتحقق هذا الإخلاص يتحول الواعظ إلى شعاع ونور ، يرتبـط بجمهوره بكل قوة لأن الأخلاص يربط القلوب ببعضها ، ويؤالف بين الأرواح . ويجعل كل فرد يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ... وحينئذ تصل كلمات الواعظ إلى القلوب وتلتصق بها .

ـ ثانيا ـ
الإحاطة التامة بالموعظة

الإحاطة بنوعية الموعظة نقطة هامة يحتاج إليها الواعظ لأنها تمكنه من شمول النظرة فى الموضوع . وعمق الاستدلال والبيان .

إن المواعظ الدينية تدور فى الموضوعات التالية :

١ـ الدعوة إلى الإسلام بشرح حقائقه،وإظهار جوانبه العقائدية،والتشريعية

١- الموافقات جـ٤ صـ٢٥٢ ، ٢٥٥

والأخلاقية .

٢ــ الدفاع عن الإسلام ضد معارضية الذين يثيرون الشبه ، ويكـــررون الأراجيف .

٣ــ تثبيت الإيمان وتقويته بالأدلة والبراهين وبخاصـــة بتلـك الأحـداث المثيرة التى تدعو إلى ضرورة تقوية الإيمـــان والرضـــى بالقــضاء والقدر .

٤ــ الإصلاح العام للمجتمع فى كل المجالات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية والصحية ... وهكذا .

ويجب على الخطيب أن يستعد لإحاطة معارفه بكل موضـــوع . لأن الموضوع الأول يحتاج إلى معرفة شاملة وتامة بالإسلام .

والموضوع الثانى : يحتاج إلى الإحاطة بالأراجيف التي يروجها الأعداء عـــن الإسلام ، وتحتاج المواضيع الباقية إلـــى إلمـــام الـــواعظ بطـــرق الإثـــارة . والاستمالة وقصص القرآن الكريم . وسيرة النبى ﷺ ، بالإضافة إلـــى معرفـــة تامة بنفسية الموعوظين وطريقة التأثير فيهم ، ومعرفـــة عـــاداتهم وطبـــائعهم ومعرفة المشاكل التى يعيشونها . لأن هذا كله يمكـــن الـــواعظ مـــن تحديـــد موضوعه ، والإحاطة بجوانبه المختلفة ، وطريقة الاستدلال عليـــه بالمناســـب وبيانه البيان المطلوب.

وهذه المعارف ضرورية لابد منها ، وهذا بعض تفصيل لها .

ــ ثالثا ــ
المعرفة التامة بالدعوة بالإسلام

معرفة حقيقة الدعوة ضرورة للخطيب ، لأنها المنطلق الذى منه يتحرك وبه يدعو وبوضوحه يتجمع الناس ، ويؤمنون ، ويصدقون بكل ما يوجه لهم . ولابد أن تكون الإحاطة شاملة للدعوة لكى يكون عالما بما يعلمه لغيـــره . لأن

فاقد الشئ لا يعطيه . وشمول المعرفة للفكرة محل النقاش تدفع المستمع إلـى الثقة فى قوله . وسرعة تصديقه فيما يطلبه . وهذه المعرفـة ليست شـاقة الطريق فإنها مبثوثة فى القرآن الكريم الذى ضمن الله حفظه وتركه فى الناس فائدة للعالمين . وأمانة سوف يحاسبون على تقصيرهم فيها .

وعلى الخطيب أن يحفظ القرآن الكريم وسيفهمه بـسبب حفظـه . لأن كثيرا من الآيات يفسر بعضها بعضا . وبعضها الآخر الباقى يفهـم بطريـق السنة وأقوال الصحابة . واجتهاد العلماء .

وتعتبر المعرفة التامة بالكتاب الكريم هى الدعامة الأساسـية لمعرفـة الخطيب لأنها تعرف كثيرا مما يحتاج إليه . وفيها دعوته بعقيدتها ، وشريعتها وأخلاقها وفيها الوسائل التى يخاطب بها الناس . وفيها سيعرف دوره ومصيره وبدراسة القصة والقسم وغيرها يعلم نهج مخاطبة الناس وترغيبهم وتـشويقهم للدعوة .

ومع ذلك فإنه من خلال الوسائل القرآنية سيعرف كثيرا عن طبائع الناس وغرائزهم وعاداتهم . ويلحظ كيف راعت ناحية التأثير فى الجميع ، وسيعرف مقاصد الدعوة وأهدافها الرامية إلى إسعاد الناس فى الدنيا والآخرة ، والنبى ﷺ كان يختبر الدعاة عن مدى تمكنهم وتفقههم وتفهمهم وإحاطتهم بالكتاب أسـاس الدعوة . يروى ابن عبد البر بسنده عن شعبه قال : " **حدثنى أبو عـون عـن الحرث عن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ أنه قال : " لما بعثنى رسـول الله ﷺ إلى اليمن قال:كيف تقضى إذا عرض لك قضاء .**

قال : " اقضى بكتاب الله .

قال ﷺ : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟

قال: معاذ : أقضى بما في سنة رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟

قال معاذ : أجتهد رأيى ولا آلو :

فضرب رسول الله صدرى وقال لى : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله"[١] .

فإجابة معاذ لرسول الله ﷺ تشير إلى شمول معرفته بالقرآن الكريم لأنه يبحث فيه كله عند القضاء فإن لم يجد ينتقل إلى السنة . وأيضا فإن المعرفة الشاملة للقرآن تمكن الداعية من هداية الناس ، والأخذ بيدهم حين الاختلاف لتمتعه ببصيرة نافذة ، وموهبه ربانية تجعله أعلم من غيره يقول النبى ﷺ : "**أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا أختلف الناس** "[٢] .

وهذه البصيرة فى القرآن تحتاج إلى مجموعة من العلوم تمكن من فهم المراد فإن الصحابة رضوان الله عليهم وهم على ما عليه من فصاحة كانوا يعلمون ظواهر القرآن . أما دقائقه الباطنة فكان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى ﷺ فى الغالب الأكثر . كسؤالهم لما نزل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [٣]﴾ . حيث قال النبى ﷺ : " **أينا لم يظلم نفسه** ؟ " ففسره النبى ﷺ لهم بالشرك بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [٤]﴾ . وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال لها هو العرض . ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ذلك ما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة وأسرارها .

وقد ذكر السيوطى خمسة عشر علما من العلوم الضرورية لفهم كتاب الله تعالى لابد منها . وهى **علم اللغة** ليعرف بها شرح المفردات والألفاظ وبيان معانيها مفردة ومركبة .

١- جامع بيان العلم جـ٢ صـ٦٩

٢- جامع بيان العلم جـ٢ صـ٥٣

٣- سورة الأنعام آية ٨٢

٤- سورة لقمان آية ١٣

والثانى **علم النحو** لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، ومعرفة العمدة والفضلة ، وتمييز المرفوع من المنصوب والمجرور والمجزوم لما لذلك من أثر في تغيير المعنى .

والثالث **علم التصريف** لأن به تعرف الصيغ والأبنية وتظهر أنواع الاشتقاقات والإحاطة بمعناها من أصلها .

والرابع **علم الاشتقاق** لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين تعدد معناه تبعا لأصوله .

والسادس والسابع **علوم المعانى والبيان والبديع** لأنه يعرف بالمعانى خواص التراكيب من جهة أفادتها المعنى وبالبيان تعرف خواصها من جهة اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالبديع يعرف وجوه تحسين الكلام .

والثامن **علم القراءات** وتوجيهاته في توضيح المعنى .

والتاسع **علم أصول الدين** ليعرف ما فى القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما يجب لله تعالى ، وما يستحيل ، وما يجوز عليه سبحانه وتعالى .

والعاشر **علم أصول الفقه** إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

والحادى عشر **أسباب النزول والقصص** .

والثانى عشر **الناسخ والمنسوخ** .

والثالث عشر **الفقه** .

والرابع عشر **الأحاديث المبينة للقرآن الكريم** .

والخامس عشر **علم الموهبة** وهو علم يورثه الله من عمل بما علم "[١] .

ومن هذه العلوم اللازمة المذكورة نلمح أن الخطبة كفن تحتاج إلى التمكن من القرآن الكريم ليكون خير ممثل للدعوة ، وخير دارس لحياة سيدنا رسول الله ﷺ .

١- الاتقان جـ٢ صـ١٨٠ ، ١٨١ بتصرف

ـ رابعا ـ
المعرفـة بالمدعويـن

معرفة من توجه إليهم الدعوة ضرورة للداعية ، لأنها تمكن الخطيب من التأثير والإقناع والوصول إلى قلوب الناس ونفوسهم . وذلك يحتاج إلى المعرفة الشاملة التى تجعله يصنع التناسب بين عرض الدعوة والمدعوين سواء كـــانوا فى القرية ، أو فى المدينة ، أو فى أى مكان .

وهذه المعرفة تحتاج إلى دراسة العلوم التالية :

ــ **علم التاريخ :** لكى يصل إلى أصول عقائد الناس وأخلاقهم ليعالجهم علاجا جذريا . وأيضا فإن دراسة سير السابقين يعطى فهما لطبائع البشر ، ولهذا كثر القصص القرآنى حاكيا أحوال السابقين ، بل إن هذا القصص يعتبـــر وســـيلة مؤثرة فى نفوس مستمعيه لأنه يؤثر فى ثناياه ويخاطب العقل الوجدان . ومن هنا كانت دراسة التاريخ . خاصة تاريخ الأديان والنحل هامة الدعاة .

ــ **علم الجغرافيا :** وذلك لكى يفهم الخطيب طبيعة البيئـــة وأعمـــال الـــسكان لأهميتهما فى تكوين الدافع المزاجى والفكرى للناس .

ــ **علم النفس الاجتماعى :** لكى يعـــرف الخطيـــب هـــوى الـــنفس وميولهـــا واتجاهاتها ومدى تأثرها وتأثيرها فى المجتمع الذى يعيش فيه والمقدار الـــذى يتغير من السلوك نتيجة هذا التأثير . وهذا العلم هام لأنه يمكن الداعيـــة مـــن توجيه خطاباته إلى النفس بما يثيرها ويناسبها .

ـ خامسا ـ
المعرفة بلغة المدعوين

إن من البيان المطلوب أن يخاطب الواعظ القوم بلغتهم لأنهم فى هـــذه الحالة يكونون أقدر على السماع . وأقوى على الفهم . وقد بعث الله كل نبـــى إلى أمته بلغتها وقد كان النبى ﷺ يخاطب العرب كل بلهجته .

فالدعوة الإسلامية عامة ودائمة . ومحال أن تنزل بكـل لغـات العـالم الموجودة ، أو التى ستوجد ، ومن هنا مكن الله العرب من لغات الأمم حتـى استطاعوا الوصول إلى غيرهم من الناس ... ولذا أصبح واجبا على الدعاة بعد النبى ﷺ مواصلة الدراسة للغات العالم . لكى يملكوا القدرة على مخاطبـة أى قوم بلغتهم ويستطيعوا أن يترجموا المبادئ والأسس الإسلامية بينه واضـحة . هذا وقد ثبت أن النبى ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية ؟ وقال لـه ﷺ :

يا زيد أتحسن السريانية إنها تأتينى كتب بها .

قلت : **لا**

قال ﷺ : **تعلمها**

يقول زيد : **فتعلمتها فى سبعة عسر يوما**[١]

إن الخطيب إذا تمتع بهذه الجوانب سهل عليه اختيار الموضوع . وسهل عليه الإعداد له . وسهل عليه الالتزام به . وبذلك يبعد عن التشتت . ويـتمكن من الاستدلال عليه بما يثير ويؤثر .

ـ سادسا ـ
الالتزام بالأصول العلمية

بعد إخلاص الخطيب لموعظته وإحاطته بموضوعه والتزامه بأدلته فإن عليه أن يلتزم بأصول الخطبة الوعظية .

فإن كانت موعظته فى الدعوة إلى الإسلام فإن عليه أن يتخير من مبادئ الإسلام ما يكون أحب لقلوب المستمعين . وأن يعتصم بـالمنطق والبرهـان ، وإذا كانت الموعظة فى تعاليم العامة فإن عليه أن يبتعد عن الشروح الفلـسفية وعن مواضع الخلاف . وأن يستدل كثيرا بالقرآن الكريم. والسنة النبوية .

وإن كانت الموعظة فى تثبيت الإيمان فإن عليه أن يبين فضائل الإسلام

---

١ - الفتح الربانى - كتاب العلم . باب فضل العلم والعلماء جـ١ صـ١٤٥

ويتخير من الآيات والأحاديث ما يؤيد الإيمان ويشرحه .

وإن كانت الموعظة فى الإصلاح العام للمجتمع فإن عليه أن يتخير عيبا واحدا ويجعله موضوع خطبته ويجمع حوله الأدلة المفيدة .

ومع تخير المناسب لكل موضوع فإن عليه أن يلحظ محتويات الخطبة وأقسامها ليوفى كل قسم حقه .

ـ سابعا ـ
ربط الوعظ بالواقع

نريد من الواعظ أن يهتم بهذا الأمر ويربط مواعظه بمستمعيه . ويتخير أهم حاجات الناس ويبين رأى الدين فيها . وعلاجه لها . لأنه لو لم يحقق هذا الربط لوجب عليه أن يجيبنا على سؤال ضرورى سوف يسمعه .

ما فائدة الدين إذا لم يعالج مشاكل الحياة ؟

إن الإسلام يدعو إلى التمتع بالحياة . والأخذ من طيبات الرزق ، والانتفاع بالدنيا . وتعمير الكون بالعمل والإنتاج . والنصوص التى تذم الدنيا يراد بها التحذير من التكالب عليها مع عدم القيام بالواجب . والخطيب الناجح هو الذى يفهم هذا ويدعو الناس إلى الخير بالانتفاع من كل هذا .

لا نريد من الخطيب أن ينعزل عن جمهوره وهو يرتبط بخطب ألفها علماء قدماء لعصرهم الذى انقضى ، لأن هذا يوقعه فى الانفصال عن الناس . والاستهانه بكل مل يعظ به .

ولا نريد من الخطيب أن يعتمد على خطبة مكتوبة ما دام كاتبها لم يعايش الناس ويدرس أحوالهم ومشاكلهم .

ولا نريد من الخطيب أن يركز على السلبيات الاجتماعية فلا يقول إلا نقدا ولا ينطق إلا بسباب .

إننا نريد من الخطيب أن يهتم ببناء النفـوس . وإصـلاح المجتمـع ، وباختصار نريده أن يصل الدين بالحياة . فما جاء الدين ليكون أقوالا مستورة ، أو تعاليم مطمورة ، أو أدعية مبتورة . إنما جاء ليصلح الحياة . ويسعد الناس فى هذه الحياة .

يجب أن ينتهى إلى الأبد صورة الخطيب الذى يتنـاول الحـديث عـن الموت والجنة والنار فقط . ولا يتخطاها أبدا ، أو يتكلم عنها بـدون ربطهـا بوجوب السعى فى الدنيا .

إن الحديث عن الموت يكون للاعتبار والعظة ليكون في خدمة الحيـاة والحديث عن الجنة ليدفع إلى العمل لها ، والحديث عن النار ليبعد الناس عـن طريقها ، ولهذه الفوائد يكون الحديث في هذه الموضوعات على أن تأخذ قدرها ... وعلى الخطيب أن يلونه موضوعاته ليعالج كافة قضايا الناس ، ويعيش مع كل جديد يحدث لهم . وحينئذ يتحقق للدين الهيمنة ، ويقود الناس إلـى الحـق والصواب .

إن علم الخطيب وسعه أفقه تمكنه من ذلك . والأمل كبير ، ولو وصلنا الأمل لحققنا المراد بتوفيق الله وأعدنا للوعظ قيمته ودوره فى إصلاح الأفراد والجماعات .

ـ ثامنا ـ
نماذج للخطب الوعظية

ـ ١ ـ
" آثار الإيمان الاجتماعية "

العناصر :

١- مفهوم العمل الصالح .
٢- الجزاء على العمل .
٣- الإيمان بين العقيدة والسلوك .
٤- آثار الإيمان في الجماعة .

الخطبـــة

أحمدك اللهم حمد من أخلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر مـن أطاعك لذاتك ، وابتغاء رضوانك العميم . وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بـالعزة والسلطان ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه الله رحمـة للعـالمين . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبه الطيبين الأخيار .

وبعـــد

يقول الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾[1] .

١- سورة النور آية ٥٥

هذا وعد الله الصادق للمؤمنين ، ولن يخلف الله وعده . إذا أخلصوا في إيمانهم ، والتزموا بكافة عناصره الظاهرة والباطنة .

أمور ثلاثة أيها المؤمنون هي أسمى ما يتصوره الإنسان ، جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الإيمان الصادق .

استخلاف العاملين في الأرض ، وتمكين دينهم الذي ارتضاه لهم . وتبديلهم بعد الخوف أمنا وطمأنينة .

والاستخلاف في الأرض خلافة عن الله في عمارة الكون ، وتوزيع العدل والإحساس بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ، ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تتفانى الأمم في سبيله . وتضحى بأبنائها وأموالها ابتغاء الوصول إليه ، وما استقامت عقيدة ولا استقر سلطان ، ولا وجد مجد وئؤدد ، ولا شعرت أمة بالعزة إلا إذا حمتها القوة وبسطت عليها أجنحتها ، وهذه المثل قائمة ، وشواهد الماضى حاضرة في الذهن مائلة للعيان ووقائع الحاضر ظاهرة يتحرك أمام البصائر والأبصار .

وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع . يتبعه استقرار النفوس وراحة الضمائر ، والشعور بالعزة والكرامة ، ليس أشهى للنفس ولا أمتع للقلب ، ولا أهنأ للروح ، من أن يرى الإنسان عقيدته هي السلطان عليه وصاحبة النفوذ في نفوس الناس الصادقين .

والأمن بعد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة ، وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير ، وتجعل العيش مريرا ، والحياة مضطربة . وما أحلى الأمن يستقر بين الفرق ، وما أعذبه يتدفق بعد القلق ! عندئذ يندفع الإنسان نحو العمل صافى القلب متجها إلى الله ملتمسا الخير والنفع للعباد .

ليس الإيمان أيها المؤمنون تصورات تتخيلها العقول ، وكلمات وتجرى عبارات على اللسان ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها نطقا باللسان ، وعملا بالحوارح . ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ [١] ﴾ .

ومن آثار العمل الصالح . وليس العمل الصالح مجرد صلاة تؤدى بالحركات ، أو صيام يؤدى بالحرمان من اللذات ، أو ذكر يجرى على اللسان ألفاظا ميتة خالية من الخشية والرهبة . إنما العمل الصالح ما اشتمل على روح الإسعاد : من إخلاص لله ، ومحبة لخير الفرد والجماعة ، وأداء للحقوق كاملة لله ولعباد الله ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ [٢] ﴾ .

إن أعلى العمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق ، من الوفاء بالعهد ، والصدق في القول ، والشجاعة في الحق ، والصبر على احتمال المكارة ، والعدل مع الأفراد ، بأداء حقوقهم ، وحب السعادة لهم ، وإرشادهم إلى الخير ومعاونتهم فيه .

ومن العمل الصالح طاعة الفرد لما تفرضه الجماعة ، وما يفرضه الحاكم . مما ليس فيه معصية للخالق .

ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية ، والدأب والسهر على مصالحها وحياطتها من الانزلاق في الشر والتهاون في الدين .

وإن قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه هو العدل ، وهو مطلوب من الحكام ، ومطلوب من الرعية ، والعدل هو إتباع السنن الإلهية ، والتزام الأوامر الدينية ، وتتبع النواميس الوضعية التي لا تتنافى والدين .

إن الأمة الصالحة التي تستحق الخلافة أيها المؤمنون كما يجب أن تقوم على العدل يجب أيضا أن تؤدى للأرض حقها من عمران ، وأن تستخرج ما فيها وما حولها من قوى ومنافع ، لتحقيق الإرادة الإلهية من خلق تلك القوى

١- سورة الحجرات آية ١٥

٢- سورة البينة آية ٥

وتسخيرها لمنفعة الإنسان يقول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [١] ﴾ .

عباد الله : لا تسعد أمة تتفرق أهواؤها وتصبح شيعا وأحزابا ، رائدهـا الهوى ، وقائدها المصالح الخاصة .

ولا تسعد أمة تحتكم إلى الشهوات ، وتتعامى عن الآيات . وتدع النذر ، وتعمى عن العبر .

لا تسعد أمة تنبذ تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حبا في الاستمتاع بالشهوات ، وما في الحياة من لذات .

لا تسعد أمة ينغمس أمراؤها وأغنياؤها في الترف ، ويستعذبون الراحة ويأنفون العمل ، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ [٢] ﴾ .

أيها المؤمنون ، نحن بين أمرين . إما أن نستضئ بنور العقل ، ونهتدى بهدى الشرع لنصير في الدنيا إلى عزة نعلو بها في أجواز الفضاء ، ونخترق بها أطباق الأرض ، ثم في الآخرة إلى جنة عرضها السموات والأرض ، إلى مغفرة الله ورضوانه ، وإما أن نعمى عن هدى الله ، ونغمض عما حل بالأمم السابقة ، ونغلى مراجل الشهوات فيما بيننا ، فتأكل نيران الأحقاد قلوبنا ، فنصير في الدنيا إلى ذلة وضعة ، ثم في الآخرة إلى نار وقودها الناس

١- سورة إبراهيم آية ٣٢ : ٣٤

٢- سورة الإسراء آية ١٦

والحجارة ، إلى خزى من الله وخذلان : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ [1]﴾ .

وقانا الله عذاب النار وسوء المصير : وقادنا إلى الخير وحسن العافية ، وهدانا إلى ما يرضيه ويقربنا من عفوه ورحمته . روى البخارى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** "[2] .

تعليـــق :

راعت هذه الخطبة الأصول العلمية للخطابة حيث جاءت محافظة على التقسيم . ففيها :

١- الافتتاح ، وهو من نوع الافتتاح الملوح الذي يشير للموضوع من بعيد ، وتظهر من الافتتاح أن الخطبة وعظية .

٢- وفيها الموضوع ، المحدد في الآية التي وردت بعد الافتتاح مباشرة . حيث شرحت الجزاء وفصلت في مفهوم الإيمان مدى حاجة المسلمين إلى التمسك بالإيمان والعمل الصالح لينصرهم الله ، ويمكن لهم .

٣- وفيها التقسيم واضحا بعد بيان الموضوع مباشرة من غير أن يشعر القارئ أنه انتقل من موضوع إلى غيره .

٤- وفيها البيان بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية ، والمناقشة العقلية ، وفيها الترغيب والترهيب ، وذلك في إيجاز مراعاة لزمـــن الخطبـــة

١- سورة الإسراء من الآية ١٨ : ٢٠

٢- صحيح البخارى ــ كتاب الإيمان . باب حلاوة الإسمان جـــ١ صـــ٢٣

وأحوال المستمعين .

٥- وفيها الخاتمة بالحديث الذي أورده البخارى .

وكما حافظت على التقسيم حافظت على الأسلوب الشيق ، والمعانى الواضحة ، والأدلة المرتبة مما يدلنا على إعدادها الجيد .

-٢-

" الجهاد ودوره في الدعوة إلى الله "

العناصر :

١- مشروعية الجهاد .

٢- الجهاد عدل محض .

٣- الجهاد شامل للنفس والمال والكلمة .

٤- حاجتنا اليوم إلى الجهاد الخالص .

الخطبـــــة

الحمد لله أمر بالخير . وحض على العدل وهو العليم الخبير ، والـــشكر لله شرع الجهاد صيانة للحق ومحافظة على الإسلام ، وهو على كل شئ قـــدير ونشهد أن لا إله إلا الله وسعت رحمته كل شئ ، لم يترك أحدا لعقله ، وإنمـــا أرسل رسله للناس مبشرين ، ومنذرين ، ودعاة إليه . ونشهد أن سيدنا محمـــدا رسول الله بلغ الرسالة . وأدى الأمانة . وجاهد في الله حق جهاده فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه . ومن يسلك مسلكهم إلى يوم الدين . أولئك هم خيـــر البرية .

أما بعــد :

فيقول رسولنا ﷺ " **لغدوة في سبيل الله ، أو روحة خير من الدنيا وما فيها** "[١] .

يا إخـــوة الإسلام :

ما أحوجنا إلى تفهم الحقيقة الإسلامية عن الجهاد هذه الأيـــام . بعـــدما استباح العدو ديارنا ومقدساتنا . وأصبح يتصور أنه الأسد الوحيد في المنطقـــة يصول ويجول ، ينهب ويعتدى . والمسلمون نيام لا يتحركون .

إن الحقيقة الإسلامية تفرض على المسلمين أمام هذا أن يجاهدوا عدوهم الطاغى بأنفسهم وأموالهم وبكل ما يمكنهم . حيث لا يصح أن يعيش مسلم فـــي سكون ، وهناك اعتداء ينزل على الأرض والمقدسات .

إن الله شرع الجهاد على المسلمين ليدفعوا به البغاة الظالمين فقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [٢] ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ [٣] ﴾ . ومنذ أن بعث الله رسوله في الناس كان المسلمون لا يسكنون على ضيم يلحق بهم يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ [٤] ﴾ . لأن الانتصار هو حقهم وقد انتصروا لأنفسهم ما أمكنهم قبل الهجرة ، رغم قلة العدد والعدة فلما كانت الهجرة بدأوا في الانتصار بشكل أكثر إيجابية فكانت السرايا والغزوات ، وكلها موجهة ضد المعتدين الذين نهبوا

١- صحيح البخاري- كتاب الجهاد . باب الغدوة والروحة في سبيل الله جـ٥ صـ٤١

٢- سورة البقرة آية ١٩٠

٣- سورة البقرة آية ١٩٤

٤- سورة الشورى آية ٣٩

ديارهم ، وسلبوا أموالهم ، وأخرجوهم من بلدهم بسبب إسلامهم ، وحاولوا تتبعهم في دار هجرتهم .

وقد علم المسلمون من دينهم أن عليهم بذل كل مرتخص وغال من أجل رد العدو ، حتى يتمكنوا من أداء عبادتهم ، ومناسكهم في طمأنينة وأمان . ويفوزوا بخيرى الدنيا والآخرة ويبتعدوا عن شرورهما . وقد عمل المؤمنون بما علموه من قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝ [١]﴾ . وقد رأيناهم رضوان الله عليهم يبذلون أموالهم في تجهيز الجيوش كما حدث في غزوة تبوك وغيرها . وكان الصبية فيهم يحاولون الاندراج في جيش الجهاد بعد ما رأوا الآباء والكبار يتمنون بذل الروح والموت مجاهدين بدل أن يعيشوا محرومين من هذا العمل الجليل . وكان كل مسلم يوصى أخاه بالبذل والجهاد اقتداء برسول الله ﷺ الذي قال الله له حاكيا موقف أعدائه في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ [٢]﴾ ولذلك كان الجهاد حماية للنفس والدين ، ورد كيد الأعداء .

وقد أخذ الجهاد كل هذا الاهتمام لدرجة أن من الفقهاء من قدمه على سائر الفرائض لأنه يحمى الدعوة ذاتها . ويمكن المسلمين من أداء فرائضهم . إذ لو غلب عدو كافر لدمر المساجد ، وقتل الدعاة . وشرد المسلمين بلا رحمة

١- سورة الصف من الآية ١٠ : ١٢

٢- سورة الصف آية ٨

ولا هوادة ، ولو ترك الأمر للطغاة لبغوا في الأرض ، ولصدوا الناس عن دين الله تعالى ، ولألفوا الأكاذيب طعنا في الإسلام دين الله تعالى ، يقول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ [١] ﴾

وقد رأينا ما حدث مع المسلمين في الأندلس حينما تغلب عليهم الصليبيون ، فقلد حولوا مساجدها إلى كنائس ، وقتلوا من المسلمين مئات الآلاف بعد معارك رهيبة ، ومحاكم وهمية . وطردوا البقية إلى المغرب الأفريقى . ورأينا كذلك ما فعله ألفرنسيون بالجزائر المسلمة . بل إن الاستعمار العالمى يقصد في الغالب الديار الإسلامية ليطمس دينها كما حدث في الهند والصومال ونيجيريا . وكما يحدث الآن . وقد قرأنا أن المسيحيين يعدون عدتهم ويعقدون المؤتمرات لتكون " الغارة على المسلمين "[٢] ناجحة .

إن المسلمين اليوم في موقف الدفاع . والعرب منهم على الخصوص أصبحوا أمام الجهاد كفرض عينى . وعليهم أن يبذلوا الغالى في جهادهم من أجل إنقاذ المسجد الأقصى الأسير ،وتحرير بلاد الإسلام من أى مغتصب دخيل.

وعلى المسلم عموما أن يتمتع بأخلاق الجهاد الإسلامى الذي يعمل لتكون كلمة الله هي العليا بعيدا عن الغلول ، والغدر ، والعدوان على الآمنين . وليعد كل مسلم إلى عصر رسول الله ﷺ وعصر السلف الصالح ليسيروا على هدية ، وخلقه ولينالوا شرف الجهاد ، وثواب المجاهدين .

إن الجهاد عظيم الأثر طيب النتيجة ورسولنا بين لنا منزلته وهو يقول : " **لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها** " .

قال ﷺ : " **مثل المجاهد في سبيل الله ،كمثل القائم الدائم ،الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع** "[٣] .

١- سورة الصف آية ٨

٢- عنوان كتاب نشره الشيخ على الغاياتى ، ومن أراد المزيد من هذه الصور فليقرأ كتاب " كفاح دين " للشيخ الغزالى

٣- صحيح البخارى - كتاب الجهاد والسير . باب فضل الجهاد والسير جـ٥ صـ٣٦

يروى البخارى بسنده أن رسول الله ﷺ قال : " **تكفل الله لمن جاهد في سبيله ، لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كلماته ، أن يدخله الجنة . أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه . مع ما نال من أجر أو غنيمة**"[١] .

يا أخـــوة الإسلام :

يكفى المجاهدين أنهم في طريق فوز ، انتـــصروا أو قتلـــوا لأنهـــم إن انتصروا رجعوا بأجر وغنيمة تكللهم هامات الفخـــر ورمـــوز الـــسعادة ، وإن استشهدوا فقد تركوا لمن وراءهم قصة بطولتهم في سبيل الله . وحسب الـــشهيد أنه حى عند ربه يرزق .

إن الشهيد يأتى يوم القيامة بدمه يسغب دما ، اللون لون الدم ، والـــريح ريح المسك . ويستمر دائما في هناء وسعادة عند الله تعالى .

إن الجهاد الخالص ضرورة وفريضة يجب أن ننطلق فيها ونتمسك بها .

إن المسجد الأقصى يجب أن يحرر من الصهيونية ويعود إلى أهله ، وفلسطين يجب أن تعود إلى العروبة والإسلام ، وديار المسلمين في كل مكان يجـــب أن تعيش حرة مستقلة .

يقول رسولنا ﷺ : " **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم** "[٢] . أو كما قال .

حين ننظر في هذه الخطبة من الناحية الفنية نلحظ ما يلي :

١- اشتملت الخطبة على افتتاحية فخمة حيث تضمنت إشارة واضـــحة إلى الجهاد بكلمات بليغة حسنة . كما اشتملت على الافتتاحية الدينية للخطب الوعظية التي تلقى يوم الجمعة .

٢- تحدثت عن الموضوع بإيراد حديث نبوى شريف رواه البخارى في صحيحة .

١- صحيح البخارى - كتاب الجهاد والسير . باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله جـ٥ صـ٣٨

٢- الجامع الصحيح جـ١ صـ٢٤٥ رواية عن أحمد في مسنده

٣- تناولت عناصر الموضوع فتحدثت عن مشروعية الجهاد ، وحكمه ، وأخلاقه ، وآثاره في الدنيا وفى الآخرة .

٤- استعرضت أدلة الموضوع ، والتعليق عليهـا بـصورة تفـصيلية اشتملت على الأسباب التي تؤدى الإقناع ، والاستمالة .

٥- حتمت الموضوع يمثل ما بدأت به حيث حثت على الجهاد بـبعض البراهين الصحيحة .

٦- راعت الخطبة الإيجاز لتتلاءم مع الوقت والناس .

ـ ٣ ـ

من سمات القيادة المحمدية

العناصر :

١ــ صلة النبي ﷺ بأمته .

٢ــ مفهوم القيادة وسماتها .

٣ــ الأسس القيادية في سيرته ﷺ .

٤ــ واجب الأمة اليوم .

الخطبـــة

الحمد لله مدبر الكائنات ، وخالق الأرض والسماوات ، هدانا للإســلام الحنيف ، ووفقنا لدينه الوطيد . وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله بالهــدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ، وأشهد أن سيدنا محمــدا رسول الله قدم لنا الصور الراقية ، والأمثلة العالية ، فأخرجنا من الظلمات إلى النور ، ووفقنا للحق وللطريق المستقيم صلى الله عليه وعلــى آلــه وصـــحبه وأتباعه ومن يسلك مسلكهم إلى يوم الدين ، أولئك هم خير البرية .

أما بعـد

فيقول الله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [١] ﴾ .

يا أخــوة الإسلام :

من يريد أن يفوز بالخير فعليه أن يتبع رسول الله محمدا ﷺ ، ولسوف يجد في إتباعه كل ما تحتاج إليه نفسه ، وما يريده ويتمناه ، فرسـولنا أسـوة حسنة للجميع ، للفرد العادى ، للقائد الكبير ، للشاب ، للشيخ ، بل إنـه عليـه السلام وضع للنساء ما يسعدهم في الدنيا وفى الآخرة ، وليس كل فرد يستطيع أن يتأسى ، لأن هذه الأسوة خاصة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكـر الله كثيرا .

إنها أسوة خير تأتى لأهل الخيـر الـذين يـداومون علـى الطاعـة ، ويستمرون في ذكر الله تعالى آناء الليل ، وأطراف النهار .

إن الرسول عليه السلام بالنسبة للمؤمنين أسوة وقدوة ومعلم ، يبلغهم الرسالة ويهديهم إلى الطريق المستقيم ، ويقنعهم بقوله وعمله ، ويحمل إليهم وحى الله تعالى ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وينقذهم من جهالات المادة والشهوة إلى نور العلم والإيمان ، كل ذلك فى رحمة ومودة ورأفة لأنه بالمؤمنين رءوف رحيم .

إن الأمة ــ أى أمة ــ فى حاجة إلى قيادة رشيدة تعتبرها مثالها الذى يحتذى ، ورائدها الذى يضعها فى طريق الحق والرشاد ، ومن هنا وجدنا الأمم كلها فى الشرق وفى الغرب تخلد زعماءها ، وتبقى على الولاء لهـم محتذيـة سماتهم فى القيادة ، والأمثلة كثيرة [٢] .

١- سورة الأحزاب آية ٢١

٢- ففى أمريكا يخلدون جورج واشنطن،وفى روسيا ماركس ولينين،وفى الصين ماوتسى تونج ... ألخ، وكلها قيادات بشرية بحتة، تختلف اختلافا كليا عن قيادة رسول الله ﷺ الذى صنعه الله تعالى لنفسه ، واطلعه على الغيب ، وأمده بالوحى والنور .

ولعل السمات الأساسية فى القيادة الناجحة كما توصل إليها العلماء بعد الملاحظة الواسعة ، والتجربة ، والاستنتاج تنحصر فى سعة أفق القائد ، ومعرفته خصائص من يقودهم وأن يثق بنفسه وبفكرته ، ويقدرا أتباعه ويحسن معاملتهم ويسوى بينهم على قدم واحدة ، ويقرن القول بالعمل ، وأن يبدأ بنفسه دائما .

وقائد الأمة الإسلامية لن يكون على طول التاريخ شخصا غير رسول الله ﷺ فهو الأساس الأكبر للجميع وهو رائد الأمة كلها . والمسلم الصادق حين ينشد الخير والفوز فى الدنيا والآخرة عليه أن يكون تابعا لرسول الله المعلم العظيم .

وقيادته ــ عليه الصلاة والسلام ــ لا تختلف أبدا عما اكتشفه عقلاء الناس ، فلقد كان متميز بالفطنة والذكاء ، والأمانة والصدق شديد الثقة بنفسه ، وبدعوته لأنه لم يأت بها من عند نفسه ، وإنما هداه الله إليها بالرسالة ، ولذلك آمن بنصر الله ، ولم يطلب إلا هداية الضالين ، واستقامة الناس أجمعين . وعاش متوكلا على الله رب العالمين .

حينما اشتد إيذاء قومه له اتجه إلى ربه وقال : " **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** "[١] .

وحينما أتى العرب إلى أبى طالب عمه يطلبون منه أن يمنع محمدا ابن أخيه من تسفيه الأحلام وسب الآلهة ، لأن ذلك يفرق ولا يجمع ، وحينما قال أبو طالب له : " **يا محمد ابق على نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق** " .

رد عليه السلام بقوله : " **لا يا عمى ! والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** "[٢] .

١- سيرة النبى لابن هشام جـ١ صـ٢٦٥

٢- السيرة النبوية جـ١ صـ٢٦٦

وحينما أتاه عتبة بن ربيعة يقول : **يابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من السطة[1] فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها[2] بعضها .**

فقال له رسول الله ﷺ : **قل يا أبا الوليد ، أسمع .**

قال عتبة : **يا ابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا .**

وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك .

وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا .

وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا[3] تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع[4] على الرجل حتى يداوى منه .

وكان رسول الله ﷺ يستمع منه ، فلما فرغ من كلامه قال ﷺ له : أو أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : **نعم**

قال ﷺ : **فاسمع منى**

قال : **أفعل**

فقال ﷺ :

١- والسطة : الشرف .

٢- فى ا : "منا"

٣- الرئى (بفتح الراء وكسرها) : ما يتراءى للإنسان من الجن

٤- التابع : من يتبع الناس من الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝ [١]﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ في السورة يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها وهى قوله تعالى ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ۝ [٢]﴾ ، فلما قرأها سجد ثم قال : **قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .**

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : **نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .**

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال عتبة : **ورائى أنى قد سمعت كلاما ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفتيموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .**

قالوا : **سحركم والله يا أبا الوليد بلسانه .**

١- سورة فصلت ١ : ٥

٢- سورة فصلت آية ٣٨

قال عتبة : **هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .**

ولم يدفعه ﷺ إلى هذه القراءة إلا الثقة ، وقد تخير هذه الآيات لأنها تتحدث عن الله ، والقرآن ، والنبى ، والدار الآخرة . وتلك عناصر الدين كله ، ومنشأ هذه الثقة هو إيمانه بالله ، فلقد أعلنها فى يوم الطائف وهو يناجى ربه "**إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى** "[١] .

ومن صفات زعامته ﷺ أنه كان يسوى بين الناس ، والجميع عنده سواسية ، والأكرم هو التقى ،والقريب إن أذنب عنده عاقبه ،والغريب إن استقام واتقى فهو أحب الناس إليه .

يقول ﷺ : " **الناس سواسية كأسناس المشط لأفضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى** " ، وقد طبق ﷺ هذا الجانب عمليا ، فلقد جاء زيد بن حارثه رضي الله عنه يستشفعه فى حد للسرقة فقال له : " **إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ، ويتركون الشريف ، والذى نفسى بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها** "[٢] .

وقد وقع عمه العباس أسيرا يوم بدر ، فما أطلق سراحه إلا بعد أن دفع الفدية كسائر الأسرى يومذاك .

ووقع العاص بن الربيع[٣] زوج زينب بنت رسول الله أسيرا يوم بدر ، ومع ذلك لم يطلق النبى ﷺ سراحه إلا بالفدية التى أتته من مكة ، وكانت قلادة زينب رضى الله عنها هدية خديجة رضى الله عنها إليها يوم زفافها ، ولما رآها النبى ﷺ عاد لذكريات خديجة فبكى .

و من هذه السمات تقديره لآراء المسلمين من أصحابه واستماعــه لهــم

١- السيرة النبوية جـ١ صـ٢٩٤

٢- صحيح البخارى - كتاب الحدود . باب إقامة الحد على الشريف والوضيع جـ١٠ صـ٢٧٣

٣- تزوج العاص بن الربيع زينب فى الجاهلية ، ولم يكن نزل بعد تحريم زواج المشرك للمسلمة ، وقد أسلم بعد إطلاق سراحه ورجوعه إلى مكة .

وقبوله حوارهم وكثيرا ما كان ﷺ يبادرهم بالسؤال ليعلم رأيهم .

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بآرائه ومعارضاته الكثيرة يمدحه عليه الصلاة والسلام عليها ويقول : **فإن يكن فى أمتى مكلمون (تكلمهم الملائكة) فعمر**[١] .

وآراء الصحابة فى بدر والأحزاب وأحد معروفة ، وبآرائهم رضوان الله عليهم تعدلت خطط الحرب ، وتغير نظام القتال .

وكان عليه الصلاة والسلام لايقول قولا إلا ويقرنه بالعمل ، وبكل هـذا كان النبى قائدا ومعلما . وبه سيبقى أسوة للمؤمنين على طول الزمن .

وواجب على الأمة المحمدية اليوم أن تتحرك من جديد محتذية آثار قائدها ليعود إليها المجد الذى تركها . ولتعيد تجربتها الرائدة التى بهرت العالم حيث حولت العرب من باديتهم إلى خير أمة نشرت العدل والسلام فى كل الأرجاء ، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ونحن نقولهم صريحة عودوا إلى شرع ربكم ، وتعاليم نبيكم ليتحقق الأمل ونرى الرجاء ولكم فى رسول الله أسوة حسنة .

يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾[٢] ﴾ .

والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

١- صحيح البخارى ــ كتاب المناقب . باب مناقب عمر جــ٦ صــ١٠٠

٢- سورة الأنفال آية ٢٤

— ٤ —

من ذكريات الهجرة إلى المدينة المنورة

العناصـــر :

١— مفهوم الهجرة .
٢— دروس من الهجرة إلى المدينة المنورة .
٣— ضرورة الهجرة من مكة .
٤— التخطيط النبوى للهجرة .

الخطبـــــة

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأرسى قواعد الدين على قواعد ثابتة ، وأسس راسخة ، وأنزل قرآنه محكما ثابتا ، ولو كان من عند غير الله لانهار وتزلزل ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ [١] ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله يورث الأرض لمن يشاء ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى رفع اللواء ، وانتصر الدين ، صلى الله عليه وعلى أقوام معه أخلصوا العمل والتضحية أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون .

أما بعـد :

فيقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ [٢] ﴾ .

١-سورة النساء آية ٨٢
٢-سورة الأنفال آية ٣٠

يا إخــوة الإسلام :

نحن المسلمين أمة ذات رسالة وهدف ، وأهل مجد وتراث ، وأصحاب عقيدة ومبدإ ، كل ذلك حمله وحى الله ، وأنزله على محمد ص ليكون طريقا يتبع ، ومنهجا يطبق .

والهجرة حدث من أحداث الإسلام الكبرى ، وركيزة لأصحاب المبدإ العظيم ، يحتفل المسلمون كل عام بذاكراها ، وحق لهم أن يحتفلوا ، ويتدبروا ، ويأخذوا منها الدروس والعبر ، فيها وضحت فكرة ستظل أبد الدهر خالدة ، ورست قاعدة هى طريق الرجال ، طريق الحياة ، طريق الأمل ، هذه القاعدة هى " التضحية من أجل العقيدة شئ لازم ، والتفانى فى خدمة المبدإ ضرورى لنصره " ، وعلى المسلم أن يستشعر ذلك ويفعله لأن العيش على هامش الحياة لا يليق بالبشر ، والتصرف من غير هدف طريق غير عاقل ، وعدم التحمس للمبدإ لا يليق برجل .

إن المسلم عبد ربانى يحيا بمنهج الله ، ويعمل ليعود مكرما إلى الله . ولذلك نراه يعيش بالحق ، ويعمل للحق ، ولا يرضى إلا الحق .

لقد وضع محمد ﷺ وصحابته من الأعمال ما أبرز تلك القاعدة بروز الشمس ووضحها لكل ذى عقل وبصر ، فمحمد ﷺ أرسل بدين الله وبعث بكلمة السماء ، وأمر بإبلاغ الوحى للناس واستمر فى الدعوة والجهاد لإعلاء كلمة الله بين الناس .

هذا كان هدفه ، وذلك كان مبدؤه ، وكان دائما يدعو إليه وشعاره قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [1]﴾ ، وقوله تعالــى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ

١- سورة يوسف آية ١٠٨

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [١] ﴾ .

لكن الكفار ــ أعداء محمد ــ عز عليهم ما ينادى به من مبدإ ، وكبر فى نفوسهم ما يدعو له من هدف ، وتأكدو أن فى انتصار ذلك هوانهم وضياعهم فنصبوا أنفسهم واتباعهم ، وأبناءهم لمقاومته . وترصدوا له لإيقافــه ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ [٢] ﴾.

وخاب ظنهم ــ فإن الطحالب العائمة لا تمنع السفينة من المسير والرياح الهوجاء لا تزلزل الصخر ، والعواصف العاتية لا تحرك الجبل . والباطل مهما اشتد لا يغير من الحق شيئا أبدا ولا يكتمه .

وخاب ظنهم ــ فإنهم أمام رجل لا كالرجال ، أعلنها ذات مرة أمام عمه وقال له : " **والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يساوى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** "[٣] .

سار محمد على مبدئه . وتمسك بدعوته رغم قسوة الخصوم وهم عديد.

فمنهم المتعصب العقل ، المتحجر الفكر ، لا يعرف إلا البطش ، ولا يؤمن إلا بالقوة ، وسفك الدم ، يصفهم الله تعالى فى قوله ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ [٤] ﴾

١- سورة الأنعام آية ١٥٣

٢- سورة الصف آية ٨

٣- السيرة النبوية جـ١ صــ٢٩٤

٤- سورة الحج آية ٧٢

ومنهم المترف الناعم يرى الدنيا ثروة ضخمة . ومتاعا مثيرا يعرفنا الله بهم فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ [1] ﴾ .

ومنهم المتعنت يحسب الأمر لعب أطفال ، أو هوى راقصة تخلع هذا الثوب لتلبس ذاك ، يقول الله تعالى عن هؤلاء : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ [2] ﴾ .

ومنهم المهرج يصنع ضجة ويرفع صيحة لكى يطغى على الحق ، يحكى الله تعالى عنهم فيقول : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ [3] ﴾ .

ولكن ما قيمة كل هذا أمام رجل عرف الطريق . واستعذب السير فيه ، وتيقن بمعية الله ، والتزام بالمنهج الربانى فى تقدير العمل والسلوك . وها هو قد بدأ فيه ... وقد أعلنها ﷺ النصر أو الإستشهاد .

وهكذا إستمسك النبى بمبادئه ودينه وتحمل من أجل ذلك الكثير ...

وأخذت الأيام تكرر نفسها .

نبى يدعو إلى الله وهو مؤمن به وبمبدئه . موقن بهدفه . وأقوام تحجروا على تعصبهم ، وترفهم ، وعنتهم .

ولم يستمر هذا الحال طويلا بل ظهرت إشعاعات من قبل يثرب وجاءت

١- سورة مريم آية ٧٣

٢- سورة يونس آية ١٥

٣- سورة فصلت آية ٢٦

أقوام من الأوس والخزرج ، وبايعوا رسول الله ﷺ فى العقبة بيعتين وهيأوا للإسلام موطنا فى مدينتهم .

وهنا كان لابد من التضحية ، ولابد من الفداء ، حتى لو ترك المسلمون الديار وفارقوا الأحبة ، وإبتعدوا عنه ملهى الصبا ، ومرتع الشباب ، وكان القرار هو الهجرة إلى المدينة المنورة التى ظهر فيها جناح قوى للإسلام .

وكان لابد من الهجرة لكى يلتقى جناح مكة مع جناح المدينة لكى يبدءا معا مرحلة الإنطلاق العظيم .

وليست الهجرة رحلة سهلة ،أو نزهة حلوة ،أو فسحة طيبة ، لأنها تعنى عدم العودة إلى الأهل والوطن ، وفيها قد يكون الهلاك ، كما أنها صعبة الخطى حيث قطع المسافات الطويلة وسط صحراء قافلة .

وترك الوطن عزيز على النفس ، فلقد تفتحت عليه العين ، وتطلع له القلب ، وفيه كان الأمل الصغير ، والأحلام الأولى ، وفيه جالس الأهل والأحبة وفيه ملكه وجاهه .

لكن كل ذلك يهون فى خدمة المبدإ ... ولتكن الهجرة إنقاذا للحق ، ونشرا للدعوة وتحقيق الانطلاقة الكبرى للإسلام فى العالمين .

لم تكن الهجرة هربا من عدو ، أو حرصا على حياة ... وإنما كانت لله ورسوله ، وخدمة للإسلام وانتشاره ... ولو كانت خوفا أو هربا لحدثت قبل ذلك ، يوم أن آذى الكفار المسلمين وحاصروهم لكنها كانت لله ، فتمت فى الوقت الذى أراه الله تعالى ، وأمر به رسوله ﷺ .

وأخذ الصحابة المسلمون يفدون إلى المدينة حتى لم يبق بمكة إلا النبى ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وأهله،وعلى ابن أبى طالب،فلقد إستبقاهم النبى عليه الصلاة والسلام ليقرموا بأعظم قصة فدائية إنسانية ، وينفذوا أجرأ مغامرة فى التاريخ .

ولقد وضعت أسس علمية سارت عليها الهجرة النبوية لتبقى درسا وعبرة ، ولم يتحرك النبى ﷺ إلا بعد أن وضع الخطط التالية :

١ـ **خطة الإستطلاع :** وفيها كان يقوم عبد الله بن أبى بكر باستطلاع أخبار القوم وإحضارها للنبى عليه السلام كل مساء .

٢ـ **خطة التموية :** وفيها ساهم على بن أبى طالب بمبيته فى مقام النبى ﷺ ، ولأجلها إتجه النبى إلى جنوب مكة عكس الرحلة إلى المدينة وكانت السماء مع الخطة فباضت الحمامة ، ونسج العنكبوت وعلت الشجرة ، ولقد كانت سير القطعان لإخفاء أثر السير تتمات خطة التمويه .

٣ـ **خطة التموين :** كانت أسماء رضى الله عنها قائدة هذه الخطة وكانت تحضر الطعام للمهاجرين كل مساء ، و بسبب شقها النطـــاق لتحمل فى بعضه الغذاء سميت بـــ " ذات النطاقين " .

٤ـ **خطة الحركة :** فلقد جهز أبوبكر ناقتين للنبى ص تحركا معا عليهما وقد قاد الناقتين عبد الله بن أريقط وهو من أهل الكتاب المجيدين لأحوال الفريق .

وكان نصر الله مع المهاجرين وتجلت معجزات وخوارق لرسول الله ﷺ وصاحبه أثناء الهجرة حتى تمت بأمر الله تعالى ، واستقر المسلمون فى المدينة .

وعلى المسلمين أن يأخذوا العبر والدروس من الهجرة ولا بد لهم من الإيمان الصادق الذى يسهل لهم التضحيات الواجبة حماية للدين ، وصيانة للحقوق ، وعليهم أن يلتزموا بالمسئولية التى وضعها الله فيهم وإن يخططوا لكل عمل ، وينشطوا فى كل اتجاه ، ونصر الله يأتى للعاملين .

إن الخائفين لا يصونون مبدأ ، ولا يحمون دنيا ، ولا يستحقون الحياة . والأمم برجالها ، والإسلام بأتباعه ، وعلى كل مسلم أن يصدق مع الله،ويلتزم بهديه.

تلك هى الهجرة من أجل المبدأ تمت وللعقيدة كانت . عن النبى أنه قال :

" **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته لله**

ورسوله فهجرته لله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[١] .

وسلوا الله التوفيق والسداد ...

ـ ٥ ـ

العلم ونظرة الإسلام إليه

العناصـــر :

١ـ مفهوم العلم .

٢ـ نظرة الإسلام للعلم .

٣ـ فائدة العلم للناس .

الخطبـــــة

الحمد لله خلق الإنسان ، علمه البيان . وكلفه أن يفكر بعقله ، وينظر ببصيرته . وأشهد أن لا إله إلا الله كرم العلم والعلماء ورفع من آمن منهم فوق الناس درجات ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أحاط بالعلم رغم أميته واستشعر المعرفة بجملتها . وأوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـد :

فلقد روى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : " **من سلك طريقا يطلب فيه العلم سلك الله له طريقا إلى الجنة وأن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى البحر "**[٢] .

ياأخى المسلم :

العلم باب من أبواب النصر . وعامل من أهم عوامل الرقى والغنى ،فيه

١- صحيح البخارى ـ كتاب بدء الوحي جـ١ صـ٥

٢- سنن الترمذى ـ كتاب العلم . باب فضل طلب العلم جـ٥ صـ٢٨

يتقدم الجميع فى أمان وفى ثقة . ذلك لأن العلم طريق إلى العلا وسلم للمجد ووسيلة للرقى :

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

والعلم هو الدعامة الصلبة . والأساس المتين . والحصن القوى لتأسيس الدولة الناضجة والمجتمع السليم .

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يبن مالك على جهل وإقلال

والمقصود بالعلم هنا هو المعرفة فى أى ناحية . فالمهندس عالم بفنة خبير به . والطبيب عالم . والمدرس عالم . وكل منهم يقوم بدوره فى البناء .

ولكن أيا ترى هل هذه الحفاوة بالعلم جديدة ومستحدثة في دين الله تعالى؟

أم أن الإسلام احتفى بالعلم منذ ظهوره فى حياة محمد ﷺ ؟

وما صور عناية الإسلام بالعلم وأهله إذا ؟

ونقول لهم على الفور :

إن الإسلام وضع العلم فى منزلته اللائقة . وأحاطه بعظمة التقدير وسمو المكان : يلمس الإنسان ذلك من الوحى إلى رسول الله ﷺ . ومن احترام الإسلام للعلم ، وحثه على التعلم . ومن احترامه كذلك للعلماء ولأدوات التعليم . ورفعه لدور العلم منذ مبدئه .

إن المتأمل لتسلسل نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ يجد أن أول ما نزل على النبى ﷺ كان قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝ ﴾[1] . إننا نرى أن أول ما نزل كان أمرا بالقراءة . وقد ذكرت الآية قصة الخلق لتؤكد أن الله الذى خلق وقدر . يأمر بالقراءة التى هى مفتاح

١- سورة العلق من الآية ١ : ٥

العلم ، وهو قادر سبحانه وتعالى على أن يعلم رسوله ﷺ القراءة باسمه وقوته كما علم الناس بالقراءة . وعلم الإنسان ما لم يعلم .

ولذلك دعا النبى ﷺ الناس إلى العلم وجعله فريضة عليهم ودعا المسلم أن يجعل علمه خالصا لوجه الله تعالى يخدم به دينه وأمته . يروى الترمذى بسنده عن قيس بن كثير قال : **قدم رجل من المدينة على أبى الدرداء وهو بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخى ؟**

فقال : **حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ .**

قال: **أما جئت لحاجة ؟**

قال: **لا**

قال: **أما قدمت لتجارة ؟**

قال: **لا**

قال: **ما جئت إلا في طلب هذا الحديث ؟**

قال: **فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به بحظ وافر[١] .**

وماذا يبغى الإنسان ويشتهى بعد ما تأتيه الدنيا بخيرها . وتشمله بأحداثها الطيبة . وبعدما يعمل الآخرة عملا يضمن الخير فيها . وبذلك يضمن الدنيا والآخرة معا .

يا أخى المسلم :

والنبى ﷺ يبين فى حديث آخر أن من يسير إلى العلم فهو سائـــر إلـــى

١- سنن الترمذى ــ كتاب العلم . باب ما جاء في فضل العلم جــ٥ صــ٤٨

الجنة إذ يقول "**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة**"[١].

ويبين كذلك أن الملائكة فى خدمة طالب العلم يقول " **إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير** "[٢] .

والإسلام أيضا يضع العلماء فى موضع خاص فلهم درجات عند ربهم والقرآن يقول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَـٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[٣] .

إن طاعة أهل العلم أمر مقرر شرعا فهم أول الناس فهما لدين الله ، وطاعة لشرعه ، ولذلك جعل الله طاعتهم جزءا من طاعة الله ورسوله . يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾[٤] .

وقد أقسم الله تعالى بالقلم وأدوات الكتابة فى قوله تعالى ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾[٥] . ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بالأشياء الجليلة ذات الأهمية الخاصة ، لأن ذكرها فى القسم دليل على العناية بها وضرورة تفحصها والاستفادة بها .

١- سنن الترمذى ــ كتاب العلم . باب فضل طلب العلم جـ٥ صــ٢٨

٢- سنن الترمذى ــ كتاب العلم . باب فضل الفقه في العلم جـ٥ صــ٥٠

٣- سورة المجادلة آية ١١

٤- سورة النساء آية ٥٩

٥- سورة القلم آية ١

وهكذا الإسلام . يحترم العلم ، ويحث عليه بشئ الطرق والوسائل . ويضع العلماء فى مرتبة خاصة . ويجعل كلمتهم هى المسموعة فى الدنيا . ويكرم كل ما يعينهم على العلم من قلم وكتاب .

ومن هنا ننادى فى المسلمين أن أطيعوا دينكم وتعلموا ، ولا يليق بكم وأنتم اتباع هذا الدين أن تتخلفوا كما هو حالكم الآن .

أين سبق المسلمين فى الفضاء ؟

أين وجودهم فى البحار .

أين علمهم بالأرض والزرع والنبات ؟

أين علوم الذرة والطب والنجوم؟

يقول عن النبى ﷺ : " **فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد** "[١] .

لا يصح فينا التخلف ، ولا يجوز . وسوف يحاسبنا الله على هذا التقصير ، لأنه ضعف ، وهوان ، ومخالفة لأمر الله تعالى . والأمل أن تنهض الأمة ، وتهتم بالعلم . ونعيش فى طاعة الله تعالى .

١- سنن الترمذى ـــ كتاب العلم . باب ما جاء في فصل العلم جـ٥ صـ٤٨

ـ ٦ ـ

دع القلق وابدأ الحياة

العناصــــر :

١ـ الحياة ومشاكلها .

٢ـ ضرب صور للمشاكل .

٣ـ كيفية النجاة .

٤ـ موقف المسلم فى هذه الحياة .

الخطبـــــة

الحمد لله رب العالمين . المحيط بالناس أجمعين يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونشهد أن لا إله إلا الله خلق كل شئ وأوجده ، وحقق لكل موجود حياته وهداه لها سبحانه وكل شئ عنده بمقدار . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله إمام الأنبياء وقدوة العاملين المطيعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى أقوام جاهدوا معه فكانوا خير جند لخير قائد ، وساروا على نهج ربهم إلى يوم الدين ، أولئك فى جنات مكرمون .

أما بعــد :

فيقول الله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[١] .

١- سورة الأنعام آية ١٢٥

إخـــوة الإسلام :

الحياة لا تسير على وتيرة واحدة . والدنيا دائما فى تغيـــر ، وقضية الوجود تروى أن التقلب هو عنوان الزمان ، والحكيم هو الذى يستعد لذلك . والصور عديدة وكثيرة فى هذا المجال . فهذا شاب طيب القلب والسلوك . يواظب على عمله ويمتلئ بالأمل ، والمنى ، وإذا به فجأة يموت في حادثة مفجعة خاطفة .

وذلك شاب يعبد ربه حقا ، ويواظب على الصلوات المفروضة . ومع ذلك يفاجأ بمن يقف فى طريقه محاولا منعه ومهددا له فى رزقة ومعاشه .

وتلك أسرة كانت تسير على أمن واستقرار . لكنها فجأة ترى تغيرا يحول أمنها إلى صخب . واستقرارها إلى ضجيج .

وهذا شاب مستقيم يعمل لينجح يفاجئه اتهام كاذب يبعده عن حركة الحياة والناس وأمثال هذه الصورة كثير وكل يعرف نفسه .

ويقف العقل مندهشا أمام كل هذه الصور والمثلات ... وما أكثرها ...!

إخـــوة الإسلام :

هى الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من فتكى وبطشى
فـــلا يغرركم منى ابتســـام ... فقولى مضحك والفعل مبكـــى

لكن المؤسف أن أمثال هذه الصور ترزق الإنسان روحا خامدة . ونفسا هامدة . ويأسا فى التقدم . وتجعله يتحسر على وضعه . ويتأسف ، وتلقاه دائما يغفو . وفى عمله يهمل . وفى معاشه يسهو ، وهكذا يتضاعف الأمر ويشتد .

ولو كنا متمسكين بالإسلام حقا لمرت تلك الحوادث بسهوله من غير أثر ولا ضرر . لأن الإسلام فسر الحياة بدقة . وعلمنا كيف نعيشها ، فالحياة فى الإسلام دار تعب وابتلاء .

والله سبحانه يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝ ﴾[١] ويقول سبحانه

١- سورة البلد آية ٤

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[١] :

فكبد الحياة هو تعبها ، ومشقتها ، وابتلاؤها هو تلك الحوادث التى تقع . والصور التى نراها ، ومادامت هكذا الحياة . تعب وابتلاء . فعلينا أن نستعد لذلك ، ونحول الأمر إلى صالحنا دائما،والنبى ﷺ بين ذلك إذ يقول " **عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ،وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ،إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له** "[٢] . ذلكم لأن المسلم الذى يفعل ذلك دائما يعرف حق ربه ،ويتذكر الواجب عليه . فهو يتذكر الله فى الخير فيشكره ويحمده ،وإن أصيب بضرر تذكر وصبر فله مع الشكر أجر . ومع الصبر أجر . وإنما يكتسب الإنسان هذا الأجر لإيمانه ومعرفته بالله ... وذلك هو معنى قول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٣] فالرجل لم يوجد إلا لله ، والنفس لن تستنشق إلا لتعيش فى رحاب الله .

المسلم يصلى ويتعبد لله ، ويتعلم ويعرف لله ، وحياته من مطعم . ومشرب مع ولده . مع زوجه . مع أسرته . مع الناس . كل ذلك لله ، وإذا مات فموته أيضا لله .

والرجل الذى يعرف الله يعرف أن ما يصيبه من خير أو من شر هو من الله يقول الله تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[٤] .

١- سورة الإنسان آية ٢

٢- متفق عليه

٣- سورة الأنعام آية ١٦٢

٤- سورة الحديد من الآية ٢٢ : ٢٣

ولذلك فهو دائما يستسلم ويرضى بالقدر خاصة وأنه لا يعرف أين مصلحته " والحقيقة عن الله تعالى واضحة يقول سبحانه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] والمسلم فى تسليمه لله يكون قوة لا تدانيها قوة ، وكيف لا يكون قوة وهو مع الله رب القوى ... وكيف يتخاذل وهو يعلم علم اليقين أن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشئ لم يكتبه الله له لما قدروا ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشئ لم يكتبه الله عليه لما قدروا على ذلك فالأقلام قد جفت والصحف قد طويت .

وكيف لا يكون قوة وهو يؤمن بقول النبى عليه الصلاة والسلام " **من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب أخاه لا يحبه إلا الله** "[٢] .

ويقول ﷺ : " **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** "[٣] .

إخــوة الإسلام :

كونوا مع الله يذلل لكم الصعاب . ويهون لكم المشاكل . ويزدكم قوة إلى قولكم ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[٤] وادعوا الله أن يوفقكم .

❖ ❖ ❖

يلاحظ أن النماذج الوعظية المذكورة مرت فى إطار الغرض الذى تأتى

١- سورة البقرة آية ٢١٦

٢- فيض القدير جـ٦ صـ٣٣

٣- فيض القدير جـ٦ صـ٢٩

٤- سورة هود آية ٥٢

له الخطابة الوعظية وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة لدين الله تعالى .

وقد مرت كل خطبة بإعداد علمى ضم العناصر والمحتويات والتعابير . ثم برزت فى ثوبها المنظم حافلة بالأقسام العلمية للخطبة ففى كل منها :

١ــ المقدمة . وهى ما تفتتح به الخطبة ، وقد أشارت كل مقدمة إلى موضوع الخطبة .

٢ــ بيان الغرض فى كلمات قصيرة أخذت من عيون التراث الإسلامى .

٣ــ الاستفادة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأراء السلف الصالح فى إثبات الخطبة وبيان هدفها .

٤ــ الاعتماد على الأسلوب الجميل الأخاذ،المقنع للعقل المثير للنفس.

٥ــ وفيها الخاتمة وهى أشارة موجزة للموضوع مع تضمنه على نصيحة سريعة للمستمعين .

ويمكن لهذه الخطب أن ترتبط بمناسبات متصل بها فخطبة الهجرة تكون فى موسمها ، والحديث عن الجهاد عند محاولة إيقاظ الأمة ... وهكذا .

ويجب أن تمر كل خطبة بالإعداد الدقيق ، مع مراعاة أجزاء الخطبة لتظهر وافية بغرضها ، محققة للمقصود منها فى مجال الدعوة إلى الله تعالى .

النوع الثانى
الخطابة السياسية

التعريف بالخطابة السياسية :

تهتم السياسة بأصول المجتمع ، وتوجيهه وبخاصة مع عندما ينتظم الناس تحت ظل قواعد معينة ، وأيا ما كان المجتمع فهو مكون من أشخاص لهم إنسانيتهم . ولهم إرادتهم التى أجمعت على ضرورة العيش سويا تحت شروط معينة ،ووفق نظام ارتضوه لأنفسهم فى إطار تحديد الواجبات ،وصيانة الحقوق.

ويتوقف نجاح الحياة السياسية لأى مجتمع على درجة الإشتراك الفعال بين أفراده جميعا في النشاط الاجتماعى على إختلاف أنواعهم ، وتعدد طبقاتهم فى الحياة السياسية .

وهذا المجتمع المنظم يستلزم وجود دولة لها حكومتها التى تعمل فى دأب وقوة على مصلحة الشعب وتقدمه .

وقد اقتضى التطور التنظيمى للسياسة العامة قيام الدولة ، وتحالف بعض الدول فيما بينها على أمر ما فى صورة أحلاف عسكرية ، أو إقتصادية ، أو إجتماعية ، أو لغير ذلك ، أو لكل هذه مجتمعة .

كما اقتضى تعاون الدول جميعا فى هيئات عديدة ، ذات أغراض خاصة للوصول إلى الأمن والسلام بين الناس ، ولعل أكبر تجمع دولى هو ما حدث فى العصر الحديث بتأسيس عصبيه الأمم المتحدة التى تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى " هيئة الأمم المتحدة " .

إن تنظيم الدولة حتم إحترام رأى الشعب . ونادى بضرورة الشورى والمشاركة،ومن هنا نشأت الأحزاب ، وعرفت الدول نظام الإنتخاب . بتعدد صوره . لتكوين المجالس النيابية على مستوى الدولة . أو على مستوى أقاليمها المحلية .

ووجود الأحلاف أدى إلى عقد مؤتمرات عديدة بين المسئولين فى الدول المتحالفة لتدارس ما تحالفوا عليه ، ووضع أسس تنميته والالتزام بهذه الأسس .

وتأسيس الهيئات أظهر عديدا من الأنشطة المتنوعة من أجل وصول كل هيئة لغرضها الذى أسست له ، وقد أدى بها السعى إلى تأسيس فروع كثيرة للهيئة الواحدة تتولى التنظيم . والتخطيط . وتحديد الهدف .

إن التجمع البشرى فى الدولة ، أو فى التحالف ، أو فى الهيئات أظهر الخطبة السياسية التى يلقيها صاحبها فى صورة معينة من أجل التأثير فى الآخرين ، وإقناعهم بما يجب أن يكون .

وتبعا لتنوع أهداف التجمع الإنسانى تنوعت الخطبة السياسية إلى ما يأتى :

أ ــ **الخطب الجماهيرية :** وهى الخطب التى توجه إلى جماهير الشعب بقصد حملهم على عمل ، أو إقناعهم بفكرة ، ويكون المتكلم فيها رئيس الدولة . أو أحد الوزراء . أو زعيم الحزب . أو المرشح فى الانتخابات الشعبية .

ب ــ **الخطب النيابية :** وهى الخطب التى يلقيها عضو نيابى منتخب ليستجوب مسئولا ، أو يحيطه بأمر هام . أو التى يلقيها أحد الوزراء أو رئيس الدولة فى المجلس النيابى .

ج ــ **خطب الهيئات :** وهى الخطب التى تلقى فى النوادى . وفى المؤتمرات المحلية . وفى المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم ، وما تفرع عنها من منظمات ومؤسسات .

وتحت هذه الأنواع الثلاثة توجد ألوان كثيرة للخطب السياسية سوف نبين خصائصها فيما بعد .

عوامل ازدهار الخطابة السياسية

تؤثر مجموعة من العوامل فى ازدهار الخطابة السياسية . ومنهـا مـا يلى:

١ـ النشاط السياسى :

إن المجتمع الذى يملك النشاط السياسى تزدهر فيه الخطابة . لأنها فـن يتجه إلى عقول الجماهير ، وإلى عواطفهم من أجل استمالتهم نحو فكرة سياسية موجودة . ويشترط فى النشاط الذى يؤدى إلى ازدهار الخطابـة الـسياسية أن يعتمد على العدل والحرية ، والشفافية والتقدير ، والمحافظة على كافة الحقوق فى إطار دستور متين .

ولقد كان للنشاط السياسى فى عهد الأمويين أثر فى ازدهار هذا النـوع من الخطابة ، وتقدمه ، بصور جعلت المؤرخين يعدونه العصر الذهبى للخطابة العربية ، فلقد نشطت المذاهب ، وظهرت الفرق وصار لكل جماعة خطباؤهـا الذين يعرضون أفكارها ، ويردون أى نقد يوجه إليها . وقد تميز خطباء كـل فريق بالعلم ، والفهم ، وجوده الإعداد ، وروعة الإلقاء .

وما زلنا نشاهد الحركات الثورية مقترنة بأصحاب اللسان البليـغ مـن الخطباء .

وهكذا تزدهر الخطابة تبعا للنشاط السياسى المتعدد الألـوان . والـذى يظهر فى شكل إصلاحات داخلية . أو دعوات اجتماعية . أو ثورات جديـدة . أو دعوات للجهاد والحرب .

٢ـ تعدد الاتجاهات السياسية[١] :

إذا تعددت الاتجاهات السياسية فى مجتمع ما فإن ذلك يؤدى إلى ازدهار

١- تظهر الاتجاهات السياسية مع وجود الأحزاب ، وتعدد الفرق ، ونشاط المفكرين والمثقفـين فى إطار من الحرية والسلام الاجتماعى المطلوب .

الخطابة السياسية . لأن خطباء كل اتجاه يعرضون أفكارهم على الناس . وينقدون أفكار الآخرين .

إن الخطيب السياسى لا ينجح إلا إذا جمع حوله جمهورا معينا ، يضمه شعور واحد يجعله ، يتأثر بما يسمعه ، وينفعل بالأحداث التى يعيش فيها .

وعلماء النفس يسمون هذا الجمهور بـ " الجماعة النفسية " . ومن هنا نجد أصحاب الاتجاهات السياسية يحاولون أن يكونوا هذه الجماعة من حولهم . لكى تسود أفكارهم وتنمو الأغراض التى يحافظون عليها وسط العقل الجمعى الموجود بين الجماعة لأن من المعلوم أن العقل الجمعى يستثار بسهولة ، ويتحرك بلا فكر وتدبر .

يقول جوستاف لوبون : " **إن أبرز أمر فى الجماعة النفسية هو أن الأفراد الذين تتألف منهم . مهما كانوا . ومهما تماثلوا ، أو اختلفوا فى طراز حياتهم وأعمالهم وأخلاقهم وعقولهم ، إذا ما تحولوا إلى حماسة منحتهم هذه الجماعة ضربا من الروح الجامعة ، وهذه الروح تجعلهم يشعرون . ويفكرون ويسيرون على وجه يخالف ما يشعر به ويفكر فيه ، ويسير عليه كل واحد منهم . وهو منفرد ، ومن الأفكار والمشاعر ما لا يظهر أو يتحول إلى أعمال إلا لدى الأفكار فى الجماعة** "[١] .

٣ـ الحرية الفكرية :

تزدهر الخطابة السياسية فى ظل الأنظمة التى تسمح بحرية الأعمال والأقوال . لأن هذه الحرية تمكن الخطباء من الانطلاق فى التفكير ، وحرية التعبير عن كل ما يؤمنون به ، ويفكرون فيه ، وحينئذ يكثرون من الإبداع الخطابى المعتمد على القواعد الفنية ، الهادف لمصلحة الجماعة .

ومن هنا كان ظهور هذا النوع من الخطابة عند اليونانيين على النحو الذى أشرنا إليه .وذلك بسبب ارتباط الحكم برأى الشعب إذ كان الحكم جمهوريا

١- روح الجماعات صـ٣٠

وللشعب فيه القيادة والتوجيه .

أن " بريكليس " و " ديموستين " من أعظم الخطباء السياسيين فى بـــلاد الإغريق . ويرجع السبب فى تفوقهم إلى حرية الفكر . وتمتع أصحاب القـــول بحرية مطلقة فيما يريدون قوله .

ولعلنا بهذا العامل ندرك سبب ازدهار الخطابة فى العصر الإســـلامى الأول حيث تمتع الجميع بالحرية . وعبروا عن كل ما أرادوه بـــلا ضـــغط أو إكراه ،وندرك كذلك سبب أنحطاط الأسلوب الخطابى ،وقلة الخطباء فى عصور التخلف والاستبداد .

إلا أن الجماهير حينما تتحرك للقضاء على الظلم والظالمين بقيـــادة رواد لهـــم يؤدى إلى تحسن الخطابة السياسية وارتقائها .

٤ــ تقدم الثقافة الأدبية :

الصورة الجمالية مثيرة دائمة فى سائر الخطب ، ولعلها فـــى الخطبـــة السياسية أكثر إثارة ، لأن غالب هذا النوع يتجه إلى العامة من الجمهور . وهم الفئة التى يثيرها الرواء اللغوى . والجمال الأسلوبى . والحسن البيانى ، ولذلك كان تقدم الخطبة السياسية محتاجا إلى ثقافة الخطب الأدبية ، ومعرفته بفنـــون الحسن الأسلوبى ، وروعة التعبير البيانى .

ونحن هنا نقول : إن القرآن الكريم والسنة النبوية صنعا فى الجماعـــة الإسلامية خصائص معينة . جعلتها ترتبط بهما ، وتستثار يتعاليمهما . وتنجذب لبيانهما . فمن أراد نجاحا فى خطبته السياسية من المسلمين فعليه أن لا يغفلهما ولقد رأينا بعض رؤساء الأحزاب السابقة فى مصر يحفظ القرآن الكـــريم مـــن أجل التأثير السياسى فى جماهيره رغم أنه لم يكن مسلما ، وفى الحق كان محل إعجاب بأسلوبه وإقناع فى قضاياه .

تلك هى أهم عوامل النهوض بالخطابة السياسية ذكرناها فـــى إجمـــال وإيجاز من أجل النهوض بهذا النوع من الخطابة .

خصائص الخطابة السياسية

تتميز الخطابة السياسية بمجموعة من المزايا تتنوع تبعا لنوع الخطبة السياسية لأنها أنواع ثلاثة كما سبق أن ذكرت ولكل منها خصائصها .

خصائص الخطبة الجماهيرية :

وهى التى يلقيها مسئول كبير .أو مرشح فى انتخابات نيابية أمام جمهور عريض ، يعمل لإقناعه بما يريد ، وتتميز بالخصائص التالية :

أ ـ مناسبتها للجماعة المخاطبة . ولذلك نجدها تأتى معبرة عن الآمال والرغبات الجماهيرية . متفقة مع معتقداتهم وعاداتهم . متلائمة مع مستواهم العقلى والثقافى . مراعية المناسبات التى يعيشونها .

إن الخطابة الجماهيرية تحتاج إلى المستمعين أكثر من احتياج المستمعين إليها . ولذلك رأينا كثيرا من وسائل القرب النفسى التى تكون فيها .

إن رئيس الدولة . أو زعيم الحزب ، أو المرشح الانتخابى . يعرض نفسه على مستمعيه بخطبته . ولذا وجب أن تكون خطبته واضحة للمستمعين . قريبة منهم .

ب ـ بساطة الأسلوب وسهولته ، لأن الجمهور الذى يسمع هذا النوع من الخطب من العامة والبسطاء ، ولو لم تراع الخطبة هذه البساطة لصنعت حاجزا يفصل المستمعين عنها ، وهذا ما لا يرجوه الخطيب لنفسه .

ج ـ وضوح الروح الودية . ذلك أن الاتجاه إلى الجمهور يقتضى دائما جذبه . وفى السياسة لا يمكن استمالته إلا بإبداء الثناء عليه ، وإظهار أهمية مشاركته فى الحياة العامة . والنظام الاجتماعى كله . بل إن المرشح يبرز بوضوح حاجته إلى سائر

الجماهير . لأنه يكون بهم . وبأصواتهم يصل إلى مبتغاه .

د ــ بروز وعود خاصة للمخـــاطبين : لأن القـــادة المرشـــحين لا يخطبون الجماهير إلا فى أحداث معينة من أجل وضع تنظـــيم جديد ، أو تأدية انتخابات جديدة . وفى هذه الحالات لابد مـــن تقديم صورة موجزة عن المستقبل المرتجى ، وفيها دائما وعود للأفراد والجماعة .

إن رئيس الدولة حينما يوجه خطابا إلى أمته يبرز لهم ما أداه . وما سوف يؤديه فى القريب الآتى .

والمرشح حينما يطلب من الناس أن ينتخبوه يمنـــيهم بمـــستقبل جديد فيه الأحلام والمنى .

والواجب أن ترتبط هذه الوعود بالواقع . لأن المبالغة فيها تؤدى إلى عكس المراد حيث يتضح الكذب من المبالغة .

وأيضا فإن الجماهير تراقب دائما هذه الوعود السياسية . وتحكم على صاحبها بمقدار صدقه فيها . خاصة أن الانتخابات تتكرر والمناسبات السياسية عديدة لا حصر لها ، وإذا ظهر الكـــذب ، أو بانت المبالغة فإن الجماهير لن تسمع له ، ولن يـــؤثر فـــى غيره.

هـ ــ وجود المقارنات فيها : وذلك لأن الرجـــل الـــسياسى مـــضطر لإبراز رسالته بالتفصيل . وشرح مزايا اتجاهاته . وهو لهـــذا يقارن بين منهجه ونظريته وبين مناهج الآخرين ونظريـــاتهم . وذلك كله فى أدب واتزان .

أما الخطبة النيابية :

وهى التى يلقيها مسئول داخل المجلس النيابى سواء كان هذا المـــسئول رئيس الدولة أو رئيسا للوزراء . وهؤلاء جميعا من الخاصة شأنهم مثل شـــأن أعضاء المجلس كله على اعتبار أن الشعب لا يختار لتمثيله . ولا يزكى لقيادته

إلا شخصا أمتاز بالعقل والثقافة والإدراك ، ولذلك وجدنا هذه الخطابة تتميـز بالخصائص التالية :

أ ــ **الدقة التامة** : لابد أن تكون هذه الخطبة دقيقة اللفظ والمعنـى دالة على هدفها بوضوح . حتى لا تقابل بمعارضات المستمعين الذين يتابعون بوعى ويرقبون بإدراك ، ولابد أن تعتمد علـى وثائق صحيحة ، وأدلة ثابتة مؤكدة .

إن المسئول حينما يوجه خطاب الافتتاح إلى مجلس نيابى يضع خطابه فى شكل نظريات مختصرة دالة على المقصود فى دقـة متناهية .

والنائب الذى يخطب فى موضوع ما مطالبا بالإصلاح عليه هو الآخرة أن يتمسك بالدقة حتى يصل إلى مـراده مـن أقـصر طريق.

والنائب الذى يقدم استجوابا لمسئول ، أو يتقدم يطلـب إحاطـة حول موضوع ما لابد له أن يجمع البيانات ، والوثائق ، وكافة المعلومات المتصلة بهذا .

ومن هنا نرى أن هذه الخاصية من أهـم خـصائص خطـب السياسة النيابية .

ب ــ **مراعاتها للنظم السياسة الموجودة** : يجب أن تراعى الخطبـة السياسية النظام السياسى للدولة . ذلك أن النظم الملكية تغـاير النظم الجمهورية . والنظم الرأسمالية تغاير النظم الـشيوعية . وأيضا فإن كل مجلس نيابى له لائحته الذى تنظم العمـل فـى داخله . وعلى الخطب أن تسير فى النظام الموضوع لها داخل المجلس . ووفقا للائحته .

ج ــ **اشتمالها على دراسة واسعة** : تتضمن الخطبة السياسية النيابية على دراسات واسعة حول موضوعها . وذلك شرط لازم لدقتها

والتزامها بالنظام الموضوع . وقد كفلت الدساتير والقوانين لأعضاء المجالس المنتخبة حق الحصول على ما يريدون من معلومات ، وضمنت لهم حرية الحركة والتنقل فى أى مكان للحصول على المعلومات التى يريدونها .

إن المسئول الذى يتحدث فى موضوع ما . عليه أن يحيطه بالدراسة والمعرفة ، ويقدمه فى صورة متكاملة للمجلس حتى يوافق عليه . كما أن النائب الذى يتكلم فى موضوع ما عليه أن يحيطه بالدراسة الوافية . ولا يخلطه بغيره فالموضوع الزراعى يغاير الصناعى والطبى مثلا ، ومن هنا كانت أهمية سعة الدراسة .

د ـ **ميلها إلى العقل أكثر من العاطفة :** وذلك أمر عادى نظرا للمستمعين لأنهم جميعا من الطائفة الراقية التى يهمها المعنى المحرر أكثر من الإثارة اللفظية ، ولكن يجب أن يكون الأسلوب بعيدا عن الجدل السفسطى ، والإطناب الخطابى .

أما خطب الهيئات :

فهى تلك الخطب التى تلقى فى النوادى المحلية فى المناسبات المختلفة ، أو فى المؤتمرات المحلية ، أو فى المؤتمرات العالمية . وهذه الخطب لها طابعها الخاص . ولذا تتميز بالآتى :

أ ـ **مراعاة المناسبة :** وهذه الخاصية وإن كانت عامة فى جميع الخطب إلا أنها فى هذا النوع أكثر أهمية . لأن الهيئة تعقد اجتماعاتها من أجل غرض معين . وأحيانا يقسم المجتمعون أيام مؤتمرهم لبحث موضوعات معينة كل موضوع فى يوم . ومن هنا لزم مراعاة المناسبة حتى يتضح الموضوع ولا يختلط بموضوع آخر .

ب ــ**الدقة التامة** : وهذه خاصية لازمة لأن المؤتمرين جميعا من الخاصة ويجب مراعاة ذلك حين الخطبة في المؤتمرات المحلية والعالمية .

ج ــ **شمول التحليل** : إن المتحدث السياسى عليه أن يجعل خطبته متفتحة الفكرة من كافة جوانبها ، وذلك بعرض الأوجه المختلفة للموضوع .

النوع الثالث
الخطابة القضائية

اقتضى الاجتماع البشرى وجود منازعات ومشاحنات . وهـذه تحتـاج دائما إلى الفصل فيها . ليستقر الحق . وينتهى الباطل ... ومن هنا وجد القضاء وعرف الناس التقاضى واستلزم ذلك ظهور الخطابة القـضائية التـى يلقيهـا القاضى تبريرا لحيثيات حكمه ، أو يلقيها ممثل الادعاء وهو النائب العام الذى يوضح بخطبته دوافع الاتهام . أو المحامى الذى يوضح بخطبته براءة موكله . أو ثبات حقه .

وقد عرف أرسطو بعض هذا النوع وسـماه " الخطبـة المـشاجرية " لاتصالها بالتشاجر والتنازع . وبين أن غاية هذا النوع تحقيـق العـدل . ورد الجور ، ومنع الظلم بين الناس إلا أن تسميتها بالخطابة القضائية أولى ، لتشمل سائر الأقضية سواء كانت مشاجرة أو إثبات حق ، أو صيانة لأمانة ، أو حفظا للخير في المجتمع .

ومن المعلوم أن كل طرف من المتخاصمين يريد إثبات أن الحق لـه . ولذلك وجب أن يكون المستمعون على قدر كبير من فهم القانون . وتحليل مـا يقال حتى يكشفوا الحق من الباطل .

إن المصريين القدماء حرموا المرافعات بالخطابة . وقـصروها علـى المذكرات المكتوبة ، فى محاولة منهم للوصول إلى الحق بعيدا عـن التـأثير الخطابى . والانفعال اللفظى .

وحاول اليونانيون منع الخطباء من الاسترسال فى أقوالهم ، فعينوا فـى المحكمة رجلا يقاطع الخطيب أو يسكته . إذ رآه يحاول التأثير بقوة العاطفـة والألفاظ . وإثارة الإعجاب .

أما الرومان فإنهم لم يقيدوا الخطب وثوقا منهم بوضوح القانون . وتقدم

فنونه فى بلادهم[١] .

إن الإسلام لا يقف أمام أى بيان يلقيه خصم فى المحكمة على اعتبار أن هذا البيان يساعد على وضوح الحق . وإبراز الجوانب التى يستند إليها القاضى فى إصدار حكمه ، وإنما اكتفى الإسلام بتوجيه سائر أطراف التقاضى نحو الصدق . والبحث عن الحق . ومن هذه التوجيهات ما قاله النبى ص تعليما للقضاه قال : " **قاضيان فى النار . وقاض فى الجنة ، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة . وقاض عرف فجار متعمدا ، أو قضى بغير علم فهما فى النار** "[٢] . فنجده عليه السلام يسوى بين القاضى الذى يجور متعمدا وبين القاضى الذى لا يجهد ذهنه . ولا يبحث عن الحق الذى يجب عليه أن يتمسك به . ويحكم بمقتضاه .

ويقول عليه الصلاة السلام : " **إنما أنا بشر ، وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو يتركها** "[٣] وذلك من أجل أن يبتعد المتخاصمون عن الظلم ، وترك البيان الكاذب الذى يوصلهم إليه .

وفى العصر الحديث يبذل القضاة كثيرا من القراءة والتفكير من أجل الوصول إلى العدل فنجدهم يؤجلون الحكم أكثر من مرة . ويطلبون المستندات من الخصوم : ويسمعون الشهود . ويطلبون الإطناب فى المرافعة عساهم يتمكنون بهذا من معرفة الحق الذى هو بغيتهم وأملهم ، وتتميز الخطابة القضائية بالخصائص التالية :

أ ــ المحافظة على التقسيم العلمى للخطبة : ذلك أن الموقف خطير ويحتاج إلى وضوح كامل ، ومما يساعد عليه المحافظة على

---

١ ـ أصول الخطابة صـ١٩٧ بتصرف

٢ ـ رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى بريده ، الجامع الصغير جـ٢ صـ١٢٣

٣ ـ صحيح البخارى ـ كتاب الأحكام . باب من قضى له بحق أخيه جـ١١ صـ٥٣

التقسيم . فنجد الخطيب ــ محاميا أو مدعيا ــ يفتتح خطبه بالتزام العدل ويحث عليه . ويحدد موضوعه بأنه فى براءة المتهم أو إدانته ويبرز عناصره الأساسية يبين كل عنصر ويفند الاتهام بشواهد القانون ، وأخيرا يختتم خطبته طالبا براءة أو إدانة المتهم .

ب ــ **الإيجاز الموفى بالغرض** : لا تحتاج الخطابة القضائية إلى الإطناب والتطويل نظرا لكثرة القضايا بالنسبة للزمن . وأيضا لأن المستمعين من الخاصة الذين يفهمون باللمحة . ويقتنعون بالحق من بدء ظهوره . ولذلك فهم لا يحتاجون إلى إثارة العاطفة . وإنما يهمهم الأسلوب العلمى وحده .

ج ــ **التزام الحق** : يجب أن تلتزم الخطابة القضائية بالحق حتى تكون الأحكام دائما صحيحة ، ومنصفة . ولا يسمح فيها لمرتزق أن يأخذ من المتهم مالا . ويحاول بعد ذلك تحويل الباطل إلى حق . ويجب أن يمارس المحامون الصدق النفسى ولا يترافعون إلا عن الحق . ويبتعدون عن الباطل .

هذا وقبل أن ننتهى من بيان هذا النوع من الخطابة نذكر أنها أنواع ثلاثة هى :

١ــ **خطبة القاضى** : وهى اقصرها ، وفيها يصدر الحكم ويبين حيثياته .

٢ــ **مرافعات النيابة** : وهذه تقدم الادعاء . وتبين للمحكمة أدلة ثبوت التهمة ومدى انطباق القانون عليها .

٣ــ **مرافعات المحامى** : وهذه تشتمل على الأدلة المؤدية على براءة المتهم . وإدانة الخصم ، وليسهل على القاضى استنباط الحكم . والوصول إلى الحق ، ويمكن أن يقوم المتهم بعرض قضيته فى خطاب طويل .

النوع الرابع
الخطابة العسكرية

أحاط الناس منذ القديم بقيمة القوة المعنوية بجوار القوة المادية . ولذلك اهتموا بها ، ومن هنا عينوا الخطباء للجيوش . وألزموهم بمعايشة الجنود فى حياتهم .

إن اليونان هم أول من وضع الخطباء على قمة الجيش . حيث أسندوا لهم القيادة فعينوا " كلبون " قائدا للجيش . وعينوا " ديموستين " قائدا لهم فى حرب فيليب .

وعرف العرب ذلك فكثرت فيهم خطب الحض على القتال والأخذ بالثأر .

وسجل تاريخ الخطابة نماذج مختلفة لخطب المنافرات . والدعوة إلى الحرب . عند سائر الأمم . والإسلام بدوره دعا إلى الجهاد العادل . وأمر الله رسوله به فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[١] . وفى محاولات تحريض النبى ﷺ لأصحابه برزت خطبه العسكرية ، داعية إلى الجهاد فى سبيل الله من أجل نصرة الحق . ونشر الدعوة . وإنقاذ المنبوذين والضعفاء فى هذا العالم الذى لا يؤمن بحق الغير إلا بالقوة . ولا يفكر في المصلحة إلا إذا خاف .

إن الجهاد الإسلامى حماية للحق ، ورد العدوان ، وصيانة الدعوة والدعاة . ولولاه لاجتاح الظالمون الإسلام ودياره ، وهو ليس قتالا فقط . ولكنه كما يكون بالسيف يكون بالكلمة . بل إن الجهاد بالكلمة فى بعض الأحيان أوجع

١- سورة الأنفال آية ٦٥

وأنجح . يقول النبى ﷺ : " **جاهدوا المشركين بأموالكم وألسنتكم** "[١] فتجده يأمر بالجهاد قتالا وكلاما ومالا .

إن شحن المجاهدين إلى هدفهم عمل عرفته سائر الأمم . ومنه ظهـرت الخطبة العسكرية التى يلقيها القادة . أو بعض الجنود ، أو وعاظ الجيش .

وعلى الجملة فهذا النوع من الخطابة يتميز بالخصائص التالية :

أ ــ **الفخامة اللفظية :**

ذلك لأن الفخامة اللفظية تزكى القوة فى نفسية المستمعين وتدفعهم إلى الالتزام بالموضوع الذى يدعونهم إليه .

ب ــ**وضوح الهدف :**

تهدف الخطابة العسكرية إلى شحن الجنود نفسيا لقتال عدوهم الذى يحتل أرضهم . ويهدد دينهم وكرامتهم . ولذلك نجدها واضحة فى وجهتها ، ودائما تركز على موضوعها الواحد وإن اختلفت صور التركيز . فمثلا تأتى مرة فى عقيدة العدو وأهدافه ، وأخرى فى طبيعة جنوده وضعفهم . وثالثة فى أسلحة العدو وعدته ، ورابعة فى المقارنة بين الأهداف ... وهكذا تكثر الصور إلا أنها تتركز فى موضوع واحد واضح هو تقوية الجنود معنويا تجاه عدوهم.

ج ــ **بيان أثر الحرب :**

يبين الخطيب العسكرى لجنوده الأثر المترتب على الحرب التى يحرض جنوده عليها . ويذكر أنها شرف يجب السعى إليه . لأنها حماية للعرض والوطن والدين .

إن الأمة اليابانية قاتلت بروح وثابة فى الحرب العالمية الثانية لأنها عرفت الأثر المترتب على صعودها .

١- رواه أحمد فى مسنده وابن حباز فى صحيحه عن أنس " الجامع الصغير " جـ١ صـ٢٤٥

والأمة الإسلامية الأولى حاربت وضحت لأن الأثر كان هو حماية الدعوة ، ونشر الإسلام .

وفى العصر الحديث تنشب حروب كثيرة انتصر فيها الأقلون أحيانا لوضوح الأثر المترتب على الحرب أمامهم .

ومن هنا نرى أن الخطبة العسكرية لابد أن تكون بينة الأثر.

د ــ الارتباط بعقيدة قتالية :

الخطبة العسكرية الموفقة هى التى ترتبط بعقيدة قتالية معينة لأن العقيدة هى المشعل الحى للمقاتل ، وحينما يحلل المراقبون حرب يونيه سنة ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل يرى أن وضوح العقيدة عند الجنود الإسرائيليين . وارتباطهم بها هو الذى ساعدهم على النصر فى وقت كان الجنود العرب لا يرتبطون بعقيدتهم رغم أن عقيدتهم هى الحق .

ولما تغير الحال وارتبط الجنود العرب بعقيدتهم الإسلامية فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ تغيرت النتائج وانتصر العرب على الإسرائيليين .

إن أحد الدروس المستفادة من هذه الحرب هو إحياء العقيدة القتالية عند الجنود .

إننا ندافع عن أرضنا . ونحمى مقدساتنا . ونذود عن ديننا . وهل هناك شئ أغلى من بعض هذا إن لم نقل من جميعه .

إن ارتباط الخطبة العسكرية بعقيدة قتالية سمة هامة فيها . ولو خلت منها لقل أثرها . وأصبحت بلا فائدة .

علاقة الخطبة العسكرية بخطة الجيش :

يسير كل جيش وفق خطة معينة . ويتبع تكتيكا مرسوما . ويجب أن لا

تتناقض الخطب مع التخطيط بشكل عام ، ولكن ليس بلازم أن تتناوله بالتحليل لأن التخطيط من عمل القادة وحدهم .

وأما الخطبة فهى تعبئة معنوية للجنود من أجل دفعهم إلى طاعة القادة . وتنفيذ الأمر . والصمود حتى النصر أو الموت .

إن طارق بن زياد رحمه الله خطب جنده بعد أن عبر بهم البحر . وبعد أن رسم خطته فى ذهنه التى كسر بها السفن . ولم نجده يتناول خطته فى خطبته . ولكنه أشار إلى المحسوس . ولم يتناقض معها فى شئ .

وهكذا يجب أن يعيش الجنود ظروفا واحدة لهدف واحد .

النوع الخامس
الخطابة الاجتماعية

وهى الخطب التى تلقى فى المحافل والمجالس لغرض من الأغـراض التى لها ارتباط بالنشاط الإنسانى كتكريم شخص ،أو تهنئة فى مناسبة سعيدة ،أو تعزية فى وفاة ،أو تبريك زواج ،أو فى إصلاح ذات البين . وكل هذا يعـرف بالخطابة الاجتماعية ونحن هنا سوف نعرف كل نوع مبينين خصائصه الفنية .

(أ ــ خطب التكريم)

وهى التى تقال من أجل مدح شخص جزاء فضله وعظمته . وهى تكون فى مناسبة خاصة به . كأن تكون فى يوم عيد ميلاده . أو فى يوم ترقيته فـى منصبه ، أو بمناسبته نقله إلى عمل آخر . أو في مناسبة إحالته على المعـاش ... وكل هذا عرف بخطب التكريم لأنها تتعلق بمدح طيب . ووصف كريم .

وهذه الخطب أرقى أنواع الخطب الاجتماعية . لأن الخطيب يبذل فيهـا جهدا كبيرا من أجل الوصول إلى قلب من يوجه الخطبة له .

ومن قديم والعرب تشترط فى هذا النوع الإعـداد الـدقيق . والدربـة الطويلة يقول الجاحظ : " **إن ابتليت بمقام لابد فيه من الإطالـة فقـدم أحكـم العبارات لبلوغ المراد من الحديث فى شرف المحتفل به ، وإيـاك أن تعـدل بالسلامة شيئا . فإن قليلا كافيا خير من كثير غير شاف** "[١] .

وفائدة خطب التكريم تعود على الشخص المكرم سعادة وفرحا . وعلى غيره من المستمعين حيث يعملون ليكونوا مثله فى التكريم والتقدير .

وخطب التكريم تتميز بالخصائص التالية :

١ــ **مناسبة المقام طولا وقصرا** : تختلف المناسبة عن غيرها . ففى الوقت الذى نرى فيه وقتا طويلا يخصص للتكريم فـى

١- البيان والتبيين جـ١ صـ١١٢

بعض المناسبات . نجد وقتا قصيرا للبعض الآخر . ومن هنا وجب أن تناسب خطب التكريم الوقت المخصص لها فتطول وتقصر تبعا لذلك .

٢ـ **التركيز على صفات المكرم :** هذه الخطب مديح يوجه إلــى أشخاص معينين . ولابد لها أن تتضمن بالتفــصيل صــفات الشخص المكرم . على أن نتناولها مقدمين ما وضح على ما خفى . وما عظم على ما كان أقل منه . ويجــب أن يكــون واضحا أن تعداد الصفات هام جدا لأن ذلك يحقــق الــسعادة والسرور للشخص المكرم . وذلك هو الغــرض الأساســى للتكريم .

٣ـ **المبالغة فى الوصف :** لا يقف علماء الفن ضد المبالغة فــى خطب التكريم بل يخترون بعض المبالغة فيهــا بــشرط أن يكون لها ارتباط بالواقع . يقول أرسطو : " **وقد ينبغــى أن نأخذ فى المدح تلك القريبات من الأمور كأنها هى بأعيانها . كقول القائل : " إن الزاهد حسن المشورة ، أو أن الفاســق له حسن العشرة ، أو أن الغى حليم أحيانا فيوصف كل واحد من هذا النحو بالذى يلزمه أبدا من جهة الفضيلة** "[١] .

ويوضح ابن رشد قول أرسطو هذا فيقول : "**وينبغى أن نأخذ الأمور القريبة من الفضائل فيمدح بها لأنها توجــد عنهــا أفعال الفضائل . ومثالها العى الذى قد يكــون عنــه أفعــال الحليم فيوهم به أنه حليم ، وكذلك المتهور قد يوهم فيه أنه شجاع**"[٢].

---

١ - الخطابة صــ٤١

٢- تلخيص الخطابة صــ٧٨

وهكذا نادى العلماء بجواز المبالغة بشرط أن يكون لها ارتباط بأفعال المكرم ، وأن تكون منتجة للخير والفضيلة . لأن إطلاق المبالغة يفتح باب الكذب والنفاق وهذا مالا ترضاه خطبة لنفسها .

٤ــ **الإطناب :** تحتاج خطب التكريم غالبا إلى الإطناب لأنها تريد التفصيل فى الصفة ، والتعداد لسائر الصفات . ويجب أن يوضع التفصيل والتعداد فى شكل ينمى الصفة ويعظمها . يقول ابن رشد : " **وينبغى أن يستعمل فى المدح الأشياء التى يكون بها تعظيم الشئ وتنميته . وهو أن يتخيل فى الشئ أنه بالقوة أشياء كثيرة . كما يقال .**

إنه أول من فعل هذا .

أو أنه وحده الذي فعل هذا .

أو أنه فعل هذا فى زمان يسير ما شأنه أن يفعل فى زمان كثير .

فإن هذه كلها مما يفيد عظم الفعل"[١] .

٥ــ **قوة التأثير فى المستعين :** هذا النوع من الخطابة وصفى دائما . ولذا فعليه أن يتمتع بالأسلوب الرائع . والتركيب المؤثر . كما أن عليه أن يهتم بالتأثير المعنوى فى المستمعين فيتجه إليهم ببعض قوله . فيذكر موطن المكرم بالخير ، ويبين فضل أهله وأترابه فى تنشئته وتكوينه .

يقول ابن رشد : " **وينبغى أن يمدح كل إنسان بما هو ممدوح عند قومه وأهل مدينته** " .

ومن الأمور المؤثرة في المستمعين الاستدلال بالمقدسات

١- نفس المصدر صـ٨٠

الموجودة فى عقيدتهم لأن ذلك أدعى إلى الانتباه واليقظـــة .
يقول الجاحظ : " **إن العرب كانوا يستحسنون أن يكون فـــى الخطب يوم الحفل . وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن . فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرنة وحـــسن الوقع** "[١] .

٦ـــ **وضوح الخطبة :** يحسن لهذا النوع أن يكون واضح الأسلوب مفهوما للمستمعين . مرتب العناصر .

وأخيرا فنحن لا نرتضى لخطيب المدائح أن يقصر قوله علـــى الـــسرد التاريخى للشخص المكرم . لأن ذلك يدفع إلـــى الملـــل . ولا يـــصنع التـــأثير المطلوب ولكنا نطالبه بأن يتخير أحداثا مؤثرة ومثيرة ويركز عليها . وبـــذلك يفيد المكرم : ومن يريده أسوة لنفسه ولغيره من المستمعين .

(ب ـــ خطب التأبين والتعزية)

وهى الخطب التى تقال فى فقد شخص له خطره الاجتماعى ، وقد تكون لشخص عادى .

ويجب أن يلاحظ أن خطب التأبين تفترق عن خطب التعزية . وذلك أن خطب التأبين يتجه فيها الخطيب إلى الميت . يعدد مناقبه وسجاياه التى طواهـــا القبر ، ويصور ما خلفته الفاجعة من الحسرة والأسى فى القلوب . ثـــم يطلـــب للفقيد الرحمة ، ويدعو لأهله بالصبر . فيعزيهم بذلك عن فقده ويـــدعوهم إلـــى التذرع بالصبر . والتجلد أمام هذا الخطب . ثم يتجه إلى الفقيد يعدد مناقبـــه . ويبين اللوعة التى تركها فى أهله ومحببه بعد فقده[٢].

وتتميز خطب التأبين بصدق المشاعر . وملازمة الحقيقة لأن الخطيـــب فيها أحد أقرباء الفقيد . ولا يتجه بها إلا إليه إرضاء لنفسه . وإشباعا لتبرمه .

١- البيان والتبيين جـــ١ صـــ١١٨

٢- الخطابة العربية فى عصرها الذهبى صـــ ٢٣٦ ، ٢٣٧ بتصرف

ولوعته . وكلما كان الخطيب أشد قربا من المفقود تلمح فـــى كلامـــه صـــدق العاطفة . وحرارة التعبير .

كما تتميز بالأسلوب المؤثر لأنها تشتمل تلقائيا على الصور المتعددة من علوم البلاغة . لدرجة أن الخطيب يضمن قوله كثيرا من الشعـــر المحفـــوظ أو المرتجل إن كان من أهل صناعته .

أما خطب التعزية فإنها لا تكون بالضرورة من خطيب قريب للفقيد . بل إنها تكون من القريب والبعيد . ولذلك نجدها تتميز بالمبالغة التى يتقـــرب بهـــا الخطيب لأهل الفقيد . ونجد فيها أثر الصنعة والتكلف .

ومن ملاحظتنا العملية نرى أن الخطباء فى التأبين والتعزية يخرجـــون كثيرا عن الحقيقة فيظهرون الفاسد صالحا طمعا فى جاه أو مال ، كما أنهم فى بعض الحالات لا يلتزمون بجلال المناســـبة فيخطبـــون بـــين المعـــزين فـــى موضوعات السياسة أو الوعظ ، وهذا عمل غير سديد . والواجب هو التركيـــز على جلال الحدث لأن الموت يهز النفس ، ويحرك الوجدان ، والتركيز مفيـــد للأحياء . فإن كان ولابد من خروج . فيلكن بربط الموت بالحياة . فإن التعريف بالموت أكبر خادم لإصلاح الحياة " وكفى بالموت واعظا . وكفى باليقين غنى"[١] و " وكفى بالموت مزهدا فى الدنيا . ومرغبا فى الآخرة "[٢] .

(ج ــ خطب الزواج)

وهى الخطب التى تلقى فى مناسبات النكاح وعقد الزواج . وقد جـــرت العادة فيها منذ القديم أن يرد أحد أقرباء الزوج أو الزوجة على الخطيب بكلمـــة موجزة تعرف بالمجاوبة والشكر . وهذا النوع قديم منذ وصول الإنـــسان إلـــى تنظيم الزواج ليبين للمستمعين قيمة الزواج وأهميته .

وتكاد خطب الزواج أن تلزم صورة واحدة تتميز بالآتى :

١- رواه الطبرانى فى الكبير عن عمار . الجامع الصغير جــ٢ صـــ١٥١

٢- رواه أحمد فى مسنده عن الربيع بن أنس . الجامع الصغير جــ٢ صـــ٥١

١ـ **جلوس الخطيب وسط الناس :** حيث نراه دائما يجلس بلا إعداد مكان . لأن المناسبة لا تتكرر فى مكان واحد . يقول الهيثم بن عدى : " **إن الخطباء لم يكن يخطبون جلوسا إلا فى خطبة النكاح** " . وكان لذلك أثر فى مشقة الخطبة وعسرها . لأن قرب الخطيب من الناس . وجلوسه بينهم يجعلهم كنظرائه وأنداده .

٢ـ **التزام الافتتاح الدينى :** فيبدأ الخطباء فيها دائما بالحمد لله والتشهد .

٣ـ **مدح العروسين :** حيث تشتمل سائر الخطب على مدح العروسين وبيان مزاياهما . والتوافق المنشود بينهما .

٤ـ **التوصية :** لا تخلو خطب الزواج من توصية الخطيبين بمراعاة حقوق الزوجية وواجباتها .

٥ـ **بيان فائدة النكاح :** وذكر الفائدة عنصر هام يتجه به إلى العروسين وإلى المستمعين تشجيعا لهم على الزواج كسبا لفوائده . وقد كان لبعض الخطباء عبارات ثابتة يكرونها عند أى زواج يخطبون فيه ، وبالطبع تكون خطبهم عامة وموجزة كقول الحسن البصرى بعد حمد الله والثناء عليه : "**أما بعد فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المتقطعة . والأنساب المتفرقة . وجعل ذلك فى سنة من دينه . ومنهاج من أمره . وقد خطب إليكم فلان . وعليه من الله نعمة . وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا رحمكم الله**"[١] .

وعلى الجملة فإن هذا النوع من الخطابة يتفق فى الجملة مع

١- العقد الفريد جـ٤ صـ١٥٠

ما سبق ذكره من خصائص الخطبة الوعظية .

(د ـــ خطب الإصلاح)

وهى الخطب التى تقال فى مناسبات الإصلاح بين الناس . وقد جـــرت العادة فى العصر الحديث أن يجتمع المتخاصمون فى مكان عـــام ، ويحـــضر معهم بعض المسئولين . وأحد الوعاظ الذى يقوم ويخطب خطبـــة الإصـــلاح . وهى خطبة وعظية فى حقيقتها . إلا أن المناسبة وطريقة إلقائها . ومكان الإلقاء هو الذى جعلنها جزءا من الخطابة المحفلية .

وخطب الإصلاح تتميز بما يلى :

١ـــ **الإطالة :** والإطالة فى هذا اللـــون مرغـــوب حتـــى يقتنـــع المتخاصمون ويضعو حدا للتنازع فيما بينهم . يقول الجاحظ: " **أما خطب إصلاح ذات البين . فالإكثار فى غيـــر خطـــل . والإطالة فى غير إملال** " .

٢ـــ **الدعوة إلى التواصل :** وهذه الفكرة العامة التى تدور عليهـــا الخطبة الإصلاحية لأن ذلك هو هدفها الوحيد .

❖ ❖ ❖

وهكذا تكون الخطب المحفلية . وبها ننتهى من بيان خصائص الخطـــب وفق التقسيم الحديث .

المبحث الخامس

بين الخطبة وأشباهها من فنون القول

الخطبة أقوال مؤثرة ومقنعة . تساق من أجل تحقيق هدف معين وتتنوع إلى أنواع عدة ، ولكل نوع خصائصه ، ووظائفه . وهى في جملتها تعمل على خدمة الإنسان بمناقشة قضاياه وتقديم الحلول المناسبة لها ، ومحاولـة إقناعـه بالمعروف وإبعاده عن المنكر بأسلوب بين ، وبرهان سديد .

وحتى نتمكن من إعداد الخطبة الجيدة فإننا نحاول تعريف الخطيـب ، بخصائص الخطبة ، وتمايزها عن سائر الفنون الكلامية منطوقة أو مكتوبة ... حتى يتمكن من إعداد الخطبة على الوجه الذي نرجوه له ، ونتمناه منه .

ولما كان الأمر هكذا فإننا نجد أن للخطبة أشـباها مـن فنـون القـول الأخرى وبينهما وبين كل منها التقاء في بعض الجوانب ، واختلاف في جوانب أخرى ، وفى هذا المبحث سنبين بإذن الله تعالى أهم الفروق الموجـودة بـين الخطبة وبين الأقوال الأخرى نذكرها إحاطة بها ، وتمييزا للخطبة عن غيرها ، وتعريفا بهذه الفنون الأخرى .

وأيضا فإن الخطبة وسائر هذه الفنون القولية هى كلمات الداعيـة إلـى البشر . ولابد من إحاطته بجميعها . ليساير التطور العلمى للإعلام والـدعوة . ويملك القدرة على تبليغ الدعوة ونشرها بين الناس أجمعين بالخطبة ، وبـسائر هذه الفنون وذلك .

وسوف يتضمن هذا المبحث تناول ما يلي :

١- بين المناقشة والخطبة .
٢- بين المحاضرة والخطبة .
٣- بين المناظرة والخطبة .
٤- بين الدرس والخطبة .

- ١ -
بين المناقشة والخطبة

لا نقصد بالمناقشة الجدل العارض ، والحوار الذي يدور بين الناس خلال عملهم ونشاطهم ، ولكننا نقصد به الصورة العلمية المنظمة التي وضع علماء الاتصال أسسها وقواعدها .

إن المناقشة فن من فنون القول له أصوله العلمية . وتطبيقاته العملية . وفوائده الكثيرة في مجال الاتصال والتوجيه . جاء فى مقدمه كتاب " فن المناقشة " **أن علماء النفس الاجتماعى توفروا على بحث فن المناقشة . ووضعوا له أصولا محكمة . حتى كاد أن يكون علما مستقلا .** وتحدثوا عن الأطراف المشتركة ، في النقاش من ناحية عددهم ومسئولياتهم سواء كانوا هم المنظمين للمناقشة أو المتحدثين فقط ، وبينوا مسئوليات كل من الرائد والأعضاء وحقوقهم . والشروط التى بها تسير المناقشة سيرا مثمرا . ووضعوا الوسائل العملية التى يمكن بها ضبط اتجاهات المناقشة . وتقويم نتائجها[١] .

والمناقشة العلمية عبارة عن أقوال جماعية يقوم بها عدد لا يقل عن ستة ولا يزيد عن عشرين لتسهل المناقشة ويتمكن الجميع من المشاركة . ويمكن الاتفاق .

والغرض العام من المناقشة توفير أكبر قدر ممكن للدراسة الجماعية وتبادل الأفكار حول موضوع يهم الجماعة.وإيجاد الحلول المناسبة له .

وقد اشترط العلماء لنجاح المناقشة وجود **موجه . وملاحظ** مع الجماعة **والموجه** هو قائد مجموعة المناقشة ، ويجب أن يكون مخلصا للفكرة ، محبوبا من الجميع ، واسع الأفق . ودوره هو استخلاص الرأى من المجموعة ، ودفع الجميع للمشاركة بلا حرج أو تردد .

١- فن المناقشة صـــ٣ ، وفى الكتاب تحليل واف المناقشة العلمية

والملاحظ : هو الذى يسجل كل ما دار فى المناقشة من أجل تقييمها بعد ذلك لتدارك أى تقصير ، والاستفادة بأى بادرة طيبة .

والجماعة هى التى تقوم بالمناقشة ويجب أن يعـدوا للموضـوع . وأن يهتموا به . وأن يدرسوه دراسة مفيدة ومقنعة .

وعلى ضوء دراستنا للخطبة فإننا نلحظ أنها تتفق مع المناقشة فيمـا يأتى:

١ـ كلاهما قول معد . يهـدف الإقنـاع والاسـتحالة ، ونـشر المعروف .

٢ـ كلاهما يخدم الناس لأنه يعايش مشاكلهم . ويهـتم بإيجـاد حلول لها.

٣ـ كلاهما يحتاج من قائله إلى الإخلاص . وسـعة الأفـق . ومحبة الجماعة .

وأيضا فإننا نجدهما يختلفان فيما يأتى :

١ـ الخطبة يؤديها شخص واحد بينما المناقشة يؤديها أشخاص لا يقل عددهم عن ستة ولا يزيد عن عشرين .

٢ـ الخطيب وحده هو الذى يعد خطبته وهو الذى يقيمها بعـد إلقائها ، بينما المناقشة ينظمها الموجه . ويقيمهـا الجميـع اعتمادا على مشاهداتهم الشخصية . وما دونه الملاحظ .

٣ـ إذا أورد الخطيب قصة جدلية فى خطبتـه . فهـذه ليـست المناقشة العلمية التى نحن بصددها لأنها تدور على لـسان شخص واحد بينما المناقشة تـدور علـى ألـسنة جميـع الحاضرين .

٤ـ أدلة الخطبة أمور محفوظة أو مكتوبة يقرؤها الخطيب نفسه بينما أدلة المناقشة تكون هكذا ، وتكـون بـصور أخـرى

كالرسوم الإيـضاحية والأفـلام المـصورة ، والتـسجيل الصوتى.

والمناقشة ليست هى المناظرة لأن المناقشة فى هدف واحـد . واتجـاه نسبة واحدة . وتكون تعاونا بين أشخاص عديدين . بينمـا المنـاظرة توجـه المتخاصمين إلى موضوع واحد بهدف مغاير لكل منهما . حيث أن كـلا مـن المتخاصمين يريد إثبات عكس ما يريده الآخر .

والمناقشة وسيلة ناجحة للوصول إلى غرض معين .

والواعظ الداعية يمكنه أن يستفيد بهـذا الفـن الـذي توصـلت إليـه الحضارات الحديثة لأن تطور العلوم يلزم الدعاة بضرورة مسايرة التطور فـى الأسلوب ، والوسيلة ، والحركة لا فى أصول الدعوة . ليتمكنوا من الوصـول إلى الناس أجمعين بدعوتهم .

والندوة العلمية . نوع من المناقشة إلا أن عدد المشاركين فيها قليـل ، ويقوم المشاركون فيها بمعالجة قضية عامة ، أما المناقشة فإن عدد أفرادها أكبر ، ويمكن الاستفادة بها في كل القضايا التي يعيشها الدعاة في مجتمعهم الصغير وفى كل وقت يريد ، والمسجد متسع لعقد حلقات المناقشة .

وتفيد المناقشة فى تبادل الآراء . وفهم الآخرين . وإرضاء المعارضين وزيادة المعلومات . وتحقيق الكرامة لكل فرد . وتعبر عـن كـل الخـواطر الوجدانية . وتحل المشاكل بصورة ملزمة للجماعة لأن الجماعـة هـى التـى اتخذت القرار . وأيضا فهى توسع دائرة الشورى بين المتناقشين وتعلم الجماعة ضرورة الشورى .

إن المناقشة صورة ديموقراطية ثقافية ، والمـشتركون فيهـا يمثلـون المجتمع الذي يعيشون فيه ... وأى مشكلة وأى موضوع يهم الجماعة فـي أى مجال معنوى أو مادى يمكن إيجاد الحلول له بواسطة برلمان المناقشة ... ويـا حبذا لو تبينت الدولة تنفيذ الوصايا والمقترحات التي يتوصل إليها المناقـشون لأنها تمت بصورة جماعية .

والموجه قائد لا يتطرف ولا يفرض رأيه . ويساعد الأعضاء على القيام بدورهم ، فإذا وجد عضوا خجولا جذبه إلى المناقشة بالأمثلة التى تحتاج إلـى إجابة طويلة ، وإذا وجد عضوا ثرثارا سمح له بقدر معين من الوقت ، وعليـه أن يتصرف مع المشاغب ، والشكلى . والمهرج ، والمتحمس ، كل بما يناسبه بما يضمن المناقشة الجماعية المفيدة التى سبقها التفكير فى الموضوع المعـين والاستعانة بالمعلومات من مصادرها الأصيلة[١] .

ويجب أن لا يتخيل البعض أن المناقشات التى تدور بين أصحاب المهن وأصحاب العمل . أو بين طلبة فرقة دراسية . هى المناقشة التى نتكلم عنهـا . لأن هذه المناقشات تسير بطريقة عشوائية . وفى غير موضـوع محـدد . ولا تنتظر نتيجة ، وليس فيها موجه أو ملاحظ .

إن المناقشة فن قولى تربوى . يعالج كثيرا من المشاكل التى يـصلحها هذا الأسلوب .

١- كتاب فن المناقشة بتصرف

- ٢ -
بين المحاضرة والخطبة

يختار المحاضر موضوعه مما يعرض له من مشاكل الحياة والناس . وهذا يجعله قريبا من قلوب الناس . محبوبا لديهم .

ويجب أن يكون الموضوع المختار مدروسا دراسة وافية مستفيضة ، بعد تحضير طويل وعميق ، محللا إلى عناصر بارزة . وخطوات واضحة مرتبة ترتيبا طبيعيا . ينتقل بالسامع من حلقة إلى حلقة . ويفضى فى النهاية إلى ختام يستحسنه المستمع .

والذى يقوم بإلقاء المحاضرة هو الشخص الذى حضر الموضوع وجهزه وفى أحيان قليلة نادرة يقوم بإلقائها شخص آخر نيابة عن المحاضر إن تعذر حضوره .

والمحاضرة عادة تكون من أهل التخصص الدقيق وتلقى فى جمهور يهتم بموضوعها ، ويصاحبها استعداد خاص كتجهيز مكان . والإعلان المسبق عن موضوعها .

وقد ذكر الأستاذ البهى الخولى تخطيطا لمحاضرة فى موضوع "**مقومات الإنسان الفاضل**" نوجزها هنا استفادة بها لأهميتها ، ولأنه استخرج العناصر بعد تفكير شامل في الموضوع وعرض طريقة التفكير ومراحله أمام القارئ ليستفيد بكيفيته ، وكأنه كان يفكر بصوت عال . يقول :

" إن من السهل عليك أن تفترض فى هذا الإنسان الفاضل أن له رسالة فى الحياة يعمل جاهدا لتحقيقها وهو عزيز ولذلك فهو عبد عزيز له رسالة .

أما الرجل الذى يعيش بلا غاية معينة . ولا مبدإ معروف فهو من السوائم المهملة " .

وأخيرا لابد **لعبد العزة والرسالة** من العلم . ليكون من أمره على بصيرة وهدى ،ومن لا علم له لابصر له،ولا رسالة له ،ولا يعرف حدود عزته.

يجب أن يكون واضحا أننا نقصد بالعلم هنا العلم بالله عز وجــل فهــو يرزق عبده العزه والكرامة .

ويتم العلم بالله تعالى عن طريق التأمل فى السماء وما فيها ، من عجيب صنع الله وآياته ، والأرض وما أحدث فيها من كائنات وآثار ، وما بين السماء والأرض من ظواهر كونية ، وما أفاض علينا من نعم فــى أبــداننا وأرزاقنــا وأسرار نفوسنا وطباعنا ... إلى غير ذلك مما يفضى بنا مع النظر والاعتبــار إلى الله عز وجل .

وهذا العلم الحق الذى يجب أن تتجه إليه جهود الإنــسانية هــو الــذى يوصلنا لله تعالى ، وكل علم لا يوصل إلى الله فهو علم لا بركة فيه .

وليس معنى ذلك أننا نترك تعلم الصناعات ، وطرق معالجــة الأشــياء لنعيش ونأكل . بل القصد هو أن علم الرجل الفاضل يقصد به دائمــا ربــه ، ويجعل غرضه الأعلى فيه الله عز وجل سواء كان علما دينيا أو علما دنيويا .

فدعائم بناء المحاضرة إذا هى :

عــزة .

ورسالــة .

وعلــم .

فإذا وضح المحاضر ذلك إقتنع السامع بالمحاضرة ، ويمكن المحاضــر أن يقسم هذه الدعائم الأساسية إلى عناصر ، ويستحضر لكل عنصر ما يؤكــده من كتاب الله ، ومن سيرة رسوله ﷺ قولا وعملا ، ومن سيرة صحابته . ومن حركات التاريخ ، وحوادث الزمان التى تسمع . أو تقرأ . أو تشاهد .

ومن العناصر أن المحاضر ينظر فى الدعائم فيجد أن العزة معناهــا ألا يذل المرء لمخلوق مثله . ويجد أن الإسلام يغرس العزة فى نفس المسلم . لأنه من ناحية ابتغاء المنافع والخوف على الأرزاق قد علم أن رزقه فى الــسماء ، وما كان فى السماء فهو مصون ، بعيد عن أن تتطاول إليه يــد عابــث فــى الأرض ، ولابد من الحملة على الرجل الذليل بمقارنته بالرجل العزيز .

فنجد أن عناصر العزة هى تعريفها ، والعوامل التى تحـــافظ عليهـــا ، وفوائدها والأضرار التى يقع فيها من لا يتمسك بها .

وعلى ضوء عناصر الدعامة الأولى تكون عناصر بقية الدعائم . وعلى نمطها يتمكن المحاضر من تقسيم موضوعه أيا كان إلى دعائم . ثم يقسم الدعائم إلى عناصر .

ويجب أن يتحكم العقل فى استنباط الدعائم ، وترتيب العناصر . وفـــى جمع الشواهد . وفى سوق الحديث ، ويجب أن تتحكم فى كـــل ذلـــك العقليـــة العلمية العملية الواعية .

وعلى المحاضر أن يحذر من بيان تقسيم موضوعه فـــى المقدمـــة ، أو بيان حقيقة عناصره ، أو ينحو نحو التقسيمات الفلسفية ، أو التعميق النظرى . ففى الموضوع الذى حللناه . لم يذكر كل شئ فيه ، ومـــن الـــسهل أن يحلـــل المحاضر موضوعه بوجه آخر . ولكل محاضر أن يأخذ الجوانب التي يراهـــا مفيدة فى موضوعه وفى مستمعيه[١] .

وعلى ضوء ما ذكر نرى أن المحاضرة تشبه الخطبة فى أنهـــا تقـــصد إقناع الناس ، وإنها تعتمد التقسيم العقلى والعلمى لموضوعها . وأنهـــا تحتـــاج للإثبات والتفنيد . وأنها تحوى أقساما تشبه الأقسام التى تحتوى عليها الخطبة . كما أنها تتخذ موضوعات منوعة تجعلها تتنوع إلى محاضرة سياسية واجتماعية ودينية .

ومع ذلك فإننا نلحظ فروقا بين الخطبة والمحاضرة نذكر أهمهـــا فيمـــا يلى:

١ــ موضوع المحاضرة أكثر سعة من موضوع الخطبة . لأن التقسيم يبدأ فى المحاضرة بالمبادئ ثم تقسم المبادئ إلى عناصر . بينمـــا الخطبة تقسم إلى عناصر ابتداء . وعلى ذلك فالمحاضرة أقـــرب

---

١ - تذكرة الدعاة صـــ٢٦٠ ــ ٢٢٦ بتصرف ، والكتاب موجه للدعاة المسلمين

إلى البحث العلمى . المطول ، المكون من أركان وفروع وأطراف بينما الخطبة تشبه البحث العلمى القصير المكون من عناصر قليلة.

٢ـ يغلب على المحاضرة أسلوب تقرير الحقائق وتثبيت المعانى . والاعتماد على المنطق ، والتحليل ، والتوضيح . أما الخطبة فيغلب عليها صبغة إثارة العواطف والمشاعر . وتهييج الدوافع والانفعالات بجانب الأدلة العقلية ، والبراهين التحليلية .

٣ـ عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والمبادئ الأساسية . أما عناصر الخطبة فأشبه بالخواطر العارضة . والمعانى الطارئة .

٤ـ المحاضرة تستغرق وقتا طويلا . ومن الممكن تقسيمها على عدد من الأيام . أما الخطبة فوقتها قصير . ولا تحتمل تقسيما واسعا لأنها لا تصلح إلا لوقت واحد تلقى فيه .

٥ـ جمهور المحاضرة من الخاصة غالبا بينما جمهور الخطبة من سائر الطوائف .

ومع وجود هذه الفروق بين الخطبة والمحاضرة فإننا نلحظ أن المحاضرة أقرب شبها بالخطبة من المناقشة لأن المحاضرة يعدها ويلقيها شخص واحد كالخطبة بينما المناقشة تحتاج إلى عدد من الأفراد لكل منهم دوره ووظيفته فى المناقشة .

وعلى الخطيب الداعية أن يعقد بين الحين والآخر محاضرة فى موضوع يختاره ، ويدعو إليه الناس لكى يلون فى أسلوبه لأن ذلك أجدى لدعوته وأكثر فائدة فى مهمته .

ـ ٣ ـ
بين المناظرة والخطبة

المناظرة فن من فنون القــول الهامــة التــى تفيــد إقنــاع المعانــدين والمعارضين ، وهى حوار بين طرفين فى موضوع واحد . كل منهما يقــصد إثبات عكس ما يقصده الآخر . حيث يرى أنه هو الصواب ، ولابد أن يكــون هدف المناظرة هو الوصول إلى الحقيقة فى الموضوع لأنها لو بعدت عن قصد إثبات الصواب تتحول إلى سفسطة وجدل لا طائل من ورائها .

والمناظرة تغاير الخطبة لأن الخطبة من قائل واحد للمستمعين يواجــه الجمهور لإحاطتهم بموضوع اختاره وأعدله ، بحيث يتصل هــذا الموضــوع بواقع الناس وأن لم يعلموا به سلفا ، بينما المناظرة بقوم بها أكثر من طــرف على النحو السابق . فى موضوع معين يعلمــه النــاس ، مجيــئهم للمنــاظرة لاهتمامهم بهذا الموضوع وحاجتهم إليه .

والخطيب قد يجد نفسه فى مناظرة بعد إلقاء الخطبة والانتهاء منهــا إذا واجهه معارض أو ناقد ، وحينئذ يجد نفسه قد انتقل من كونه خطيبــا وصــار مناظرا ، الأمر الذى يحتم عليه أن يكون مستعدا لمثل ذلك أثناء إعداد الخطبة . وعلى المناظر أن يراعى ما يلى :

أولا : أن يترك كل رغبة فى الغلبة والانتصار على مناظره بلا حــق ، أو باستعمال القهر والسطوة . لأن هدف المناظر العلمية هو الحق دائما ، حيث أن المناظر الأول يأتى بالدليل المستلزم للمطلوب المؤيد للقضية ، وبذلك يتقدم لخصمه بالقضية ودليلها ، والمناقشة التي تؤيد قضيته .

والمناظر الآخر يرد بمنع الموضوع ، أو بنقض الــدليل ، أو بــإيراد موضوع مغاير بدليل آخر على نقيضه . أو يمنعه بطلب دليل علــى مقــدمات الدليل الأول وهكذا يستمر الحوار بين المتناظرين .ولكل منهم أن يلجأ إلى واحد من الطرق المقررة فى علم المناظرة وهى :

– بالمنع وذلك برد الموضوع وعدم مناقشة الدليل ليدور الحوار حول الموضوع .

– أو بالنقض وذلك برد الدليل لضعفه ، أو توجيه معناه إلى غير ما استدل به ، أو لتعدد دلالاته ...

– أو المعارضة وذلك بإيراد دليل آخر يثبت خلاف ما يثبته الدليل الأول .

– أو بالنفى المطلق للقضية ودليلها وإثبات ما يريد بأدلته وموضوعه .

وهكذا حتى يصل المتناظرون إلى الصواب.

ثانيا : على المناظر أن يترك الحديث عن النفس . لأن الناس يكرهون من يتحدث عن نفسه . وعليه أن يتحلى بالتواضع والإقبال على الموضوع بعقل متفتح وذهن سليم لأنه حين يتحدث عن نفسه بعيدا عن الموضوع ينصرف الناس عنه ، ويمهلون قضيته وبذلك ينتصر الطرف الآخر .

ثالثا : للمناظرة أصولها ، ويجب أن يعرفها ويتبعها المناظر الداعية لكى يصل إلى نتائج طبيعية . ولا يتحول إلى مجادل يقصد إلزام الخصم فقط . ولا يصير مكابرا يهدف العناد فقط حتى لا يضيع الوقت سدى .

- ٤ -
بين الدرس والخطبة

جرى العرف بين العلماء أن الدرس الدينى هو ما يؤديه الخطباء الوعظيون فى دور العبادة فى صورة شرح آية . أو تفسير حديث . أو عرض موضوع من السيرة النبوية . أو ذكر أقصوصة تاريخية من تراث المسلمين الصالح ، وهناك الدرس المنهجى الذي يرتبط بعلم معين ، ومدرس خاص ونظام معين ، وهناك الدرس الإعلامى وهو حديث الظهور حيث يجلس المذيع مع مجموعة من الناس لعرض موضوع معين ، والسماح لهم بالتعليق والسؤال ، وإيراد ما يرون من آراء وهو أشبه بالمناقشة مع أنه درس في موضوع معين مقصود والدروس عديدة .

والدرس الدينى يختلف عن الدرس المدرسى الذى يسير فيه المدرس على منهج خاص حيث يتتابع الشرح وفق جزئيات المنهج على نحو تربوى خاص . وهناك الدرس فى الوسط المهنى والعسكرى والفنى ... وغيرها ولكل منهجه ومسلكه .

وقد مر الدرس الدينى بتطورات مختلفة . فبعد أن كان دردشة عادية من غير أن ترتبط بموضوع معين ، وبعيدا عن قصد غاية معينة ، مع خلوه من التحليل الدقيق . بعد ذلك أصبح للدرس الدينى نظام معين . حيث يدور مع أيام الأسبوع . ليذكر الداعية فى كل يوم موضوعا خاصا ، من علم خاص .

ومعنى ذلك أن الدروس الدينية في المسجد أصبحت تمثل مدرسة منظمة لها خطة ومنهج . أستاذها هو الداعية المدرس . وطلبتها هم الجماهير الذين يجدون المسجد مفتوحا أمامهم على قدم واحدة . وبلا أدنى تكلفة ، وكل ما يميز الدرس الدينى عن الدرس المدرسى هو الاستطراد ، وعدم وضع حد للحوار والسؤال الذى يكون من المستمعين .

إن الدرس أصعب من الخطبة . لأن الخطبة تنحصر فى موضوع لا تتعداه ، وكافة الأدلة فيها تؤخذ من الوجه المناسب للخطبة . بلا تناول الوجوه الأخرى ، ودائما لا تتعدى الخطبة صورتها التى أعدت بها ، بينما الدرس يتعدى موضوعه بسبب روح الاستطراد الموجودة فى الدرس ، وبسبب أسئلة المستمعين . ومن هنا نجد فيه الدقة وعمق التأمل . والوجوه المتعددة فى النظرة الواحدة ، وقد يلتقى الإمام المدرس بعدد من العلماء يناقشونه فى درسه بنظرات جديدة ، وأفكار متعددة ، وقد يواجه بأفراد يحبون النقد والهدم ، وواجب عليه أن يستعد لذلك بالعلم والقراءة .

إن الخطبة والدرس يخاطبان العقل والروح إلا أن فائدة الدرس أشمل لأن المستمع يتمكن من الاستفسار عن ما يجول بخاطره وبذلك تكون فائدته أعمق ، وأدق ، وأشمل .

ويجب أن يشمل الدرس على التمهيد والافتتاح ، والتسلسل ، والخاتمة . وعليه أن يشتمل على الرقائق والقصص .

وقد سمى القدماء مجلس الدرس بمجالس الوعظ والذكر .

وأخيرا فإن الفرق بين الدرس والخطبة يتلخص من التزام الخطبة لموضوع واحد . والخلو من الاستطراد . واستغلال الدليل للموضوع فقط " وليس كذلك الدرس فى شئ .

❖ ❖ ❖

إن هذه الفنون القولية على تنوعها هى عدة الداعية للوصول للناس ، ولذلك كانت مسئولية إتقان هذه الفنون ، والإحاطة بها وبخاصة بعدما وضع العلماء لها الأصول والقواعد ، واتخذها المعارضون طريقا لهم لإثبات ما يريدون .

الفصل الثانى

الخطـــيب

تمهيــد

الخطيب هو مؤلف الخطبة ومعدها . وموجهها إلى الناس من أجل التأثير والإقناع ، وحمل المستمعين على هدف يعرفه ويقصده . ولذلك كان التآلف ضروريا بين الخطبة والخطيب .

وفى الفصل الأول درسنا ما يتصل بالخطبة ، وفى هذا الفصل سنحاول بإذن الله تعالى دراسة ما يتصل بالخطيب .

والخطيب هو الذى يعالج الحدث بخبرته ، ويعرضه على المستمعين بصورة سهلة مقبولة ، وهو الذى يلون العلم بصورته الإنسانية . وفنيته المؤثرة وأى إصلاح للتطبيق الخطابى يعتمد على قدرة الخطيب الفنية . وتمكنه من قواعد علم الخطابة .

إن كل ما درس . وما سبق أن ذكرناه وصايا نهمس بها فى أذن الخطيب لكى تأخذ الخطبة صورتها المؤثرة . ودورها المدروس .

وحينما ندرس المستمعين من ناحية ما يثيرهم . ويؤثر فيهم . وكيفية تحقيق النفع لهم ، حينما ندرس ذلك فإننا نقدم الدراسة للخطيب من أجل أن يحقق الإصلاح المنشود .

والخطيب الذى نقصده هو الخطيب المثالى الذى جعل الدعوة إلى الله غايته ، وأتخذ الخطابة حرفة وهواية . وآمن بالكلمة طريقا للإصلاح الاجتماعى والدينى . وتيقن الإسلام منهجا لقيادة الجماهير ، وإفادتهم بالتأثير النفسى . والإقناع العقلى السليم .

وهذا الخطيب ليس مستحيل الوجود أمام مظاهر الحياة المعاصرة ، وليس عديم الجدوى أمام تنوع وسائل التوجيه والإعلام ، وليس سطحى الثقافة أمام دقة التخصص العلمى فى العصر الحديث .

إن المظاهر العلمية فى الحياة المعاصرة هى التى تجعلنا نؤمن بضرورة هذا الخطيب ، وسهولة تكوينه . وإمداده بقواعد العلم . وفن التطبيق . ليساهم كعامل له دوره البناء فى صناعة الأجيال .

وتنوع وسائل الأعلام تؤكد لنا جدوى الخطيب الناجح . لأنها جميعا تعرف أهميته فى التأثير .

وأيضا فإن عملية الإعلام ذاتها تحتاج إلى الخطيب فى تقديم البرامج وإلقاء الكلمات ، ومعالجة عديد من القضايا مع الناس .

وتفرع العلوم وتنوعها تدعيم للخطيب لأنه يستغلها جميعا . من أجل معرفة أصول الخطابة ، وفهم المستمعين . وتخير وسائل التأثير والإقناع .

إن العصور القديمة والحديثة تؤكد أهمية الخطيب . وتعرف علو مكانته وترى ضرورة الاهتمام بتكوينه وتربيته .

ونحن نرى أن الخطيب الناجح أمل يجب الوصول إليه فى العصر الحديث من أجل صالح المجتمع . وتبليغ الدعوة الإسلامية . ويجب أن تتعاون كافة الأجهزة المعنية بهذا الواجب . خاصة وأن الممتازين من الخطباء قلة لا تتمكن من القيام بكافة المهام وحدها .

وفى هذا الفصل سنحاول معتمدين على الله أن نرسم أسسا لتكوين الخطيب ونبين أهم الصفات التى تمكنه من النجاح فى مهمته .

والنقاط التى سندرها عن الخطيب هى كما يلى :

١ــ الخطيب بين الفطرة والاكتساب .

٢ــ إعداد الخطيب .

٣ــ الصفات العقلية للخطيب .

٤ــ الصفات الأخلاقية للخطيب .

٥ــ الصفات الصوتية للخطيب .

٦ــ الصفات العملية للخطيب .

وسوف نتناول كل نقطة من النقاط المذكورة بشئ من التفصيل والتحليل فى مبحث خاص بها .

المبحث الأول

الخطيب بين الفطرة والاكتساب

يولد الإنسان ومعه بعض الصفات الموروثة من أبويه . ويكتسب باقى صفاته من بيئته وأقرانه . وقد اصطلح العلماء على تسمية الصفات الموروثة بالصفات الفطرية . وتسمية الصفات الأخرى بالصفات المكتسبة .

والخطيب واحد من الناس يملك سائر الصفات التى تعينه على أن يكون إنسانا إجتماعيا ، والذى يعنينا هنا هو الصفات التى تمكنه من الخطبة الجيدة والتأثير بها فى الناس . وبالبحث فى سير الخطباء وجدنا بعضهم فى العصر القديم يباشر خطبته فطرة بلا تدريب أو استعداد وهؤلاء أصبحوا خطباء بالفطرة .

ولكننا فى الوقت نفسه وجدنا الكثرة من الخطباء أحاطوا بقواعد علم الخطابة . وتعلموا فن المشافهة . وبذلك صاروا خطباء بالاستعداد والتعلم .

إن الخطابة الفطرية لا تتمكن من القيام بدورها وحدها فى هذا العصر . ولابد للخطيب . من ممارسة واستعداد . وفهم وتعلم حتى يستطيع النجاح .

إن من يقول بالفطرة المجردة للخطيب لا يلامس الصواب فى شئ . لأن معنى ذلك إلغاء دور التربية وأثرها فى تكوين الإنسان وتنشئته ، مع أن أثرها لا ينكر أبدا .

وكثيرا ما ترى أشخاصا يملكون موهبة الخطابة ، لكنهم لم يصقلوها بالتعليم والممارسة مما أدى إلى عجزهم عن مباشرة الخطابة ، وبذلك قتلوا موهبتهم ، ولم يستفيدوا بطاقتهم الفطرية .

وأيضا فإن الخطابة عند الخطيب صفات بيانه . وملاحظات نفسية وترتيب عقلى منظم . ومن المعلوم أن الصفات البيانية نتاج طبيعى لتعلم علوم اللغة والأدب والبلاغة وغيرها ، والملاحظات النفسية آثار ضرورية لإجادة

علوم الاجتماع والنفس والإدارة بفروعها المختلفة ،والتنظيم العقلى المرتب أحد الآثار التى يحققها تفهم علوم المنطق والكلام والفلسفة . والخطابة .

وما دامت الصفات الأساسية الموجودة للخطبة أثارا لعلوم مختلفة فإنهـا تكون اكتسابا يتحقق بالدراسة والتعلم .

إن العلوم الحديثة تعتمد فى تعلمها على المنهج النظرى والطريقة العملية والخطيب يمكنه أن يكتسب فنه الخطابى ، وتمكنه في الإلقاء بالدراسة النظرية والتطبيق العملى لهذه العلوم .

وأيضا فإن كثيرا من الخطباء المجيدين بدأوا فى عى وعجز . ولم يصلوا إلى درجة الإجادة إلا بالتعليم والدراسة .

هذا " واصل بن عطاء " أحد شيوخ المعتزلة . وجد نفسه عاجزا عن الخطابة الجيدة بسبب اللثغة التى نشأت معه فى حرف الراء . لما وجد "واصل" نفسه كذلك لم ييأس ولم يترك الخطابة . ولم يبتعد عن الناس . وإنما أخذ يقوم نطقه فلجأ إلى الراء واسقطها من كلامه . حتى استقام لفظه ، وصار من أوائل الخطباء . يقول الجاحظ معلقا على هذه الظاهرة عند "واصل" ، ومبينا غرابة الجهد المذول . " ولولا استفاضة هذا الخبر . وظهور هذا الحال . حتى صار لغرابته مثلا . ولظرافته معلما لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له . ولست أعنى خطبه المحفوظة . ورسائله المخلدة . لأن ذلك يحتمل الصنعة . وإنما عنيت محاجة الخصوم . ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان "[١] . فنجد الجاحظ يشير إلى قدرة التخلص من الراء عند واصل وأنه كمل نفسه بتقويم بيانه وتوجيه لسانه . وتمكن من ذلك بفضل علمه الغزير . وأفقة الواسع .

يشير " بشار بن برد " إلى هذه الظاهرة فى خطب واصل فيقول :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا	**وحبروا خطبا ناهيك من خطـــب**
فقام مرتجلا تغلـــى بداهتـــه	**كمرجل اليقين لما حف باللهــــب**

١- البيان والتبيين جـ١ صـ٢٥

وجانب الراء لم يشعر به أحد   قيل التصفح والإغراق فى الطلـــب[١]

فإذا علمنا أن بشار بقوله هذا يقارنه بـــ " خالد صفوان . وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى . يوم خطبوا عند عبد الله بن عبد العزيز وإلى العراق إذا علمنا ذلك رأينا كيف وصل عطاء إلى إجادة الخطابة بالاكتساب " .

وكان " ديموستين " خطيب أثينا العظيم عييا . ومثار سخرية واستهزاء إذا نطق ، وقرب من اليأس فى أن يكون خطيبا . ولكن أستاذه شجعه على اصلاح عيبه . فعكف على المطالعة . وإصلاح لسانه ، حتى رووا أنه كان يحلق نصف رأسه . ويقيم فى بيته أشهرا . يتمرن على الخطابة والإشارة ، وأنه كان يذهب إلى شاطئ البحر . ويضع فى فمه حصاة . ويخطب على هدير الموج . كأنه جمهور عظيم حتى صلح لسانه[٢] .

وكتاب " الجمهورية " لافلاطون يوضح أن خطباء الاغريق كانوا يتقنون الفن دراسة قبل إلقائه على الجمهور .

و " لنكولن " نفسه مؤسس أمريكا الحديثة كان لا يجيد الخطابة . إلا أنه اكتسبها بعد قليل بالتلقى والمران ... يقول " هرندن " **كان لنكولن يبدو من العسير أن يلائم بين موقفه وبين ما يحيط به ، وقد ناضل بعض الوقت تحت وطأة شعور ظاهر من التردد . والخوف وكان صوته يبدو شبيها بالولولة والصياح . ولكن هذا كله لم يلبث إلا وقتا ثم اختفى بعد ذلك** "[٣] .

وهكذا نجد أن الخطابة تكتسب بالتعلم . والدراسة . والممارسة .

فمثلا يمكن لأولى الأمر أن يتولوا أمر من يريدونهم خطباء من طفولتهم ويربوهم على الثقة بالنفس . وحب الجماعة . وتشابه الأعمال للأقوال والاشتغال بالعلوم والفنون . وتعلم بعض الرياضيات ومقامات الموسيقى، ينفقون

١- معجم الأدباء جـــ٩ صـــ٢٤٤ تكلفوا أى صنعوا بمشقة ، ويراد بهم بعض الخطباء كانوا يخطبون عند عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن العزيز

٢- فن الخطابة صـــ١٨ . أصول الخطابة صـــ٢٠

٣- التأثير فى الجماهير عن طريق الخطابة صـــ١٤

عليهم الأموال . ويوجهونهم إلى الجماهير ليتعودوا على الالتقاء بهم .

إن منهجا يحقق هذا سهل التنفيذ ومؤكد النتيجة . لو وجد له العاملون المخلصون .

إن على الخطيب أن يتمتع بمجموعة من الصفات المتنوعة . وواجب على من وكل إليهم أن يكونوا خطباء أن يؤتوها . إجادة للعمل . وأداء للأمانة . وتكوينا ذاتيا إلى أن يهتم المربون بتخريج الخطباء المجيدين .

وقبل أن نذكر الصفات الواجبة ننصح بما يأتى :

أولا : البدء برغبة قوية :

يجب على من وكل إليه أن يكون خطيبا أن يبدأ عمله برغبة قوية . ونهم شديد لأن الرغبة الهزيلة لا تحقق النجاح أبدا وتأتى بالوهن ، وفقدان الأمل والثقة ، والواجب على الداعية أن يتفهم دراسته المتخصصة . ويقتنع بها ويعمل لها . ويفكر فيما تعنيه بالنسبة له ، ويستشعر المسئولية التي القاها الله عليه .

ليس هناك من هو أكثر شهرة وجاها من خطيب يرضى الناس . ويجذب انتباههم ، وكثيرا ما عشنا ورأينا خطباء يبلغ بهم التأثير الجماهيرى درجة أكبر من تأثير مسئول كبير .

وليس هناك من طريق يرضى الله ، وينفع الناس ، ويفيد سالكه أكثر من الدعوة إلى الله تعالى . يقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١]

يقول فيليب أرمور : " **كنت أفضل أن أكون خطيبا مفوها على أن أكون رأسماليا عظيما** "[٢] .

وما دامت النتائج مفيدة للإنسان فالواجب أن يبدأ الخطيب فى عمله برغبة

١-سورة فصلت آية ٣٣

٢-نفس المصدر صـ١٥

قوية ويبتعد عن التكاسل . ومحاولات الهروب التى يبديها فى بداية الطريق وعليه وهو يعمل في مجال الدعوة الإسلامية أن يخلص في رغبته ، ويعتبرها نوعا من الجهاد لإعلاء كلمة الله ، ويحتسب أجره عند ربه الكريم الذي يملك خزائن السموات والأرض وهو على كل شئ قدير .

ثانيا : الممارسة والارتياض

على من يريد الخطابة أن لا يخجل من نفسه . لأن الحديث لا يقوية إلا حديث يشبهه ، والخطبة لا تجود إلا بتكرارها ، وسبب ذلك أنها أعمال قولية تحتاج إلى فنية التطبيق ، ومنهجية الاستمالة والإقناع .

وهناك أمر مسلم هو أن من يريد أن يتعلم السباحة عليه أن يلقى نفسه فى الماء . فلماذا لا يلجأ إلى الخطابة من يريد أن يتعلمها ويتقنها .

يقول روزقلت : " **إن أى مبتدئ معرض لــ** " **حمى الكلام** " **وهذا معناه حالة هياج عصبى شديد يترتب عليها أن يهجر المبتدئ الخطابة كلية ... وهذه قد تؤثر فى الشخص فى أول موقف خطابى له أمام جمهور المستمعين ومثل هذا الرجل لا تنقصه الشجاعة . ولكن ينقصه ضبط الأعصاب ورباطة الجأش ، يجب عليه بعد التدريب المتوالى التعود على ضبط النفس ، وأن يجعل أعصابة باستمرار خاضعة لسيطرته ، وهذا أمر مرده فى معظم الحالات إلى العادة ، ويعنى أنه جهد معاد . وتدريب متكرر لقوة الإرادة ، فإذا كان لدى الشخص المادة الملائمة . فإن قوته ستتزايد مع كل تدريب** "[١] .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : ورياضة النفس على الخطابة تكون بأمور كثيرة بعضها يتعلق بالفكرة وبعضها يتعلق بالأسلوب . وبعضها يتعلق بالإلقاء لأن الخطابة فكرة وأسلوب وإلقاء محكم ...

ومن الرياضة التى تتعلق بالفكرة أن يعود نفسه ضبط أفكاره . ووزن آرائه . وعقد صلة بينها وبين ما يجرى فى شئون الناس ، وعامة أمورهم .

١- المصدر السابق صـــ٢٠

ومنها أن يكون كثير التأمل فى شئون الحياة . وأن يتعود الاتصال بالناس ليخلط نفوسهم بنفسه لتظهر الفكرة في عقله مرتبة ، مسلسلة .

ومن الرياضة المتعلقة بالأسلوب أن يتحدث بجيد الكلام ويكتبه كثيرا ويقرأ للأدباء وبخاصة للمجيدين منهم . ويحاكى البلغاء فى مرانه الخطابى .

ومن الرياضة المتعلقة بالإلقاء أن يعود نفسه إخراج الحروف من مخارجها . وأن يقرأ كل ما يستحسنه بصوت مرتفع . مصورا بصوته معانى ما يقرأ . وذلك بتغيير النبرات ورفع الصوت وخفضه[١] ... وهكذا .

ويحسن كثيرا أن يستحضر المبتدئ فى الخطابة موضوعه قبل إلقائه بمدة كافية ، فلا يؤجل إلى ظهر يوم الخميس ما سيلقيه يوم الجمعة ، بل عليه أن يستحضر خطبة الجمعة من أول أسبوع لأنه كلما عاش مع خطبته وقتا أطول زاد إلفه بها . وكثرت أفكارها ونضجت ، وعندما يكون الذهن مشغولا بالموضوع التقط عديدا من المعانى . واخترع غيرها ... ويا حبذا لو سجلت سائر الأفكار كلما وردت بلا ترتيب . يقول ديل كارنيجى : " **حافظ على تسجيل جميع الأفكار التى ترد إلى ذهنك وفكر فيها بقوة واستمرار كل الوقت ولا تتعجل هذه العملية . لأنها من العمليات العقلية الهامة التى ستستفيـد من ممارستها . وهى كذلك الوسيلة إلى نمو العقل نموا منتجا حقا** "[٢] .

ثالثا : حب الخطابة والعمل فى مجالها

دلت النتائج العلمية على أن الإنسان فى الحقيقة يبدأ من داخله،وكل أمر لا يرتبط بالباطن الإنسانى فمآله إلى الضياع،من هنا وجب على كل من وضع نفسه ، أو وضعته ظروفه ليكون خطيبا أن يعشق عمله . ويخلص له ليتمكن من النجاح فيه .

لابد من وجود الحافز النفسى على النجاح . وبخاصة فى مجال الخطابة

١- أصول الخطابة صـــ٢١

٢- التأثير فى الجماهير صـــ٣٠

الذى يحتاج إلى القراءة ،ودوام التفكير ، وقوة الملاحظة ، ومواجهة الجماهير بين الحين والحين .

إن الخطيب الكاره لعمله لا يستعد له . وإذا ما واجه الناس خارت قواه لعدم ثقته فى دوره الذى يقوم به .

إن الخطبة رحلة ذات هدف ، ولابد لها من تخطيط يبدأ من نقطة معينة وينتهى عند نقطة أخرى . والخائفون لا يمكنهم التحكم فى أنفسهم فكيف يتحكمون فيما يخططون له .

لابد من حب الخطابة وعشقها . والإخلاص لها .

وكم رأينا أناسا يكلفون بالخطابة وهم لها كارهون ، رأيناهم وقد أساءوا لخطبهم ولأنفسهم ، ولم يحققوا للدعوة إلا الضرر .

تلك أهم الوصايا التى يجب الاهتمام بها لينجح الخطباء فى أدائهم لدورهم .

المبحث الثانى

إعـــداد الخطيـــب

تحتاج عملية الخطابة إلى الفطرة والاكتساب كما ذكرت ، ولابد من تخير صاحب الفطرة كلما أمكن عند إعطائه الخبرة والممارسة .

ويقع المشتغلون فى إعداد الخطباء فى خطإ وهو قبول كل من يتقدم لهم مهما كانت فطرته . ومهما كان استعداده ، والواجب بذل الجهد في اختيار من سيعمل في هذا المجال الحيوى الهام .

ونظرا لتعدد نشاط الخطباء نرى ضرورة اعدادهم على النمط التالى :

١ــ الاختيار المبكر :

يولد الطفل بمجموعة من الصفات الموروثة من والديه ، ويكتسب مجموعة أخرى من بيئته الأسرية ، فإذا ما بدأ دراسته الأولى فى المدرسة أو الكتاب أخذ فى اكتساب المزيد من الصفات عن طريق أقرانه وأساتذته .

وكم كنت أتمنى اختيار طلبة الدعوة والخطابة مع بدء تعليمهم ، لكن صعوبة ذلك يدفعنا إلى اقتراح اختيار هؤلاء الطلاب عند قبولهم فى المرحلة العليا على أن يستفاد من هذه المرحلة بما يدرس فيها كمعرفة أصول اللغة وحفظ بعض القرآن الكريم ، وتربية بعض الملكات الفطرية عند الدارس . وينبغى فى المرحلة الأولى من الدراسة الجامعية أن توضع بطاقة لكل طالب تدون فيها ميوله ، ورغباته ، ومستوى ذكائه ، وقدراته على التحصيل الدراسى ومدى إستجابته لتوجيه أساتذته أمرا ونهيا ، ومدى تأثره بأقرانه وتأثيره فيهم ومدى حبه للخطابة وإقباله على علوم الدعوة ، لأن هذه المعلومات تعتبر مؤشرا على شخصية الطالب واتجاهاته فيما بعد .

ومن الممكن اختيار بعض الطلاب لدراسة علوم الدعوة التخصصية على

أساس إستعدادتهم وميولهم . يقول ابن سينا : " **إذا فرغ الصبى من تعلم القرآن الكريم وحفظ أصول اللغة أنظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فوجهه لطريقه بعد أن يعلم مدبر الصبى أن ليس كل صناعة يرومها الصبى ممكنه له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه** "[١] .

وتلك ملاحظة هامة لأن وضع الإنسان فى موضع يتفق مع ميوله واستعداداته أول شروط النجاح ولنقتد فى ذلك برسول الله ﷺ فهو الذى اختار أبا بكر وعمر رضى الله عنهما للشورى ، وأختار عليا ومعاذا للحكم والقضاء ، وهكذا كان اختياره ﷺ لسائر الصحابة الذين وكل إليهم أعمالا معينة . وما تم ذلك ألا وفق استعداد كل منهم ليقوم بما يعهد إليه من مهام .

ومن الممكن أيضا عقد لقاءات شخصية للطلاب لاختيار قدرتهم واستعدادهم لهذا النوع من الدراسة لأن الاستعداد الشخصى أساس للتفوق العلمى ، ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من يعلمون حتى لا يضعوا البذرة فى أرض سبخة ، من ذلك ما حدث من الخليل بن أحمد عالم العربية حينما أتاه النظام بولده إبراهيم وقال له : علم لى ولدى هذا .

فقد اختبره أولا ، وقال له : صف هذا الكأس . وأشار إلى كأس فى يده.

فقال الغلام : بمدح أم بذم .

قال : بمدح

فقال الغلام : تريك القذى ، ولا تقبل الأذى . ولا تستر ما وراء .

قال : فذمها

فقال الغلام : يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر .

ومن ذلك أيضا أن الحافظ العراقى لما ذهب إلى شيح ابن البابا ليتلقى عنه الحديث اختبره أولا حيث قال له : من ابن البيع ؟

قال الحافظ : الحاكم أبو عبيد الله النيسابورى .

١- التربية عند علماء المسلمين صـــ١٧ " المقدمة "

فقال له : من أبو محمد الهلالى ؟

قال : سفيان بن عيينة .

قال له: هلم يا بنى .وعرف مكانته من الوعى والإدراك،وإستعداده للتعلم وعلمه .

إن مثل هذا الاختبار يتم اليوم فى عدد من الدراسات المتخصصة التى تبدأ من وقت مبكر كدور المعلمين والمعلمات . ومعاهد الخدمة الاجتماعية . والمدارس العسكرية المتنوعة ، وذلك كله لينجح الطالب بعد تخرجه فيما يوكل إليه من أعمال .

وقد أدرك قدر هذا الاختبار المبكر مع الاختيار أصحاب المذاهب الوضعية ورجال الأديان الأخرى فعملوا به وأخذوا يعدون لباطلهم دعاة فيهم الذكاء والنشاط والإخلاص . وغير ذلك من الصفات التى تنتشر بها الأفكار والعقائد .

وإعداد الدعاة إلى الإسلام يجب أن يندرج فى هذا الخط الطبيعى ، حيث يختارون فى سن مبكرة ، وتختبر مستوياتهم الذهنية وقدراتهم الشخصية ليسهل إعدادهم ، ويكونوا بعد تخرجهم على مستوى أهمية الدعوة وأهمية العمل لها .

وعلى القائمين بالاختيار أن يركزوا على الجانب الفطرى لدى الطالب ومعرفة مدى استعداده للخطابة والمواجهة ، وسرعة بديهته في الرد والإجابة .

٢ـ مدارس الدعاة :

مع أن الاختيار المبكر لطلاب الدعوة منذ طفولتهم أمر شاق لغلبة المادية على النفوس ، واتجاه غالبية الناس إلى زخرف الدنيا ، ومظاهرها ... مع ذلك فإنا نأمل في فئة قليلة من الناس أن توجه بنيها لدراسة للدعوة أداء للواجب ، وحبا لدينهم ، وإلى هؤلاء وأمثالهم يكون حديثنا عن الاختيار المبكر لدراسة علوم الدعوة .

وبعد إنتهاء المرحلة الأولى يلتحق الطلاب بالمرحلة المتوسطة ، وأقترح هنا إنشاء مدارس متوسطة وثانوية للدعوة والخطـــابة بجـــانب الكليـــات

الجامعية حيث يتلقى بها الطلاب الذين وقع عليهم الاختيار دراساتهم المتوسطة والثانوية.

ومن المتصور أن الطالب فى المرحلة الأولى أجاد القراءة والكتابة وحفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم . وعرف مبادئ عدد من العلوم كالحساب والهندسة . وبعد ذلك يلتحق طالب الدعوة بمدارس الدعوة المتوسطة لنعده مع المراحل بعدها للدعوة وفق خطة تتطور بتطور عمره وعلمه ، ومناهج هذه المدارس بالضرورة تشتمل على دراسات للإعداد العام ، وأخرى للإعداد الشامل ، وثالثة للإعداد التخصصى . ويقوم المشرفون بوضع المناهج والمقررات المطلوبة .

وينبغى أن يقوم نظام هذه المدارس على أساس الرعاية الكاملة طوال اليوم بحيث يعيش الدارسون بين أساتذتهم وقت الدراسة ، ويقضون أوقات راحتهم وتريضهم مع الموجهين والمشرفين ، وبذلك يعيش الطلبة بين الأستاذ والموجه مما يجعلهم يسيرون تلقائيا نحو التربية المقصودة والهدف المنشود .

إن النظام الداخلى خلال الدراسة فى هذه المدارس هو أحسن ما يحتاجه الدارسون وبخاصة فى المجتمعات الحديثة التى كثرت فيها المؤثرات . وتعددت معها الأهداف والغايات ، مما جعل الأفراد بسببها فى تناقض ذاتى . واضطراب فكرى .

ولو كانت المجتمعات الإسلامية تسلك المنهج الأمثل فى كافة أنشطتها لقلنا إن أنشطة المجتمع تكمل دور مدارس الدعوة وتساهم بجزء هام فى تكوين الشخصية الإسلامية ، تماما كما كان المجتمع الإسلامى فى عصر رسول الله ﷺ حيث كان الصحابة يسمعون الإسلام من رسول الله ، ويرون تطبيقاته فى مختلف الأنظمة والأنشطة مما جعلهم خير أفراد كونوا خير أمة أخرجت للناس بإيمانها ، وأعمالها ، وتمسكها بالمعروف ، وبعدها عن المنكر .

إننا نتمنى للمسلمين أن يعاودوا سيرتهم الأولى ،وحتى يتحقق ذلك نقترح لمدارس الدعاة أن تقوم على الأساس الذى أشرنا إليه من أجل تكامل الداعيـــة ،

وإعداده سويا خاليا من التضارب والسلبية .

إن التفرغ الكامل للدارسين يسهل أمام المسئولين تكوين الدعاة بالصورة المرجوة فى الدين والعلم والخلق ، وليس التفرغ للدراسة بالأمر الصعب على من يختار للدراسة ، لأن نوعيات عديدة من المدارس والمعاهد فى جميع أنحاء العالم أخذت بنظام التفرغ خلال الدراسة فى مقابل تحقيق بعض المزايا المادية والمعنوية للدارسين ، وكان الإقبال عليها شديدا ، ودلت نتائجها على تحقيقها لأغلب الأهداف التى وضعت البرامج من أجل الوصول إليها .

ويجب أن تشمل مدارس الدعاة على مزايا عديدة يجدها الدارسون خلال الدراسة وبعدها ، وذلك لاختيار أفضل العناصر للقيام بالدعوة ، وإعدادهم الإعداد المطلوب ، ومن المعلوم أن صناعة الدعوة تعنى صناعة الأمة ، فإذا ما أحسن المسلمون إعداد الدعاة وتربيتهم فقد أدوا بعض ما وجب عليهم ، ونفعوا فى نفس الوقت أنفسهم وأمتهم بنشر العدل . وتحقيق الأمن . ومحاربة الغي والفساد بواسطة من أعدوا من الدعاة .

إن مناهج ومقررات مدارس الدعاة يجب أن تتجه جميعا إلى بناء شخصية الدعاة بصورة متكاملة ، وقد ضرب رسول الله ﷺ من نفسه نموذجا لهذه الشخصية لتكون ماثلة أمام المسلمين فى مختلف العصور ينشئون أجيالهم على نمطها ، ويتخذونها المثال لحياتهم ومعاشهم ، ولا غرو فى ذلك فرسول الله ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق بالهدى ودين الحق ، وليوجه الإنسانية إلى ما يصلح شأنها ويعلى قدرها .

إن الدعوة إلى الإسلام تحتاج فى كل وقت إلى التكامل فى شخصية الدعاة ، ومن هنا ندرك حرص الرسول على تربية الشخصية والاعتداد بالنفس عند أصحابه رضوان الله عليهم حتى أصبح كل منهم أمة فى نفسه ، لا يعرف غير الحق ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، وصدق رسول الله ﷺ فى قوله عنهم

" أصحابى كالنجوم ، بأيهم إقتديتم إهتديتم "[١] رضوان الله عليهم فلقد انتصر الإسلام بهم .

وتكامل شخصية الداعية يتم بتمكنه من الصفات الواجبة له وهى إيمان متين ، وخلق قويم ، وعلم دقيق ، وأفق واسع .

ويجب أن تقدم مدارس الدعوة لطلبتها الدراسة التى تساعد على هذا التكامل وفق خطة مقررة يضعها الاشراف المتخصص على إعداد الدعاة .

٣ــ كليات الدعوة :

تعتبر الدراسة فى كليات الدعوة إمتدادا للدراسة فى المدارس المتوسطة والثانوية من حيث الهدف والغاية مع تميزها بالعمق والتحليل والمقارنة وإجراء البحوث الميدانية والعلمية .

وعلى المسئولين المشرفين أن يحددوا المقررات والمناهج المطلوبة لمدارس وكليات الدعوة . من أجل تحقيق التكامل بين الدراسات المقررة ، وفى نفس الوقت على المشرفين ملاحظة أن المرحلة الثانوية تكون نهاية الدراسة لعدد من الطلاب مما يحتم اعتبار الدارس المتخرج من هذه المرحلة معدا على مستوى معين ، ويمكن الاستعانة بهؤلاء كدعاة فى القرى الصغيرة والمجتمعات البسيطة ، كما يمكن جعلهم مساعدين للدعاة فى المجتمعات الواسعة .

ويجب عدم تكليف من يقل مستواه عن الدراسة الثانوية فى علوم الدعوة بأى عمل فى مجال الدعوة ، وكما جاز اقتصار بعض الطلاب على الدراسة الثانوية فإنه يجوز أن يستمر بعض الطلاب فى الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه فى علوم الدعوة . وعلى كليات الدعوة أن تهتم وتخطط لذلك .

وبعد ما يتخرج الدعاة يكلفون بما أعدوا له وينضمون إلى ما سبقهم من الدعاة ، وبذا لا تنقطع الصلة بهم بعد عملهم حيث يستمر معهم الإشراف والعون

١- سنن الترمذى

والمساعدة .

٤ــ دراسة اللغات الأجنبية :

تعتبر دراسة اللغات الأجنبية من أهم الدراسة اللازمة للدعاة فى العصر الحديث لأن أغلب من توجه إليهم الدعوة من غير العرب ، كما أن العديد من المؤلفات التى تتعلق بالإسلام إيجابا أو سلبا كتبت بغير اللغة العربية ، وحتى يمكن قراءة كل ما يقال عن الإسلام . ومن أجل تبليغ الإسلام لجميع الناس يجب إحاطة الدعاة بصورة تامة بلغات من سيد عونهم ، وهذا واجب بدهى لأن مصادر الإسلام نزلت بلغة عربية ، وحفظها الله للناس كما أنزلها على رسوله محمد ﷺ وألزم المؤمنين تبليغ الإسلام على وجه بين واضح ، ولا يتم ذلك إلا باتحاد اللغة بين الداعية والمدعوين أيا كانت هذه اللغة ، ولهذا المعنى أرسل الله رسله السابقين إلى أقوامهم بلسانهم حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ [١]﴾ ، وبسبب كون القرآن نزل أولا فى العرب كان نزوله بلغتهم لأنه لو كان بغير لغة العرب لما فهموه ولطلبوا نزوله بلسانهم ليفقهوه لكن الله تعالى بحكمته أنزله عربيا وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ [٢]﴾ . ولعل فى قوله تعالى ﴿ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ ﴾ إنكار للإختلاف اللغوى بين الداعية والمدعوين إذ لا يصح أن يكون الكلام أعجميا والمخاطب به عربيا ، لأن ذلك لو حدث لاحتاج المخاطبون إلى

١- سورة إبراهيم آية ٤

٢- سورة فصلت ٤٤

التفصيل والبيان .

وتحقيقا لعالمية الإسلام مكن الله العرب من اتقان لغات العالم كله . ويجب على الدعاة أن يتمكنوا من ذلك دائما ، وقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين والدعاة إلى هذا الواجب بما فعله مع الصحابى زيد بن ثابت رضي الله عنه حيث قال له:
يا زيد أتحسن السريانية ؟ إنها تأتينى كتب بها .

قال زيد : **لا .**

قال ﷺ : **تعلمها .**

يقول زيد : **فتعلمتها فى سبعة عشر يوما**[١] .

وهكذا وضح الرسول للمسلمين طريق مخاطبة الناس وتوجيههم إلى الله تعالى . ونظرا لكثرة اللغات العالمية فإنه يمكن تقسيم الطلاب إلى مجموعات تختص كل مجموعة بدراسة لغة أو لغتين وبذلك يمكن تخصيص كل مجموعة لدعوة إقليم من أقاليم العالم .

وينبغى تعريف كل جماعة بالأقليم الذى ينطق لغة دراستهم من ناحية عاداته ، وتقاليده ، والأديان والمذاهب المنتشرة فيه ، وبغير ذلك ليكون الدعاة على بينة تامة ممن سيدعونهم[٢] .

١- الفتح الربانى ـــ كتاب العلم . باب فضل العلوم والعلماء .

٢- لقد تقدمت بخطة كاملة لإعداد الدعاة أقرها موتمر توجيه الدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة عام ١٩٧٦ م

المبحث الثالث

الصفات العقلية للخطيب

الخطيب يعرض عقله على الناس كلما التقى بهم ، لأنه يخاطبهم بما وصل إليه من كافة الأدلة والعناصر المرتبطة بالموضوع .

وقديما قيل لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين . قال : وكيف لا يعجل على . وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين .

ونظرا لأن المستمع يتأمل فيما يسمع ، ويحكم بدقة صاحبه وسعه أفقه ، وفطنته ، وتمكنه من خطابه ، وقدرته على الجذب والاستمالة ... نظرا لذلك صار لازما أن يتميز الخطيب بعدد من الصفات العقلية التي منها :

ـ ١ ـ
عمق النظرة

صاحب العقل يعيش الحياة فاهما لها ، متأملا منها ، يأخذ الدروس ، ويستنتج العبر ، ولذلك نراه دائما ينظر ويحلل ويستفيد وهو ليس سطحيا في نظرته ولا بسيطا في أحلامه وتوقعاته وإنما هو شخص يضم إلى هدوئه دقة الفكر ، وعمق التركيز ، يستنتج مما ينزل أكثر مما يعرفه غيره ، ولذلك نجده محيطا بأحوال الناس ، عليما بحاجاتهم ، ولديه إمكانية معونتهم ، وحل مشاكلهم وإذا أراد أن يتحدث إليهم لمس أوتار الحركة ، وعوامل التأثير فيهم ، وهو بواسطة عقله وذكائه يختار موضوعه ويجمع أدلته ، ويصبه في آذان الناس بصورة بليغة فصيحة ، لتحقيق ما يريد منهم .

- ٢ -

سعة المعارف

لا يستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم فى كافة العلوم . وسائر أنواع المعارف حتى يمكنه أن يتعادل مع دوره الهام . حيث له الصدارة . ومنه الفتوى والمناصحة والتوجيه .

إن الخطيب لا يمكنه القيام بدوره هذا إلا بعد جهد طويل ، وبذل متواصل فى التحليل العلمى . والبحث الموضوعى .

واعلم أن العلم فى حد ذاته ضرورى . يقول الإمام الغزالى: " **إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا فى نفسه فيكون مطلوبا لذاته.ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها.وذريعة إلى القرب من الله تعالى.ولا يتوصل إليه إلا به**"[١].

يقول النبى ﷺ : " **تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية . وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح . والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه . وبذله لأهله قربة . لأنه معالم الحلال والحرام . ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنس فى الوحشة والصاحب فى العزبة . والمحدث فى الخلوة . والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداد . والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم . ويقضى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم** "[٢] .

وعلى المربين أن يوجهوا طلبتهم إلى التزود العلمى . ولا يصيخوا سمعهم لبعض المعوقين الذين يركنون إلى الدعة والكسل .

ويمكن للمربين أن ينشئوا تلاميذهم على التعليم الاجتماعى بالرحلة . وهذه الطريقة هى أحدث الطرق فى التنشئة والتكوين .

ويقول صاحب كتاب " الكرازة المثلى " : **إن المسيح كان يهتم دائما**

١- الإحياء جـ١ صـ١٢

٢- رواه ابن عبد البر عن معاذ بن جبل . جامع بيان العلم وفضله جـ١ صـ٦٥

بمتابعة رحلات تلاميذه . وبهذا الإحساس يمكننا أن نقول إن أحاديثه كانت تدور حول إعطاء التوجيهات . وتحديد الأماكن التى يذهبون إليها ، وكل أسئلته وتوصياته وإنذاراته ونصائحه كان الغرض منها أن يعطيهم ما يحتاجون إلى معرفته لكى يتمموا عملهم وهو الكرازة[١] .

ومن أهم المعارف التى يجب أن يهتم الخطيب المسلم بها ما يلى :

أ ــ القرآن الكريم :

الخطيب الإسلامى الناجح هو الذى يهتم بالقرآن الكريم حفظا وفهما . ويقتبس منه فى خطبه وكلماته . ويورده مؤثرا به فى المستعمين .

ويعتبر القرآن الكريم مقياس الإجادة عند الخطيب . ذلك أنه كتاب لا يكتفى بإيراد الحقائق عن الموضوع المعنى به فقط ، وإنما يوردها بصورة تلائم عقول المستمعين وأرواحهم . وتهتم بالشكل والمضمون . ولذا نجدها فى لفظ بهيج ومعنى مرتب دقيق .

ومن هنا يكتسب الخطيب من القرآن أسلوبا رائعا . وأفكارا مؤثرة . وتسلسلا دقيقا ، والتزاما للموضوع الواحد بلا خروج عنه . ومراعاة لأحوال المستمعين واتجاهاتهم ومناسباتهم ، كما أن القرآن يقدم للخطيب فن التبشير والإنذار الذى هو هام فى التأثير .

ولئن ذكر بعض الفقهاء . أن بعض آيات القرآن الكريم تكون خطبة كاملة للجمعة لما فيها من نصائح وذكر ، وقد صح أن النبى ﷺ اكتفى في بعض خطبة بقراءة سورة (ق) ، ومع ذلك فإننا نطلب من الخطيب أن يضمن خطبته بعضا من القرآن الكريم . ليحقق شروط سائر الفقهاء . وليتمكن من الإفادة والإقناع .

وهنا أمر ذوبال نلفت النظر إليه . وهو وجوب مراعاة الحفــظ الدقيــق

١- الكرازة المثلى صــ٨٢ ، ومعنى الكرازة الدعوة والتبشير ، ومع تحفظنا على مدلول النص إلا أنه يشير إلى أهمية التعلم بالعمل والسلوك .

للآيات التى يوردها الخطيب فى خطبته ليكون حجة موثوقا به عند المستمعين .

ليس من العيب أن يبذل كثيرا من الوقت فى الحفظ . لكى العيب كله أن يخطئ فى الآيات حين يقرؤها أمام الجمهور . لأن هذا الخطأ يدفع الجمهور إلى اللامبالاة ، ويجعلهم يشعرون بالملل والضيق . ويكثرون من النقد والتعلق.

فعلى الخطباء جميعا أن يهتموا بالمصادر المقدسة . ويا حبذا لو أحاط الواعظ المسلم بسائر الكتب المنزلة وغيرها ليفهم ما عند الناس . ويخدم دينه بهذا الفهم .

ب ــ السنة النبوية :

السنة النبوية هى كل ما أوثر عن النبى ﷺ من وقول أو فعل أو تقرير أو صفة أو حال . وهى تتضمن عديدا من أنواع البيان . حيث أتت موافقة لنص الكتاب . أو موضحة لمجمل النص . أو أتت بزيادة عليه . أو نسخته ، وهى بذلك تؤكد ضرورتها وأنه لا يمكن الاستغناء عنها لخطيب يعمل فى خدمة الدعوة . لأن القرآن يحتاج لبيانها أكثر من احتياجها هى للقرآن الكريم .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : " **إن السنة قاضية على الكتاب أى أن السنة تفسر الكتاب وتبينه** "[١] .

ومع دور السنة فى البيان فإننا نجدها قمة فى البلاغة العربية .قد خلت من كل شذوذ حيث الألفاظ متناسقه . والمعانى محكمة واضحة . وذلك لأن النبى ﷺ بعث بجوامع الكلم .

إن السنة النبوية[٢] تتمتع بمجموعة من الخصائص التى تفيد الخطيب . حيث تهتم بالموضوعات الواقعية التى تلامس حياة الناس . ولا شأن لها بالنظريات الخيالية أبدا ، وأيضا فإنها تشتمل على أساليب الترغيــب والترهيب

١- جامع بيان العلم جــ٢ صــ٩٥

٢- أفتى ابن حجر بتعزير من ينقل حديثا من كتاب فى الخطبة . وهو لا يعرف راوية إهمالا منه ، أو بسبب ترك الكتاب ذكر الراوى . حاشية الأجهورى صــ١١٦

الذى هو فن عظيم النتائج قوى الأثر بين الناس .

ولست أقصد أن يرتبط الخطيب بما يحفظه من قرآن وسنة . بل أزيد الخطيب وأقول له : " إذا حفظ الخطيب القرآن الكريم وأكثر من حفظ الآثار النبوية . ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على المعانى . عرف حينئذ كيف يجيد . وهنا يستفيد بما ينشئه من ذات نفسه ، ويستعين بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية ، وأصحاب الاجتهاد لا يستغنون عن هذا الحفظ أبدا "[١] .

ج ــ الملل والنحل :

معرفة الملل والنحل هام للخطيب حتى يتمكن من المقارنة فى موضوعه ليثبت الحق فيه . ويدفع الشبه التى تثار ضده .

ومع اشتمال القرآن والسنة على كثير من الملل والنحل بشكل مجمل أو مفصل إلا أننا نرى وجوب متابعة الخطيب للأبحاث الكثيرة التى تصدر تباعا فى هذا الموضوع .

فى كثيرا من العادات تتأصل فى الناس بسبب بعد الزمن . وتتحول إلى نحلة يعتنقها أصحابها على أنها مذهبهم ودينهم ، والدعاة مسئولون عن معرفة ما هو ملة أو نحلة ليتمكنوا من المواجهة الصحيحة ، والتحليل الدقيق .

د ــ علوم اللغة :

وهذه العلوم كثيرة وعديدة ، بعضها يتعلق بالتراكيب اللفظية ، وبعضها يتعلق بطرق تحسينها . والتعبير عنها بصور مختلفة وبعضها بإعرابها وضبطها ، والداعية يحتاج إليها جميعا في الخطابة وفى غيرها .

إن مداومة الاطلاع فى علوم اللغة بمختلف فنونها يعطى للخطيب طاقة لفظية لا حدود لها ، وتمكنه من تشكيل معانيه فى صورة بهية جميلة .

ويجب أن يكون واضحا أن الاهتمام بهذه العلوم يفيد الخطبة من حيث سهولة اللفظ ، ويسر المعنى ، والقرب النفسى من المستمع .

١- المثل السائر صـــ٣١

هـ ـ العلوم الإنسانية :

صد بالعلوم الإنسانية كافة العلوم التى تدور حول الإنسان تحلل وتقد النظريان التى تخدم الإنسان بعد ذلك .

ومن العلوم الإنسانية علم التاريخ . وعلم الاجتماع . وعلم النفس . وعلم المنطق . وعلم الجمال . ونظريات هذه العلوم ضرورة للخطيب لكى يلاحظها حين يضع علاجا خطابيا للمستمعين .

إن الخطيب المسلم بصورة خاصة صاحب رسالة تحتاج منه الاخلاص الدقيق . والاصرار الواعى على النجاح . والشمول الواسع للمعارف والفنون .

ومن هنا فواجب أن يكون للخطيب مكتبة ثقافية يحرص على اقتنائها ، وعليه أن يعيش بين الكتب . ولا يكتفى بنشرة مختصرة ، أو بأدلة محددة ، ولا يساعده على ذلك إلا مكتبة بها مؤلفات فى المعارف التى أشرنا إليها مع استعداد فى الخطيب ليقرأ . ويستوعب . ويفهم . ويستفيد .

ما الذى يمنع استفادة الخطيب من الفن التمثيلى . والإلقاء المسرحى . والتوزيع الصوتى . وكل تلك وسائل مفيدة ومؤثرة ؟! وعليه أن يستفيد بها وبغيرها في إطار الضوابط الشرعية .

ولماذا لا يهتم الخطيب بسائر الأفكار . وبكل العلوم الإنسانية . وهى ضرورية لذاته ورسالته ؟!

أو ليس واجبا على الخطيب أن يحفظ كتاب دعوته . والسنة المبينة للكتاب ، وهما معا يوضحان الدين . ويمدانه بوسائل التأثير والاقناع ؟!

إننا فى عالم لا مكان فيه لغير العلم . وعلى الخطيب أن يلحظ ذلك . ويعمل له . لينجح فى دعوته ويربطها ــ كحقيقتها ــ بالحياة .

- ٣ -

قــوة الذاكــرة

يحتاج الخطيب إلى حسن الذاكرة . ليتمكن من أداء رسالته . ذلك لأن الذاكرة الضعيفة تنسى كثيرا من المعارف . وتضر كثيرامن العبقريات .

إن المرء قد يكون مثقفا . غزير المادة . واسع الاطلاع .ومع ذلك إذا صادفه موقف حساس إرتج عقله . وخانته ذاكرته . وقديما قالوا : " **إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه** " .

ذهب غلام مع وفد قومه لتهنئة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.ولما وقفوا بين يدى الخليفة اشرأب الغلام للكلام ... فقال عمر رضي الله عنه : **يا غلام . ليتكلم من هو أسن منك .**

فقال الغلام : **يا أمير المؤمنين . إنما المرء بأصغريه . قلبه ولسانه . فإذا منح الله عبده لسانا لافظا . وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار . ولو أن الأمور بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك .**

فقال عمر : **صدقت**[١] .

والقلب الحافظ لا يكون إلا من ذاكرة حسنة . وبديهة حاضرة .

وقد درس علماء النفس ظاهرة ضعف الذاكرة فوجدوها ضارة بالإنسان وخاصة الإنسان العادى .

يقول " كارل سيشور " : " **إن الرجل العادى لا يستخدم أكثر من عشرة فى المائة من قدرته الموروثة فى الاستذكار . ويضيع منه تسعون فى المائة بإهماله قوانين التذكر الطبيعية**[٢] " .

وقبل أن نقدم قواعد علم النفس فى تحسين الذاكرة كما بينه العلماء نبين أن العلم ابتداء هبة إلهية يعطيها الله للمتقين من عباده كما يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ

١- الشخصية صـ٢٢

٢- التأثير فى الجماهير صـ٦١

ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ¹ ﴾

ويقول الإمام الشافعى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يعطى العاصى

وأهل التقوى يقولون بالإلهام الاشراقى . ويذكرون أن أهل الله يكون الله معهم دائما عونا ونصيرا مستدلين بقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝ ² ﴾ .

ومع أن الأمر هبة إلهية فإننا نطالب بالأخذ بالأسباب ومطرد العادة ليتحقق العطاء الإلهى للصالحين .

هذا وقد درس العلماء طرق تحسين الذاكرة . وحصروها فى ثلاثة هى:

الطريقة الأولى " التركيز "

التركيز عملية عقلية تساعد صاحبها على الإلمام بالموضوع واستحضار كافة المعلومات التي تتصل به ، ومن الناس من تشغله الحياة ، وتنسيه همومها كثيرا مما يحتاج إليه ، وهؤلاء يحتاجون إلى إتباع الوسائل التي تساعد على التركيز والتذكر .

ويجب على من يريد تحسين ذاكرته أن يحدد المطلوب عند قراءته . حتى لا يتفلت منه ويضيع . ويكون التركيز باستحضار المعنى عند قراءة الكلمات . وترتيب الأفكار حسب ورودها فى الألفاظ . ويا حبذ لو ارتبطت هذه الأفكار بصورة حية فى النفس،إن التشبيه أسلوب مبين لأنه يربط المشبه بما هو معروف وحى ،ولذلك كان ارتباط الأفكار بصورة حسية مؤديا لتحسين الذاكرة .

١- سورة البقرة آية ٢٨٢

٢- سورة الطلاق من الآية ٢ : ٣

ويكون التركيز أيضا بالقراءة بصوت مرتفع حيث تشترك حينئذ حاستان فى التقاط المعنى .

إن اللسان والأذن فى هذه الحالة يمدان العقل بالمعانى . وهذا يؤدى إلى تحسين الذاكرة .

ويأتى التركيز كذلك ، بكتابة المقروء وبخاصة ما يحتاج إليه .

إن العقول تعتمد على رؤية المكتوب أكبر من إدراكها المسموع خمسا وعشرين مرة ، ومن الإمكان أن تنسى اسم الشخص فى وقت تحافظ فيه على تذكر صورته .

ويمكن أن يسجل الخطيب أو القارئ ما يقرؤه فى جمل قصيرة .

يقول "مارك توين" : كنت ألقى محاضرة كل ليلة . وكان لابد لى أن أستعين بمذكرات تملأ صفحة كاملة حتى لا يختلط على الأمر . وكانت هذه المذكرات عبارة عن بدايات الجمل .

الطقس فى ذلك الأقليم ...

جرت العادة فى ذلك الوقت ...

ولكن لم يسمع أحد فى كاليفورينا أن ...

جمل من هذا الطراز يتكون منها ملخص الموضوع يقى صاحبه من الحصر والارتجاج[1] ويمكن صياغة هذه الطريقة بتسجيل العناصر الرئيسية ، وكتابة رءوس المسائل ، لأن الخطيب حين يراها يتذكر ما وراءها .

ويأتى التركيز أيضا بإبعاد كافة المعوقات الحسية وقت القراءة لأنها تصرف بعض الفكر إليها . ولذلك نجد البعض لا يفهم جيدا إلا فى مكان بعيد عن الناس .

ولسنا نقصد من هذه الصور الكثيرة سوى تنويعها أمام الأشخاص لأن من الناس من يركز بصورة أو بأخرى أو بغير ذلك كله .

١- التأثير فى الجماهير صـــ٦٥

إن دقائق بسيطة من التركيز العقلى النشيط تأتى بنتائج أعظم من التفكير الذاهل الموزع لمدة أيام عديدة .

الطريقة الثانية " التكرار "

هذا هو القانون الطبيعى الثانى لقوة الذاكرة . وهو قانون مضمون النتيجة لأنه الذى يمكن الكثيرين من حفظ النصوص الطويلة . والمسلمون لا يحفظون القرآن إلا بالتكرار .

ويجب أن لا يكون التكرار آليا . بل يجب أن يكون ذاكيا . بمعنى أن يستمر التكرار مدة طويلة على فترات منقطعة . لأن العقل الباطن يكون مشغولا بين فترتى التكرار بتكوين ترابطات أكثر ضمانا ، ولأن العقل حينما يقوم بعمله على فترات لا يرهقه التعب المتواصل .

وهناك كشف مفيد جدا يتصل بقوة الذاكرة وهو وجوب النظر فى الموضوع قبل إلقائه . لأن العقل ينسى فى الثمانى ساعات الأولى أكثر مما ينسى فى خلال ثلاثين يوما بعد ذلك .

الطريقة الثالثة " الترابط "

يستطيع الخطيب أن يتذكر نقاط موضوعه ويربطها بشئ موجود فى العقل . أو يربط بعضها ببعض في تسلسل وتتابع كان تكون العناصر بعدد أيام الأسبوع ، أو بعدد أصابع اليد الواحدة ، أو بأى شئ مادى ملموس ، حتى إذا بدأ في النقطة الأولى تتابعت أمامه باقى النقاط .

وأذكر أن بعض الخطباء في أول أمره كان يربط عناصر خطبته بعدد أدوار البيت الذي يسكن فيه ، ويسمى كل عنصر بدور ... وهذا يسهل عليه إيرادها وقت الإلقاء .

وهكذا يجب على الخطيب أن يحسن ذاكرته ليتمكن من النجاح فى مهمته .

المبحث الرابع

الصفات الأخلاقية للخطيب

يحتاج الخطيب إلى مجموعة من الصفات الأخلاقية من أجل القدرة على النجاح ، لأن هذه الصفات تعطيه الثقة فى نفسه ، وتجعل المستمعين يقبلون على كل ما يقوله بنفس متفتحة ، ورغبة أكيدة . ومحبة تتعلق بالقول والقائل ، وبالبحث فى أهم الصفات الواجبة نرى أنها تنحصر فيما يأتى :

أ – الثقة بالنفس :

كثير من الناس حينما يكلفون بالخطابة يشعرون بأنهم حملوا أمرا فوق طاقتهم ، ويضمون إلى هذا الإحساس عجزا واضحا حين إلقاء الخطبة . حيث يصابون بالاختلال العصبى . فيحمر لونهم ، ويبلهم العرق ، ويصيبهم فزع شديد ، يقول خطيب عاش هذه الحالة : " **إن أول مرة حاولت فيها إلقاء حديث عام كنت فى حالة من الشقاء . وليس هذا مجرد تشبيه .ولكنه الحق بعينه فقد تيبس لسانى فى سقف حلقى . فلم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة** "[١] .

إن حالة الخوف هذه يجب مطاردتها بحب الخطبة نفسها ، لأن الحب الكامل لها يدفع الخوف كله . ويؤدى إلى ثقة الخطيب فى نفسه ، وهذا الحب لا يتم إلا بعد إعداد جيد قبل الإلقاء . لأن الإعداد تسعة أمثال الإلقاء فى صنع الثقة ، ومما يدفع إلى تحقيق الثقة المطلوبة إيمان الخطيب بدعوته لأنه يخطب حينئذ فى أمر يهمه شخصيا ، وحينئذ يسمع جمهوره له . يقول عامر بن عبد القيس : " **الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب** "[٢] .

١- التأثير فى الجماهير صـــ١٢

٢- البيان والتبين جـــ١ صـــ٨٣

ب ـــ المشاركة الوجدانية :

وهى صفة هامة للخطيب تجعله يعيش حياة الناس ليشعر بشعورهم وينفعل مع آرائهم وحياتهم ويتداخل فى تقاليدهم وكافة شئونهم . بصدق وفهم . وتحليل ، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلا عاما بمعنى تواجدها تلقائيا مع الجميع بلا تفرقة بين غنى وفقير أو رئيس ومرؤس . أو رفيع أو وضيع لكى يصل إلى الجميع .

إن المشاركة تضفى إحساسا عمليا له قوته فى الوصل والتأثير ، ومن المعروف أن المشاركة الوجدانية هى الرباط الحريرى الذى يصل القلب بالقلب ويربط العقل بالعقل ، وبالجسم ، وبالروح[١] ، وهى التى تنشئ كل التصرفات والسلوك ، وتأثيرها فى الحياة الاجتماعية مؤكد بسبب خلوها من الزيف والتصنع ، لأنها تظهر مع أول مقتض ، ولكل أمر . ولا تحتاج إلى عناء كبير لكى تعرف وتدرك لملازمتها القول والسلوك والعمل . وبها ينتظر الناس الخطيب ويقدمونه عليهم فيأخذون رأيه وينهجون نهجه ويجعلونه رائدهم . وما أستحق ذلك عندهم إلا بعد أن تأكدوا من الصور العملية لهذه الصفة . فهو حبيب يتمنى الخير للجميع كما يتمناه لنفسه فيصل الرحم . ويكرم الجار . ويقرى الضيف ويخلص للجميع ولا يترك أمرا فيه مصلحتهم إلا ويحث عليه . ويبعدهم عن سواه . ودائما تلقاه مهتما بالخير والنفع فيكرر النصيحة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وتعاونه مع الجميع يلمسه الجميع فى كثرة ووضوح . وهو فى كل هذا لا ينتظر من الناس جزاء أو شكورا . وكل ما يتمناه أن يجعل الأفهام متفتحة لدعوته . مقبلة على تدبرها واليقين بها .

و الخطيب المسلم يطبق أشكال هذه الصفة عن إقتناع بها لأنهـا أوامر دينه إليه وحياة رسول الله ﷺ مع الناس بعد البعثة وقبلها . وإذا كانت هذه مصادر دعوته فهو أحق الناس بتطبيقها .

١- الشخصية صـــ٤٠

إن الدروس المستفادة من فهمه لحقيقة الإنسانية ودعوة الإسلام للتعارف تحتم المشاركة الصادقة وجدانيا وعقليا وحسيا ليصنعوا جميعا ما يفيدهم وينفعهم.

وليس بدعا أن القرآن يمتدح المؤمنين الأول لأنهم تركوا أنانية الذات إلى حب الجميع حيث كانوا لا يدعون للأحياء وحدهم بل يقولون ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝ [١] ﴾ . ولم تكن بالقول فقط وإنما بالعمل كان إيثارهم كما يفيده قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ [٢] ﴾ . فترى الانصارى ساكن المدينة يحب المهاجر إليه من مكة بكل صفاء ويؤثره على نفسه خاصة ، وسبب ذلك أن وجداناتهم قد آمنت بهذه المشلركة عن اقتناع فتمكنوا بعد ذلك من تأسيس مجتمعهم على الحب والخير والمشاركة وكل ما حرصوا عليه هو أن ينمحى الغل من قلوبهم وأن يوقفوا شح النفس ليصلوا إلى الفلاح ، وذلك درس للداعية الخطيب .

ج ـ الطبيعة العملية :

يجب على الخطيب أن يتمسك بالتطبيق العملى لكل ما يقال حتى يستجيب المستمعون لتوجيهاته وأوامره . لأن من المعلوم أن الأشخاص أكثر إلفا وطاعة للأعمال من الأقوال .

١- سورة الحشر آية ١٠

٢- سورة الحشر آية ٩

ومن المعلوم أن المسلمين يوم الحديبية لم ينفذوا أوامر الرسول ﷺ إلا بعد أن رأوها عملا منفذا من الرسول نفسه .

ويجب أن يسير الخطيب على خطة مرسومة مدروسة توصله إلى هدف معين . وقد دلت التجارب العملية أن الناس يتابعون كل أخبار مرشدهم فلو اكتشفوا مخالفة بين القول والعمل لكانت الطامة ... وهذا أمر مسلم به لأن الخطيب لو كان يؤمن بما يقول لطبقه . وما لم يطبقه فهو غير مقتنع بقوله . وليس على المستمعين لوم بعد ذلك ، يقول أرسطو : " **إن للصفات الخلقية التى يتمتع بها الخطيب أكبر الأثر فى قوة الاقناع ، ومن هنا نرى وجوب تمسك الخطيب فى أعماله بكل ما يقول ، وأن يثق بنفسه ، وأن يكون مع الناس فى كافة مشاعرهم وأحوالهم . حتى يتحقق له ما يريد** " .

د ــ عدم التردد أمام الناس :

تدل كافة التجارب النفسية والاجتماعية على أن البشر يؤخذون بمدى الجدية التى يدعون إليها ، والمؤمن بفكرة ما حينما يدعو بها يجد من حوله أنصارا عديدين .

لقد وقف النبى محمد ﷺ وحده يدعو إلى الله . ومع أن عمه حاول إثناءه عن دعوته وطلب منه ذلك صراحة . مع كل هذا لم يتردد فى دعوته ولم ينثن عن إرشاده للناس . ولقد أدى تمسكه بفكرته أن آمن الناس بها ودخلوا فى دين الله أفواجا بعد مدة وجيزة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " **إن قوة الاعتقاد تكسب الكلام حرارة . والصوت رنات مؤثرة ، والألفاظ قوه ، والمعانى روحا ، وتجعل من الملامح والنظريات نورا يشع شعاعا ، يصور ما فى القلب من إيمان قوى وإخلاص عظيم** "[١] .

١- أصول الخطابة صـــ٧٢

هـ ـــ مراعاة المستمع فى الخطبة :

ينبغى أن يسمع الناس من الخطيب حلولا لاهتماماتهم . وأعمالهم . ومتاعبهم . ونجاحها ومشاكلهم .

يقول جون سيدال : " **الناس أنانيون في طبعهم وسلوكهم . فهم بوجه خاص لا يهتمون إلا بأنفسهم . ولا يعنيهم مثلا إن كان يجب على الحكومة أن تكون على وضع معين . وكل ما يهمهم أن يتقدموا فى أعمالهم . وأن يناولوا أجورا مختلفة أكثر من تلك التى يحصلون عليها،وأن يحافظوا على صحتهم** "[١].

ويقول جيمس هلرفى روبنصون : " **ظاهر أننا نفكر طوال ساعات اليقظة ، ويدرك معظمنا أننا نستمر فى التفكير حتى أثناء النوم ، ونحن نسمح لأفكارنا أن تأخذ مجراها ، وهذا المجرى بآمالنا ومخاوفنا ورغباتنا التلقائية ، وليس هناك شئ آخر أهم لأنفسنا من أنفسنا ذاتها . وجميع الأفكار العاملة التى نسيطر عليها . ونوجهها إلى حد ما لابد أن تدور حول " الأنا " أو " الذات المحبوبة** "[٢] .

وهذه الأنانية الشخصية عالجها الإسلام بربطها بقيم عليا ، وغايات نبيلة وجعل سعادة المسلم في إتباعه سلوك الحق . والتوجه إلى الله لنيل خير الدنيا والآخرة ، وربط النصر والظفر والأمن بطاعة الله ورسوله ... ومع ذلك لابد من ربط الشخص بمصالحة الذاتية ، ودعوته إلى الحق من خلال استقامته ، وتكريمه .

وللخطباء المسلمين فى هذا أسوة برسول الله ﷺ فما كان يحدث الناس إلا بما يشغلهم . ويهمهم .

إن أكثر أعمال الإنسان ناشئة من أجل الحصول على مصلحة . والبعد عن مفسده . ومن المعلوم أن الوجدان يشكل النتائج تبعا للذته وألمه .

١- التأثير فى الجماهير صـــ١٧٧

٢- نفس المصدر صـــ١٩٥

والخطيب الجيد هو الذى يأتى المستمع من هذه الناحية . فيخاطب الناس بما يثير لذآتهم ، ويشبع رغباتهم ، وما يرون فى الأخذ به اتقاء لآلآم متوقعة . ويبين لهم أن الآلام فى نقيض ما يدعو إليه .

وليس ذلك صعبا على الخطيب إذا درس مستمعيه ، وأحاط بنفسياتهم . وتعلم الطرق المثلى لمخاطبتهم .

و ـ ملاحظة الروح الجماعية فى المستمعين :

أهم ما تتميز به الجماعة أنها لا تسير دائما تبعا لعقل الفرد . وإنما يتحكم فيها اتجاه عام ، ويحركها ، ويؤثر فيها ، وهو اتجاه لا يعرف منشأه ، وهدفه ، وهو عبارة عن روح عامة تسيطر على الجماعة ، ويعرف بالعقل الجمعى . وهذا العقل الجمعى يحول الفرد الضعيف إلى قوة قوية مع الجماعة ، وينقله من إنسان سلبى إلى آخر إيجابى يشارك فى العمل . ويندفع فى التنفيذ .

وهذه الروح تسيطر على العامة والخاصة .يقول لوبون: **وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة فى الأمور التى مرجعها إلى الوجدان**[١] .

فعلى الخطيب أن يلاحظ ذلك ويستثير الجماعة بهذه الروح . وذاك العقل . وليس ذلك بشاق عليه إذا استعمل الأساليب المثيرة المشوقة من شرط واستفهام وقسم وتوكيد . وراعى أصول العلم وقواعده .

ح ـ عدم مصادمة الغرائز :

الغريزة ميل فطرى فى النفس يدفع الإنسان لأن يسلك مسلكا خاصا أو يصدر حركات مؤتلفة ، تؤدى إلى غاية عامة ، وإن لم يشعر بها الإنسان نفسه وهذه الحركات ليست نتيجة خبرة أو تعلم . ويتصل بها انفعال نفسى يكون واضحا بارزا فى كثير من الأحيان .

وهذه الغرائز فطرية وحتمية . ولا أمل فى إزالتها كلية . ومن هنا بحث علماء النفس طريقة علاج الغرائز الضارة . ورأها فى ترويضها بالاستعلاء أو

١- روح الاجتماع صـ٣٠

بالابدال أو بالتقليل .

وعلى الخطيب أن يلاحظ غرائز مستمعيه لكى لا يقع فى تناقض لا أمل فى الخلاص منه ، وهو يتمكن من ذلك بمواصلته قراءة علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما من العلوم الإنسانية الحديثة .

وهكذا يجب على الخطيب أن يهتم بالمستمعين فهم موضوع خطبته . وفيهم يتحقق مراده ورسالته ينشرها من أجلهم .

المبحث الخامس

الصفات البيانية للخطيب

أهمية البيان للخطيب

الداعية الخطيب يحرص لدعوته أن تكون بينة واضحة في جوهرها ، وحركتها وهدفها ، ويجعلها تقف أمام العقل ، وتناقشه ، وتشتبك مع الفهم لتأسره ، وتستميله بصدقها . وأصالتها .

والدعوة الإسلامية ما كانت . ولن تكن بغير البيان . إذ البيان أحد لوازمها والصدق فيه يضمن لها الخلود والعمق ، ولذا كان من الأوصاف القرآنية لإبلاغها " **المبين** " ، وكثيرا ما يذكر القرآن أن المرسلين جاءوا بالبينات . ويقصد بها دعواتهم .

وقد اكتسب البيان هذه الأهمية لأن تبليغ الدعوة بصورة غامضة غير موقظة للعقل والنظر لا يعد أداءا للواجب ، ولا يخلص الدعاة من مسئوليتهم عند الله تعالى .

وتحقيقا للبيان أرسل الله رسله بلغة الأقوام الذين بعثوا فيهم حتى لا يكون لهم حجة تجعلهم يقولون : لم نفهم ما خوطبنا به فكيف نسأل عنه . لأنهم لو خوطبوا بغير لغتهم لعجزوا عن الفهم ولكان ذلك مدخلا إلى عدم إيمانهم يتحاجون به كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[١] .

ولعل قوله تعالى بعد ذلك " **أعجمى وعربى** " إنكار لهذا التناقض إذ لا يصح أن

١- سورة فصلت آية ٤٤

يكون الكلام أعجميا والمخاطب به عربى لأنه لو كان كذلك لتمادوا فى عنتهم وقالوا لولا فصلت آياته بلسان نفقهه .

ولما كان النبى ﷺ مبعوثا إلى كل الأمم ولكل لغاتهم فقد اختار الله أمة تملك العناصر التى تمكنها من نشر ما تعتقده وتؤثر به . فاختار الأمة العربية . أمة النبى ﷺ وجاء القرآن بلغتها ، وحملته هى بدورها إلى كل مكان محفوظا مفسرا . ومترجما . وقد استطاعت ذلك لفهمها طبيعة الأمم واختلاطها بها . ومعرفة لغاتهم ، وتوسطها جغرافيا بين الجميع . وبرغم ذلك فقد عمل المسلمون من غير العرب إلى تعلم اللغة العربية . لغة القرآن الكريم مما كان سببا فى تحول أمم شتى بلسانهم إلى اللغة العربية وأصبحت هى لغتهم بعد ذلك.

ولأجل البيان كان تنجيم القرآن من السماء الدنيا بعد ما نزل جملة إليها لأن التنجيم يفيد إجادة الترتيل . والتفسير الحسن . والدفاع الحق عن الحجج التى تنشأ . كما أفاد ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ [١] ﴾ . وكل ذلك يهدف إلى تبيان الدعوة واتضاحها ، إذ بالترتيل يقرأ القرآن فى تؤده وتمهل . مصاحبا للتدبر . والاتعاظ ، وكل فهم لمعنى القرآن الكريم هو بيان للدعوة ، وتذكير للمسلم ، ونداء للإيمان عند سواه ، وبإيراد الأمثلة الحقيقية تنهدم مجالات الباطل ، وتؤسس فكرة الحق واضحة لإيرادها . ولذلك فهى أحسن تفسيرا ، وذلك كله من فوائد التنجيم .

أنظر قوله تعالى : ﴿ وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ [٢] ﴾ يقول أبو السعود : على مكث أى على تمهل ، وتثبت ،

١- سورة الفرقان من الآية ٣٢ ـــ ٣٣

٢- سورة الإسراء آية ١٠٦

لأن ذلك أيسر للحفظ وأعون على الفهم[١] . كما أن التنجيم يعطى لتكرير الموقف الواحد فائدة حيث أن الموقف يتكرر موجزا مرة ومفصلا . ومطولا . مرة أخرى . ومختصرا وشاملا مرة ثالثة ، وفى كل مرة يهدف إلى غير ما هدف إليه سابقا ، بصورة مستقلة ، وكأنه الفرد في هذا الموقف وذلك كله بيان للدعوة وإيضاح للمقصود .

ومما يظهر البيان ويجليه ما يلى :

ـ أولا ـ
النطق الحسن

النطق الحسن هو الدعامة للإلقاء الجيد ، لأنه يقوم على تخير المعنى ، وتحسين اللفظ ، والاستعانة بالأساليب الفخمة وبعد ذلك يأتى دور الإلقاء بفنيته المؤثرة ، وصورته البليغة الرائعة . وإذا اعترى المعنى غموض وخفاء ، أو أصيب اللفظ بجفوة وغرابة ، أو ظهر الأسلوب في تنافر وشذوذ . ضاع الإلقاء وإذا ضاع الإلقاء ضاعت الخطبة وفقد الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان.

ونحن هنا نوجه بعض الملاحظات للخطيب ليهتم بتحسين نطقه وإجادته.

١ــ على الخطيب أن يجود لفظه :

على الخطيب أن يخرج حروفه من مخارجها الصحيحة فلا ينطق بالثاء سينا ، ولا بالذال زايا . وهكذا كل مخارج الحروف فيجب أن يعنى الخطيب بإخراج الحروف من مخرجها .

وليس معنى ذلك أن يتشدق الخطباء ويمططوا الألفاظ لأن ذلك مكــروه للخطيب . لأن التشادق يوقع أولئك المتكلمين فى نقيض ما يرغبون . إذ ينطقون بالحروف من غير مخارجها . كبعض الخطباء الذين يدفعهم التشدق إلى أن ينطقوا بالجيم شينا" أو يمدون في موضع القصر،أو يقصرون في موضع

١- تفسير أبى السعود جــ٣ صــــ٢٢٩

المد .

٢ــ مجانية اللحن :

يجب أن يهتم الخطيب بتصحيح الكلام الذى ينطق به . ويلاحظه فى مفرداته وعباراته . وذلك يتأتى بدراسة علوم اللغة والبلاغة .

إن الحركة الواحدة تغير اللفظ وتنقله من معنى إلى معنى آخر . حدث أن خارجيا قال فى قصيدة :

ومنا يزيد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فلما علم عبد الملك بذلك طلبه وسأله لم قال هذا . فأجاب بأنه قال: ومنا أمير المؤمنين شبيب "بفتح الراء فى أمير لا بضمها " وبذلك انتقل من الإخبـــار إلى النداء وأنقذ نفسه أمام عبد الملك يجعل الضمة فتحة .

٣ــ تصوير المعانى :

على الخطيب أن يتقن إلقاء ألفاظه بشكل يجعل المعانى مصورة من خلال الألفاظ . وذلك يبرز الاستفهام . ويجسم التقرير ، ويظهر السرور . ويخفى الحزن . وهكذا .

وعلى الخطيب أن يستفيد فى ذلك بتعلم فن الإلقاء المسرحى والإذاعى . إذ نجد هؤلاء يستعينون بالصوت والموسيقى ، وبإبراز الأصوات من أجل إظهار المعانى التى يقصدونها .

إن علماء الإعلام يستفيدون بالمؤثرات الصوتية في إبراز المعنى ، ولذلك يضعون بعض الفواصل الموسيقية بين الكلام ، ويلجأون إلى الصمت والسكون ، ويكثرون من الحركة والالتفات ، وتركيز النظر ،ويوهمون المستمع بأنهم في بيوتهم وبين أهلهم وعلى الخطيب أن يستفيد من كل جديد مشروع .

٤ــ المهل :

يحتاج الخطيب إلى التمهل فى إلقاء خطبته ، لأن النطق السريع المتعجل يشوه اللفظ ويضييع المعنى ، ويجعل المستمع لا يستطيع متابعة سرعة الخطيب

ومن حسن شرع الله تعالى أن علم المسلمين التمهل في القراءة ليتدبروا المعنى وكان النبى ﷺ إذا قرأ بعض الآيات يمكن للعاد أن يعد حروفها معه .

٥ ــ إبراز الكلمات الهامة :

ومعنى هذا أن يضغط الخطيب على بعض المقاطع دون بعض ، بشرط أن لا يكون هذا الضغط عشوائيا . ولكن يجب اختيار الكلمات الهامة الدالة على الموضوع . أو المؤيدة للعناصر . أو الموجزء للخطبة كلها . وهكذا يجب إبراز بعض النقاط الهامة فى الموضوع ، كأنه يضع سطورا تحت كلمات مكتوبة .

٦ ــ تغيير ارتفاع الصوت :

الصوت له أثر كبير فى وقع الكلام على المستمع حسنا أو قبحا ، لذلك على الخطيب أن يغير صوته بين الارتفاع والانخفاض ليؤثر بالصوت وبالمعنى معا . وأيضا فمن الواجب على الخطيب أن يجعل صوته مناسبا لسعة المكان أو ضيقه .

إن هذا التغيير يؤثر فى الإنسان بصورة واضحة وتلقائية . وينبه الغافل ويوقظ النائم ، ويجذب الشارد . وحينئذ يسمع الجميع ويستفيدون .

٧ــ تغيير سرعة الصوت :

إن تغيير سرعة الصوت من الأمور السارة التى تمكن الخطــيب مــن الوصول إلى هدفه .

يقول ديل كارنيجى : " إن هذه كانت إحدى الوسائل المحببة عند لنكولن حين يريد الوصول بفكرته إلى الهدف . وكان ينطق بعدة كلمات بسرعة كبيرة حتى يصل إلى الكلمة أو العبارة التى يريد تأكيدها . ثم يبطئ فى صوته عندها ويضغط عليها . ولا يلبث أن يندفع مسرعا فى الحديث حتى يصل إلى نهاية العبارة كالبرق الخاطف . وكان يخصص أطول وقت مستطاع للكلمة أو الكلمتين

اللتين يريد تأكيدهما "[١] وهكذا يجب أن يكون الخطيب .

٨ـ التوقف قبل وبعد كل فكرة :

يجب على الخطيب أن يركز فى تقسيم خطبته ، ويوقف المستمع معه على هذا التركيز . وهذا لايتأتى إلا بمؤثرات صوتية فى الإلقاء تأتى عن طريق التوقف عن الإلقاء قبل كل فكرة وبعدها ، ولو للحظات قليلة لأن المستمع سوف يبحث عن سر هذا التوقف . وفى خلال بحثه يجد أن الفكرة المقصودة قد أتته فيفهمها بإتقان ، ويعلم أن الفكرة السابقة قد تمت .

والواقع أنه ليس أجدر بالصمت أن يكون من الذهب إلا حين يستخدم بحكمه أثناء الحديث . فهو وسيلة ناجحة . ومع هذا نجد كثيرا من الخطباء يهملونه .

ـ ثانيا ـ

التخلص من العيوب الصوتية

هناك عيوب تلحق بالصوت والواجب على الخطيب أن يسعى للتخلص منها بكل وسيلة ممكنة . ومن هذه العيوب :

- عدم قدرة الخطيب على بيان موضوعه . واختفاء غرضه من خلال سرعة الصوت لديه مع مراعاته لنصائح الإلقاء الجيد ، وهذا العيب يمكن تلافيه بالتدريب على النطق الهادئ ، والتمهل في التلفظ بالكلمات ، والتزام أصول " علم الخطابة " .
- العيوب الشائعة فى اللسان . كاللثغة[٢] . والتمتمة[١] ، والفأفأة[٢] واللفف[٣] . وعلاج هذه العيون يكون بالطب الجسمانى فإذا تعذر

١– التأثير فى الجماهير صـــ١٠٠

٢– اللثغة : إبدال حرف بآخر فى النطق كابدال السين ثاء ، والقاف طاء ، واللام ياء . والراء لاما .

علاجها وجب على الخطيب أن يتجنب الكلمات المعيبة عنده فإن عجز عن ذلك فليترك الخطابة لأهلها .

— خفوت الصوت : وهذا يكون بسبب ضعف صحى فى الخطيب ويعالج هذا العيب بالطب البشرى . والثقة بالنفس . وبالشجاعة الأدبية .

وهذه العيوب لابد من التخلص منها ، لأنها تضر الخطابة في مقتل ، ولا تحقق للخطيب هدفا ... ولذلك وجب الحسم إزاءها صيانة للخطبة ، ومحافظة على الخطيب .

ـ ثالثا ـ
تخير المعانى الجادة

يأتى المستمع إلى الخطيب ليخرج فى النهاية بمعنى يبقى فى ذهنه ، وكل ما يضعه علم الخطابة من دراسات يهدف فى النهاية إلى إمداد الجمهور بشئ يؤثر فيه ، ويفيده ، ويوضح له منهجا صالحا للقضايا التى تساعده فى حياته .

ولا يكفى فى الخطبة أن تكون ذات لفظ جميل مع خلوها من المعانى الدقيقة .

على الخطيب أن يلحظ أنه يخاطب عقول المستمعين وعليه حينئذ أن يجود كلمته . وينظم عناصرها ويجعلها فى مستوى فهم الناس . مع ضرورة استعمال الصور البيانية المتعددة .

١- التمتمة : التتعتع فى التاء

٢- الفأفأة : التتعتع فى الفاء

٣- اللفف : إدخال بعض الكلام فى بعض

المبحث السادس

الصفات الشكلية للخطيب

لابد للخطيب من مراعاة مجموعة من الصفات الشكلية التى تحيط به . والتى تؤثر كثيرا فى انتباه المستمعين . ذلك لأن الأشخاص يستفيدون بكافة حواسهم حيث نجدهم يوجهون آذانهم لصوت الخطيب . وفى نفس الوقت يتابعونه بعيونهم ومن المعلوم أن تحريك كافة الجوارح مدعاة لليقظة والانتباه .

وللصورة الحسية أثر بالغ فيمن يرى الخطيب ، وينظر إليه ، ويسمعه ، لأن المظهر يدل على المخبر ، وللصورة تأثير يسبق الحدث ولذلك كان النبى ﷺ يأمر أصحابه بلبس أحسن ثيابهم حين استقبال الوفد عليهم ليرى فيهم حسنا وبهاء يعظم فيه دينهم الذي حقق لهم الحسن والجمال والنظافة .

ولذلك وجب على الخطيب أن يهتم بهذه الصفات التى سنوجزها فيما يلى :

١ــ الوقوف فى مواجهة المستمعين :

على الخطيب أن يلحظ مكانه بالنسبة للجمهور . فلابد أن يكون أمامهم ويستحب له أن يكون واقفا . وعلى مكان مرتفع ، وأن لا يبدأ فى خطبته فور وقوفه ، بل يتمهل قليلا حتى يلحظه الجمهور الناظر .

إن الخطيب الجاهلى عرف هذه الميزة . فكان يخطب على ظهر دابته . أو على مرتفع من الأرض،وأول خطبة خطبها النبى ﷺ من فوق جبل الصفا...

وقد ثبت أنه ﷺ استمر مدة طويلة يخطب الناس وهو واقف على جذع نخلة إلى أن انتقل إلى منبر أقامه المسلمون في مسجد المدينة للخطبة خاصة .

إن هذه المواجهة تمكن الخطيب من اكتشاف أثر خطبته على الجالسين أمامه ، وهذا يدفعه إلى الإجادة والدقة .

وفى العصر الحديث عرف الجميع قيمة هذه الصفة فاهتموا جميعا بتأسيس مكان خاص للخطيب ، يتميز بالارتفاع ، وبأنه فى مواجهة المستمعين ففى دور العبادة حيث الخطب الوعظية . وفى المؤتمرات والهيئات العالمية ، وفى دور القضاء يعتلى الخطباء الأماكن ليلقوا خطبهم منها .

إن المستمع تؤثر فيه رؤيته للخطيب . ومن هنا رأينا البعض ينادى الخطيب بأن يمتنع عن تحريك أصابعه . أو العبث بملابسه . أو الأتيان بحركات عصبية لأن المستمعين يرقبون كل ذلك ، ويتابعونه ، ويفكرون فيه ، فى وقت يجب أن لا يهتموا إلا بالخطبة ، وبالكلام الموجه إليهم .

إن الدين الإسلامى دعا الناس إلى الحضور لخطبة الجمعة قبل بدئها بوقت مبكر ، ورغبهم فى أن يبدأوا الحضور من مطلع الشمس . وذلك لكى يستعدوا إستعدادا كليا لحصر انتباههم فى ذكر الله . وحتى لا تؤثر حركة قادم متأخر فى نفسيات المستمعين وتصرفهم عن الخطبة .

ولنفس السبب كان بعض الحكمة من مشروعية عدم تخطى الرقاب . ومن باب أولى يجب أن يلحظ الخطيب ذلك ولا يقوم بأى شئ يصرف الناس عن الخطبة .

وينادى بعض العلماء بأن ينفرد الخطيب وحده بمنصة الخطابة . لأن الاشتراك فى هذا المكان يؤدى إلى كثرة الحركات فى مواجهات المستمعين ، وهذا يصرف الناس عن الاستماع الجيد للخطبة ، وهذا رأى جر به كثيرون وآمنوا بجدواه لدرجة أنهم طالبوا الخطيب بأن ينتظر فى إلقاء خطبته . ولا يعجل إليها إذا كان قد سبقه آخر ، حتى يهدأ المكان . ويزول صدى الخطيب السابق من الآذان . وحينئذ ينتبه المستمعون إلى القول الجديد .

وبالجملة فإن مكان الخطيب يجب أن يكون محل عناية واهتمام .

٢ــ جمال الخطيب :

يستحب أن يتمتع الخطيب بجمال الصورة . ولا نقصد بذلك أن يكون أمير الجمال . ولكنا نريده مقبول الصورة غير منفرد . لأن الناس " منذ كانوا "

مولعون بالقوة والسلامة والاستواء فى الخلقة ، والحسن فى الصورة .

وها هن نسوة مصر في قصر عزيز مصر حينما رأوا يوسف نظروا إليه بإجلال . يقول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[١] .

مدح الرمق بن زيد أمام جبلة الغسانى . وكان الرمق دميما قصيرا فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء .

وقد ذكر الجاحظ أن زيد بن جندب كان أشغى (أسنانه مختلفة طولا وقصرا ودخولا وخروجا) أفلج (أسنانه صفراء) ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة .

ولما رأى النعمان بن المنذر ضمرة بن ضمرة وكان دميما قال له : " **تسمع بالمعيدى خير من أن تراه** " .

فأجاب ضمرة . **إن الرجال لا تكال بالمكيال . وإنما المرء بأصغرية قلبه ولسانه**[٢] .

ومع هذا التصور فهناك خطباء برعوا فى فنهم مع قبح صورتهم من أمثال الأحنف بن قيس الذى اتصف بالقبح والدمامة[٣] إلا أننا نشير إلى الغالب الأعم الذي يفيد الخطبة والخطيب .

٣ــ حسن الهندام :

أرسل عالم نفسانى إلى مجموعة كبيرة من الخطباء وسألهم عن تأثير الملابس فيهم فشهد جميعهم دون استثناء . بأنهم حين يكونون فى أبهى زينة . وأجمل ملبس . ويعرفون ذلك . ويحسونه فإنهم يملكون زمام أنفسهم ولا يخطئون[٤] .

١- سورة يوسف آية ٣١
٢- فن الخطابة صـ٣٩ ، ٤٠
٣- زهرة الآداب جـ٣ صـ٦٢
٤- التأثير فى الجماهير صـ١٠٧

ومعنى هذا أن حسن الهندام أحد أسباب الثقة بالنفس . وهذا يجعل الخطيب يجود قوله . ويحسن خطبته . وبالتالى يكون تقدير مستمعيه بما يقدم لهم من كلام حسن . مؤثر . مفيد .

٤ـ أمور جانبية :

هناك أمور أخرى يجب أن يلاحظها الخطيب . وعليه أن ينظمها لتكون مساعدة له فى خطبته .

فمثلا على الخطيب أن يعد المكان . أو يأمر بذلك . لأن المكان لو لم يكن متسعا لجميع الناس ، أو كان سئ التهوية . أو خاليا من المقاعد ، إن كان المكان واحدا من هذا أو من غيره فإنه يدعو إلى ضجر المستمع من هذه الأمور الجانبية . وانصرافه عن الخطيب إلى شئ بعيد عن الهدف الذى جاء من أجله .

ومثلا يحتاج المكان إلى إضاءة كافية تساعد على الرؤية . ولابـد مـن ملاحظة ذلك . ففى أثناء النهار يكتفى بفتح النوافذ الكثيرة لإدخال الضوء الشمسى . وفى خلال الليل لابد من إعداد الإضاءة الملاءمة . سواء كانت من التيار الكهربائى أو من غيره مع مراعاة كافة الظروف .

ومن الأمور الهامة إحضار مكبر للصوت إذا كان المستمعون عددا كبيرا وكان المكان واسعا . لأن هذا يساعد على راحة الخطيب واستفادة المستمعين . وحفظ النظام .

وهذه أمور نسوقها على سبيل المثال . ويجب مراعاة كل ما هو على نمطها .

الفصل الثالث

المستمعـــــون

" المستمعـــون "

تهدف سائر الأعمال والأنشطة الاجتماعية خدمة الإنسان ، ومحاولة الترقى به من وهدة التخلف إلى رقى في الفكر والحضارة والنهضة ، وفى إطار تحقيق هذا الهدف تعمل مؤسسات والإعلام ، وهيئات الإرشاد والخدمة الاجتماعية ، ومختلف الجمعيات الخيرية والتنموية .

وقد جاء الرسل عليهم السلام لتحقيق خير الإنسان وسعادته وذلك بإرشاده إلى الطريقة المثلى ليعيش دنياه عابد لله تعالى ، وينتقل لآخرته سعيدا بما يلقاه فيها . يقول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[1] ويقول سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾[2] ومن ولاية الله للمؤمنين أن وجه الدعاة إليه نحو المنهج الأمثل لدعوة الناس به .

وعلم الخطابة على رأس علوم الدعوة يتجه مباشرة إلى المستمعين لحل قضاياهم بمنهج الله ، وتصحيح مسارهم ، ودعوتهم بالله بالحسنى ، ولذا لزم كل من يلي أمر الخطبة أن يحيط بأحوال المستمعين من كافة النواحى بقدر الإمكان ليتمكن من مخاطبتهم بما يفيدهم ، وبما يحتاجون إليه .

وفى هذا الفصل سأتناول هذا الموضوع في عدة مباحث فيما يلي :

١- سورة البقرة آية ٢٥٧

٢- سورة محمد من الآية ١ : ٣

المبحث الأول

مراعاة عقلية المستمعين

للإنسان طاقة عقلية معينة يمكنه بها أن يفهم كل حديث يتناسب معها . وعلى الموجهين والخطباء ملاحظة طاقة المستمعين العقلية . ولذلك كان النبى ﷺ يقول لأصحابه : **خاطبوا الناس على قدر عقولهم : " أتحبون أن يكذب الله ورسوله "** ، **إن الإنسان إذا لم يخاطب على قدر مستواه العقلى فإنه لا يعقل شيئا ، وينفر مما يسمعه "** ، **ويكتفى بالنظر فقط ، وينشغل باطنه بأمور يتخيلها من حياته ومعاشه .**

وذلك أمر مسلم به ، شأنه شأن الطفل الرضيع إذا قدم له اللحم طعاماً فإنه يؤذيه ويضره .

وفى كتاب " الدعوة التامة " للشيخ عبد الله بن علوى الحداد تقسيم للناس وفق علمهم وإقبالهم على الله تعالى ، وبيان لكيفية دعوة كل فريق . وقد ذكر ـ رحمه الله تعالى أن البشر أصناف متعددة ، ذكر منهم بعض الأصناف هي :

الصنف الأول : طائفة العلماء ، وهم رءوس الناس ، ووجهاؤهم وأساس الصلاح أو الفساد فى المجتمع . والعامة فى حاجة دائمة إليهم ، وهم جماعة تميزت بالفطنة ، واشتغلت بالمعارف ، وعلت بالعلوم التى حصلوها ، وثقتهم فيما جمعوا من علم أرقى من ثقتهم بما جمعوا من مال .

وقد ولد العلم لديهم ملكه فكرية تجعلهم قادرين على التخيل والإبداع ، ومنهم يكون المجتهدون في سائر العلوم الدينية .

ولذلك وجب حين دعوتهم وتوجيههم أن يقدم لهم الحديث اللائق بلا تكرار . ولا إطناب . ولابد من بث الثقة فيهم . والرضى عنهم ، وتزكية فكرهم وعقلهم ولو فى جانب ما ، وذلك خير من الصدام معهم .

إن الإنسان عموما لا يحب من يصدم مشاعره ، وواجب ملاحظة ذلك . وبخاصة مع العلماء الذين هم قادة الفكر فى الناس .

ويستحسن فى خطابهم أن يقوم على الحوار . والجدل . والقصص . والمثل التمثيلى ليستنتجوا مع الخطيب ما يريد ... ومن الضرورى إستثارة روح المسئولية عند العلماء حين التوجه إليهم بالخطاب .

الصنف الثانى : المطيعون لله . وهم أهل الورع والتقوى . وهم صفوة الله وأحباؤه وأولياؤه . وهؤلاء تكفيهم الإشارة . والرمز . لأنهم علموا والتزموا وعرفوا وذاقو واتباعهم للخير جبلة فيهم . لا يحتاجون لعناء . إنما يكفيهم التذكر . ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[١] .

الصنف الثالث : الأمراء والولاة . وهم أولو الحكم والسيادة إن قاموا بواجبهم وفق أمر الله عدلوا ونصروا ، وإن ضيعوا واجبهم هلكوا وأهلكوا ، وهذا الصنف له هيبته وقيادته ، ودعوتهم تحتاج إلى حكمة ودربة ، إذ لابد من إعطائهم ما يليق بهم من تقدير ، وعدم التصادم المباشر معهم . وفى نفس الوقت لابد من نصحهم ووعظهم بالمسائل التى تنفعهم وتنفع رعاياهم باللين والحسنى وليس بمستحسن أن يتجه الخطيب لهؤلاء بما ينفرهم منه ، ويجعلهم فى عداء معه ، واللائق في نصح هؤلاء أن يذكرهم العالم بمسئوليتهم أمام الله تعالى ، ويروى لهم الأدلة النصية الواردة في نصحهم لأنهم لا يستعلون على حكم الله كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

الصنف الرابع : أصحاب الحرف والمهن . وهؤلاء طوائف من الناس تقضى وقتها كله فى العمل والسعى والكدح . وفيهم الحرص على الكسب والمال . وقد يفئ الله عليهم فيملكون مالا كثيرا وهم لم يتعلموا . ولم يتفقهوا . وواجب على من يخطب فى هؤلاء أن يعيش مع نفسياتهم ، ويستدل لهم من حياتهم ،ويعلمهم بأسلوب سهل،ويتخولهم بالموعظة،ويحاول أن يعالج الأمراض

١- سورة الذاريات آية ٥٥

النفسية والإجتماعية التى تنتشر بينهم .

إن أصحاب الحرف يلزمهم معرفة حكم الشرع فى عملهم ، كل فى اتجاهه . وهذا واجب الخطيب . ومن هنا كانت ضرورة ملاحظة نوعية المستمع لتكون الخطبة ملائمة له ومناسبة لمصلحته .

الصنف الخامس : أهل الفقر والمسكنة ويراد بهم من يعيش فى بلاء ما كمرض . أو فقر . أو سجن . أو ظلم . وهؤلاء يعيشون بنفسية معينة . وعقلهم وفكرهم دائما يعيش فى مشكلهم . ويحاول أن يقارن بينهم وبين غيرهم من الناس ، وخطيب هؤلاء يجب أن يلحظ وضعهم ، فليس الحديث للمسجونين والمرضى كالحديث للأحرار الأصحاء ، ولن يكون الكلام للغنى هو الكلام للفقراء .

الصنف السادس : أهل الضعف كالنساء والأطفال وهؤلاء يجب أن يعرفوا واجبهم ، وحقهم أن يخاطبوا على قدر مستواهم الذهنى والعقلى .

الصنف السابع : غير المسلمين من الناس وهؤلاء قد يكونون أصحاب دين أو مذهب ، أو لا دين لهم ويسلكون مسلكا فوضويا فى مجال السياسة ، أو مجال الاقتصاد .

وقد يكون لهؤلاء سبق علمى ، وثراء مادى ، ونهضة حضارية كما هو مشاهد اليوم ، وكثير منهم قد يتصور أن الفضل في تفوقهم يرجع إلى إهمالهم الدين ، واعتمادهم التوجه العلمانى ... ودعوة هؤلاء تتم بالحسنى ، ومحاولة القرب النفسى ، وتقديم الإسلام لهم من حقيقة تعاليمه ، لا من تطبيقات المسلمين وحياتهم ... ومن الممكن فتح باب الحوار معهم ، ومناقشتهم .

وحيث أن الإسلام دين يجب تبليغه للناس جميعا . كان على الخطيب الذى يوجه حديثه إلى غير المسلمين أن يتعب نفسه ويعرف اتجاه مخاطبيه ، ولا يتصادم مع عواطفهم . وتقاليدهم ، ولا ينفرهم منه ، وليكن حديثه معهم من باب ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [1] ﴾ .

وعلى ضوء قوله سبحانه :

﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ .

وهؤلاء لا يفيدهم الاستدلال بالنص لأنهم لم يؤمنوا ، وإنما لابد من الاستدلال لهم بآيات الله فى النفس ، والكون ، والحياة وعقد مقارنة سريعة بين النص وما هو موجود محسوس .

ويجب أن يعلم الخطيب أن الناس منذ خلقهم الله جبلوا على احترام الذكاء النافع ، والاخلاص الهادئ ، ومحبى الخير والسلام ، وجبلوا كذلك على أن يقبلوا على من يقبل عليهم . إن الإقبال على حل مشكلة ما . يجعل أصحابها يشاركون فى الحل والإقبال .

١- سورة آل عمران آية ٦٤

المبحث الثانى

ملاحظة الاتجاهات السائدة

فى كل جماعة من الناس ينتشر اتجاه أو اتجاهات معينة تبعا لظروف بيئية أو اجتماعية . ومن أمثال ذلك انتشار اتجاه صوفى فى جماعة ما ، أو أن تعيش الجماعة فى حى يحتم على ساكنيه أن يكونوا تجارا ، أو أن يوجد فى وسط الناس مصلح مخلص يورث فيهم حب العلم . وتقدير أهله ...

وعلماء التربية يوجهون المشتغلين بالتعليم لملاحظة الاتجاهات التى تسود بالضرورة بين مجتمع الشباب ، أو مجتمع المرأة ، أو مجتمع العمال ، أو مجتمع الجنود ، أو مجتمع العلماء والمفكرين ... وهكذا . لأنها اتجاهات متغايرة ، وفى نفس الوقت متحكمة فى النشاط الاجتماعى . والمربى الموفق هو الذى ينطلق من هذه الاتجاهات . ينميها أو يعدلها على وفق ما يرى .

ولو تصورنا مصلحا اجتماعيا بدأ عمله في وسط ريفى وأخذ يتكلم عن نظريات العلم ، ومستجدات العلماء فإنه لا يفيد شيئا ، أما إذا جعل حديثه عن آيات الله في الزرع والضرع ، ونزول المطر ، والقضاء على الآفات ، وتوسيع الأرزاق ، وتيسير الأعمال فإنه يفيد لأنه عاش مع الاتجاهات التي تسيطر على عقول من يربيهم ويعمل لهم .

والخطيب وهو يوجه الجماعة نحو الغاية التى يعمل لها عليه أن يلاحظ ما فى مستمعيه من اتجاهات ليتمكن من تحليلها ، وبناء عمليته الاصلاحية على أساس فنى لا يتصادم معها ،ولا يبدأ بالهجوم عليها ، وبخاصة إن تأصلت هذه الاتجاهات فى النفوس ، وليس صعبا على الخطيب التوصل إلى هذه الاتجاهات لأنه يعيش بين الناس ومن المفترض أنه درس شيئا في علوم الاجتماع وعلوم النفس ، وعلوم العمران والسياسة ، لأن هذه العلوم تضع يده على مفاتيح اكتشاف اتجاهات الناس .

ويجب أن يعرف أن هذه الاتجاهات قد تولد وفق ظروف معينة كالحرب والرخاء ، والحرية ، والديكتاتورية ، وغيرها إذ بسبب من هذا وأمثاله توجد اتجاهات خاصة كالأنانية والمادية ، والفوضى ، والحقد ، والحب ، والتعاون .

وعلى الخطيب أن يبحث فى أسباب الاتجاه ، ويبسط توضيحه فى أناه ، ويذكر مستمعيه بما فيه من خير أو شر . ويلون خطابه بما يثير ويقنع .

فمثلا ينتشر فى بعض الجماعات اتجاه عدم الالتزام بالتعاليم الدينية بدعوى التقدم والسلوك العالى . وتلك قضية على الخطباء أن يواجهوها بإظهار الأسباب الأصيلة وراء هذا الواقع ، إنه الجهل بالدين وعدم التزام هذه الجماعات به ، ووجود الغزو المضاد للدين ، واستمرار التأثر بالفساد فى مجال التعليم ، والثقافة ، والفنون الذى أريد انتشاره بين المجتمع المتدين .

إن وجود إعلام غير إسلامى . ووجود تعليم لا يربى على الدين يؤدى إلى صعوبة التربية الجادة وانحراف الناس عن الصراط المستقيم ... والخطيب الموفق هو الذى يعالج هذه القضايا وسط هؤلاء التقدميين العلمائيين واحدة بعد واحدة ، فإذا ما عالجها بدقة وموضوعية ينتهى إلى حب المستمعين لدينهم وتمسكهم بتعاليمه .

ومن المعلوم أن هناك اتجاهات طارئه بسبب الاشاعات والأخبار الكاذبة التى تبثها بعض أجهزة الإعلام بقصد نشر البلبلة ، أو تشوية الحقائق فى مجتمع ما . وهذه يمكن مواجهتها ببيان الحقيقة مدعمة بأدلتها . كما أن بيان كذب الإشاعة . ووضوح القصد من الأغاليط عامل هام فى القضاء عليها .

وقد وجهتها الخطيب وغيره من علماء التوجيه إلى ملاحظة الاتجاهات السائدة لأن هناك اتجاهات طارئة مؤقتة كحادثة وفاة ، أو حريق ، أو سرقة يكون لها أثرها المؤقت . وهذه تعالج بصورة مؤقتة وتنتهى ، بخلاف ما هو سائد ومستمر من الاتجاهات .

إن ملاحظة الاتجاهات السائدة فى المستمعين قضية علمية لابد منها لكل من يتصدى لعملية التوجيه والتربية .

المبحث الثالث

مراعاة المناسبات عند المستمعين

هناك مناسبات متعددة ينفعل بها الناس ويعايشونها بعواطفهم وعقولهم ، ولذلك نجدهم يسمعون الحديث عنها ، ويتابعون التعليق المتصل حولها ، وتتأهب نفوسهم لفهم كل ما يدور حولها .

إن الجماهير تنفعل بوضوح بمناسباتهم الاجتماعية والسياسية والرياضية ويوقفون كل نشاطهم من أجل المتابعة والمشاركة ، ويتأثرون إلى حد كبير بعقلهم الجمعى خلالها .

وأهم المناسبات ذات التأثير فى النفس هى المناسبات الدينية . كيوم العيد وموسم الحج ، وأيام الصيام ، وتلك كلها مناسبات دينية تثير في النفس الآمال والأحلام وبخاصة في الإطار الذي شرعه الله لها ، وعلى نمطها المناسبات الأخرى . وعلى الخطيب مراعاة هذه المناسبات جميعا .

إن الحديث فى ذكرى الحرب يغاير بالضرورة الكلام فى أيام الأمان . والخطبة بعد النصر ليست هى التى تكون بعد الهزيمة .

إن مراعاة المناسبة يعنى الاهتمام بالمستمع،ويشير إلى النجاح فى عملية التأثير والإفادة الذى هو أمل كل خطيب يعرف ما يناط به من مسئولية وواجب.

ومن روعة الإسلام أنه يحتوى على كل ما يناسب الإنسان فى جميع ظروفه .

ولا يعنى الاهتمام بالمناسبات المجاملة ومجاراة الواقع مهما كان سيئا ، وإنما المقصود هو الإجادة والحسن فى أداء الرسالة عن طريق مشاركة المستمع والتفاعل معه فى القضايا التى تشغل فكرة وعواطفه وتوجهه إلى المعروف برفق ، وتنهاه عن المنكر بأدب ، من غير تصادم مباشر مع عواطفه ووجدانه .

كم من خطيب يقصده الناس لأنه يحدثهم عن أنفسهم ، ويوجد الحلول عن مشاكلهم ، ويظهر الحلول الإسلامية لما يثار أمامهم !

وكم من خطيب ينصرف الناس عنه ويتمنون أن يسكت حين يبدأ فى الحديث !!

إن المشتغلين بالتربية والتوجيه والارشاد يهتمون بموضوع الساعة لأنه المناسبة الحية المتحركة عند الناس . ولذا نراهم يتناولون هذا الموضوع بالدراسة والتحليل ، والتعليق ، والشرح وبيان كل ما يتعلق به من أحكام دينية وفوائد علمية ... وهكذا .

وما ذلك إلا نوع من الاهتمام بالمناسبة الذى ننادى به ليضعه الخطيب فى مخططه .

والمناسبات عديدة بعضها دورى ثابت ، وبعضها طارئ مؤقت وكلاهما يجب الاهتمام به رعاية لإفادة المستمعين .

المبحث الرابع

ملاحظة الاختلافات المهنية

يتأثر الإنسان ببيئته ، وعمله ، وزملائه ، وثقافته ، وتلك كلها عوامل مؤثرة في شخصية الإنسان الاجتماعية ، وتوجهاته العامة ، ونشاطه خلال الحياة . والبيئات المهنية عديدة ، وهى مغلقة على أصحابها ، وذلك مثل بيئة الجند الذين يقيمون في المعسكرات ، ويعيشون للتدريب والاستعداد ، ويحتاجون إلى تربية معنوية تحببهم في الجهاد ، وحب الوطن ، وتعرفهم بأعدائهم ، وتبين لهم أهمية تحسين صلتهم بالله تعالى ، والمحافظة على حقوقهم سبحانه وتعالى ليتمكنوا من النصر وتتهيأ لهم أسبابه .

وهناك بيئة العمال الذين يعيشون في مساكن خاصة بهم تابعة لعملهم ، وهؤلاء يشغلهم العمل ، ويحتاجون إلى توجيههم نحو الإخلاص ، وتقدير العمل وحب النجاح لصاحب رأس المال وهناك بيئة الطلاب الذين يسكنون في مدن جامعية ليقضوا يومهم مع الدراسة ، وليلهم مع الزملاء والمذاكرة .

وفى كثير من المدارس يكون نظام اليوم الكامل ... وهناك بعض التجمعات الدينية والسياسية الذين يربون إتباعهم على منهج خاص ، ويربونهم تحت إشرافهم طوال الوقت ... وهكذا

والخطيب الناجح هو الذي يفهم جمهوره قبل أن يلتقى به ، ويتقن معرفة البيئة التي تأثر بها ، ويعد خطبته لتلائم مستمعيه .

إن الخطيب يحتاج إلى استعمال ألفاظ معينة ، ويسوق تشبيهات لتوضيح فكرته ، وحتى تكون مفهومة لابد أن تلامس إفهام المستمعين وأن تكون معلومة لديهم ، وذلك لا يكون إلا إذا نبعث من البيئة التي يعيشون فيها .

ومن هنا وجب عل الخطيب أن يكون محيطا بالبيئات المهنية للمستمعين.

الباب الثانى

فقــه الجمعــة والعيــديـن

تمهيـــد

يوم الجمعة أحد أيام الأسبوع فى دورته الفكلية يسبق بيوم الخميس ، ويعقبه يوم السبت .

وهو أول أيام الأسبوع عند المسلمين حيث خصهم الله به ، وشرع لهم الخطبة والاجتماع في يومه ، فسبقوا بذلك غيرهم من أهل الكتاب .

وقد فرض الله على المسلمين صلاة الجمعة فى يومها ، وفرض معها الخطبة لتكون مدرسة يتعلم منها المسلمون دينهم ، وملتقى يتعارفون خلالها على إخوانهم ، وجمعا يتدارسون أثناءه قضايا أمتهم ، متعاونين كرماء .

وكما شرع الله يوم الجمعة شرع العيدين ، عيد الفطر وعيد الأضحى لإدخال الفرحة في قلوب المسلمين ، وإعلانها للناس بعد الانتهاء من عباداتهم .

وفى العيدين يسمع المسلمون خطيبهم يهنئهم بالعيد ، ويبين لهم أحكامه ، ويذكر بالفرحة الكبرى عند لقاء الله تعالى ، ويوجههم إلى ضرورة المحبة والتعاون بين المسلمين في يوم العيد العظيم .

وقد حاولت في هذا الباب دراسة فقه الجمعة والعيدين لأبين أهم الأحكام الشرعية لهما ، وأربط هذه الأحكام بالصورة الإسلامية الاجتماعية المستفادة من الأحكام الشرعية .

وقد تكون الباب من فصلين ، حيث جاء الفصل الأول للجمعة والثانى للعيدين . وذلك فيما يلي :

الفصل الأول

فقـــه الجمعـــة



تمهيــد

إن يوم الجمعة هو أفضل الأيام وأحسنها عند الله تعالى ، فقد جعله الله عيدا للأمة الإسلامية .

ففيه وحده الأمة حين تلتقى كلها على منسك واحد ، مجتمعة فى بيوت الله ، لتعلم دينها ، وتقف على كافة شئونها . حيث ينتشر الدعاة في كافة المساجد يخطبون ويرشدون .

وفى يوم الجمعة يكون الخضوع التام لله إذ يجتمع الناس يؤدون فرضهم ويعلمون دينهم عبادا لله . خاشعين خاضعين ، ترفرف عليهم السكينة . وتنزل عليهم الرحمة ، ويعمهم الخير والتوفيق .

ولأهمية الجمعة فى الحياة الإسلامية عقدت هذه الدراسة لفهم كل ما يتعلق بها من حكم وتشريع . ليكون دليلا للمسلم يفهم من فقه هذا اليوم العظيم مقاصد الإسلام . وإصلاحه للعالمين .

وقد جعلت هذا الدراسة مع الحديث عن قواعد علم الخطابة لشدة الصلة بين الجمعة والخطبة . فأبرز ما فى يوم الجمعة هو الخطبة،وقصد التجمع خلال اليوم هو لسماعها ،حتى أن كل بحث يقدم فى المحيط الإسلامى عن الخطبة هو محاولة للنهوض بخطبة الجمعة ،والاستفادة بها على الوجه الذى شرعت له .

والحديث عن فقه الجمعة متشعب الجوانب . متعدد الجهات ، ولذا سأقتصر على أهمها مع المحافظة على تقديم روح هذا الفقه مدعما بالنصوص والآثار ، وذلك فى المباحث التالية :

المبحث الأول : اسم الجمعة .

المبحث الثانى : فضل يوم الجمعة .

المبحث الثالث : قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة .

المبحث الرابع : شروط الجمعة وإيجابية الجماعة .

المبحث الخامس : خطبة الجمعة .

المبحث السادس : نماذج من الخطب المأثورة .

المبحث الأول

اســـم الجمعـــة

كان للعرب يوم قبل الإسلام يعرف بيوم " العروبة " بفتح العين ومعناه " البيان العظيم " يقول الشاعر العربى :

نفسى الغداة لأقوام لهم خلطوا   يوم العروبة أورادا بأوراد

وهو أحد أيام الأسبوع عندهم . اختاره كعب بن لؤى جد رسول الله ﷺ ليجمع الناس فيه ، يعلمهم مكارم الأخلاق ، ويذكرهم بمبعث النبى ﷺ ويعرفهم أنه سيكون من ولدهم ، ويأمرهم باتباعه ، والإيمان به إذا بعث فيهم . ومن أقواله :

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته   إذا قريش تبغى الحق خذلانا

وظل العرب يخصون يوم العروبة هذا بالاجتماع فى الأمور الهامة حتى جاء الإسلام فغير اسمه إلى يوم الجمعة ، وفرض على المسلمين الاجتماع فيه للصلاة واستماع الخطبة .

والجمعة تنطق بضم الجيم وضم الميم ، أو فتحها ، أو تسكينها ، والجمعة تعنى الاجتماع سميت بذلك للدلالة على ما حدث ويحدث فيها .

يروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " **إنما سمى يوم الجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام .**

يقول النبى النبى ﷺ : **يا سليمان ما تدرى ما يوم الجمعة .**

قلت : **الله أعلم ورسوله أعلم .**

قال ﷺ : **إنه يوم جمع أبوك أو أبوكم** "[١] .

وقيل إنما سميت جمعة إشارة لما كانت تصنعه قريش فيها حيث تجتمع

١- عمدة القارئ جـ٦ صـ١٦١

إلى قصى فى دار الندرة فى هذا اليوم . وكان كعب بن لؤى يجمع فى هذا اليوم قومه يذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم . ويخبرهم بمبعث محمد ﷺ . وهو بهذا الاسم كان موجودا عند العرب قبل الإسلام ولو بمعناه .

وقيل سمى هذا اليوم بالجمعة لأن القيامة ستكون فيه حيث يجتمع فيه الناس لرب العالمين .

وقيل إن التسمية كما هى إسلامية الوجود . فهى إسلامية السبب لأنه مأخوذ من الاجتماع للصلاة والخطبة .

وأول من سمى اليوم بالجمعة هم الأنصار فى المدينة ، إذ قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام . وكذا للنصارى فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلى له ، ونشكره فجعلوه فى يوم العروبة المعلوم لديهم ، فلما فرضت الصلاة والجمعة فى هذا اليوم سمى بالجمعة .

وظل العرب يسمون اليوم بيوم العروبة فلما اجتمعوا إلى أسعد بن زراره صلى بهم ركعتين ، وذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه . وذبح لهم أسعد شاة فتغذوا وتعشوا من شاة وذلك[١] لقلتهم ، فأنزل الله فى ذلك بعد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝[٢] ﴾ .

وليس هناك مانع من وجود هذه الأسباب جميعا إذ لا تناقض بينها ، ووجود أحدها كاف فى التعليل .

ثم يوم الجمعة يكون بمعنى اسم المفعول أى المجموع فيه . ويكون بمعنى اسم الفاعل أى الجامع للناس . والتاء فى الجمعة ليست للتأنيث وإنما هى للمبالغة كعلامة ورجالة ولذلك وصف بها المذكر[٣] .

١- عمدة القارئ ـــ كتاب الجمعة جـ٦ صـ١٦١

٢- سورة الجمعة آية ٩

٣- لسان العرب مادة " جمع "

المبحث الثانى

فضــل يــوم الجمعــة

وردت آثار عديدة تشير إلى فضل يوم الجمعة على غيره من الأيام ، وتبين قيمة الأعمال الصالحة فيه ، ففيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه ساعة إجابة ، وبه تميزت الأمة الإسلامية وسبقت سواها من الأمم ، ومن هذه االآثار :

أ – يروى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله قال : " **سيد الأيام يوم الجمعة وهو أعظمها عند الله تعالى** "[١] .

ب – عن سعد بن عبادة رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ وقال : **أخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير ؟**

قال ﷺ : **فيه خمس خلال .**

خلق الله فيه آدم عليه السلام .

وفيه أهبط الله وفيه آدم عليه السلام إلى الأرض .

وفيه توفى الله فيه آدم عليه السلام .

وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أتاه الله تبارك وتعالى إياه ما لم يسأل حراما .

وفيه تقوم الساعة .

ما من ملك مقرب ، ولا سماء . ولا أرض . ولا رياح . ولا جبال ولا بحر . إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة[١] ... وسبب الاشفاق أن الملائكة ترقبهم إلى قيام الساعة فى هذا اليوم .

١- أيام الأسبوع السبعة عند العرب قبل الإسلام هى : (شبار ، أول ، أهون ، جبار ، دبار ، مؤنس ، عروبة)

ج ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : "ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر "[٢] . وهذا يعنى أنه يسأل ولكنه لا بفتن فى القبر ، أو يسأل سؤالا يسيرا.

د ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل لله عز وجل فيها إلا أعطاه إياه ، وهى بعد العصر " .

وهذه الساعة تعرف بساعة الإجابة .

وقد إستشكل هذا الحديث مع حديث آخر ذكر فيه رسول الله أن الساعة يوافقها المسلم (**وهو فى صلاة**) ، وقد وردت هذه الزيادة عن بعض الصحابة منهم سريج رضي الله عنه فقال لسعيد الخدرى . إن رسول الله قال فى صلاة . وليست بساعة صلاة .

فرد عليه : **أو لم تعلم أن رسول الله ﷺ قال : " منتظر الصلاة فى صلاة "** .

قال له : **بلى هى والله هى**[٣] .

وهذه الساعة تتكرر كل أسبوع .

ه ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول : " **ليلة الجمعة غراء ويومها أزهر** "[٤] أى ليلته مشرقة ويومه مضئ لكثرة نزول الملائكة فى الأرض يستغفرون للناس . ويباركون لأهل الأرض .

و ــ عن أوس بن أبى أوس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

١- الفتح الربانى . باب فضل الجمعة جـ٦ صـ٢ والمراد بالأيام أيام الأسبوع . لأن يوم عرفه أفضل أيام السنة .

٢- الفتح الربانى جـ٦ صـ٩

٣- بلوغ الأمانى جـ٦ صـ١٤

٤- الفتح الربانى . باب فضل الجمعة جـ٦ صـ١٠

الصعقة ، فأكثروا على الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على"[1] أى تعرضها الملائكة على رسول الله كما تعرض الهدية على صاحبها فيستبشر لذلك ، ويستغفر لصاحبها من المسلمين .

ز – يروى البخارى بسنده عن ربيعة بن الحارث أن أبا هريرة رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد "[2] والمراد بهذا الحديث أننا برغم تأخرنا الزمانى فإننا السابقون منزلة بلا انقطاع إلى يوم القيامة .

وهذه الأحاديث وغيرها تشير إلى فضل يوم الجمعة . وتوضح وقت الخير لمن يريده ، وتدعو المسلمين إلى التسابق فيه بالطاعة والصلاة على رسول الله ﷺ ، والإكثار من الدعاء ، وتذكر ما وقع فى هذا اليوم ، وما سيقع فيه ليعرف الإنسان قصة خلقه الأولى ، وصورة نهاية الكون كله . ويعلم ما ينتظره فى قبره من سؤال وحساب .

ومعنى هذا أن المسلم لو عاش فى الخصائص التى أشرت إليها ، وتدبر فيها ، وحاول أن يتعظ بها ، لعاش بحق منهج هداية حسن ، وسعد بعبوديته لله رب العالمين .

إن هذه الخصائص تبين بعض الحكمة فى اختيار يوم الجمعة ليكون عيدا أسبوعيا يشغله المسلمون بالعبادة . ويجددون به روحهم وأملهم فى الدنيا وفى الآخرة ، ويعلمون أنهم الأعلون عند الله لو كانوا صادقين .

١- المصدر السابق . باب فصل الجمعة جـ٦ صـ٩

٢- صحيح البخارى – كتاب الجمعة . باب فرض الجمعة جـ٢ صـ١٥٧

المبحث الثالث

قيم إسلامية
من خلال فقه الجمعة

توضح تشريعات الإسلام ليوم الجمعة عظمة الإسلام وسموه فى بعض الآداب والقيم الاجتماعية التى يبنى بها المجتمع على الحب والمودة ، ويبنى بها الفرد على الصفاء والاخلاص والوفاء . ومحاولتى هذه لإبراز هذه الآداب مرتبطة بالبشر ومعرفة الأحكام الفقهية من أجل إبراز الحقائق التالية :

١ـ الإسلام دين الحياة ينظم العبادة ، وفى نفس الوقت يسوس الدنيا ولا يعرف الإسلام أبدا الانفصال بين العقيدة والشريعة فيه ، ولا صحة قول بغير هذا .

٢ـ الإسلام علم وسلوك ، ثقافة وتطبيق ، تعليم وتربية ، وعلى المتدين به أن يكون مسلما بباطنه وقوله وعمله .

٣ـ منهجية الإسلام فى نشر تعاليمه تتفق مع طبيعة الإنسان وفطرته ، بحيث لا يعاديها إلا معاند جاحد أو جاهل حاقد . وأمرهم إلى الله تعالى . مالك الملك ، القادر على كل شئ سبحانه وتعالى .

وهذه الحقائق وغيرها تبرز بروزا واضحا من خلال القيم الإسلامية التى يربى الفرد عليها من خلال تعاليم الإسلام وتشريعاته ليوم الجمعة . ومن أهم تلك القيم ما يلى :

أ ـ الجماعة :

أجمع الفقهاء على أن الله فرض صلاة الجمعة لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ

ﮋذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ [١]ﮊ . فإن الأمر فى الآية للوجوب ولقول النبى ﷺ " **واعلموا أن الله فرض عليكم صلاة الجمعة** " ، وقوله ﷺ " **الجمعة على من سمع النداء** " ولقوله ﷺ "**على فرضية الجمعة على الأمة الإسلامية**" " **رواح الجمعة واجب على كل محتلم** "[٢] ، وعلى فرضية صلاة الجمعة إجماع الأمة من لدن رسول الله إلى يومنا هذا من غير نكير . فدل ذلك على فرضية الجمعة على الأمة الإسلامية .

وهذه الفريضة لا تصح إلا في جماعة ، وهى صلاة أسبوعية يتحتم أن يتجمع لها المسلمون في بيت الله تعالى . ليعرف بعضهم بعضا ، ويساهم كل منهم في معونة إخوانه . حيث يجمعهم قصدهم وجه الله تعالى ، فهم لم يقصدوا جاها دنيويا ، أو كسبا ماليا ، أو غرضا زائلا من أغراض الحياة الدنيا .

إن المسلم يلتقى مع أخيه في المسجد ليصنع معه أساسا متينا للمجتمع الصالح ، وحتى يؤدى هذا اللقاء دوره نجد الإسلام يحسن للمسلمين التبكير في الذهاب للمسجد يوم الجمعة . فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "**إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد فكتبوا من جاء الجمعة فإذا خرج الإمام طوت الملائكة الصحف** " . **فقال رسول الله ﷺ : المهجر إلى الجمعة كالمهدى بدنة . ثم كالمهدى بقرة . ثم كالمهدى شاة . ثم كالمهدى بطة . ثم كالمهدى دجاجة . ثم المهدى بيضه** "[٣] . وهكذا يؤدى الحضور المبكر إلى الحصول على ثواب أكثر ، وهذا ترغيب فيه مما يؤدى بالضرورة إلى التعارف والتآلف الذي هو أحد أسباب مشروعية الجماعة في الجمعة ... ومن المكث الطويل في جوار الله يكون الخير ، والتعاون ، الأخوة الصادقة في الله تعالى .

١- سورة الجمعة آية ٩

٢- عمدة القارئ جـ٦ صـ١٦٢

٣- سنن أبى داود . باب فضل الجمعة جـ١ صـ٢٤٢

ومن أجل الالتزام التام بفريضة الجمعة نرى الترهيب من التخلف عنهـا ومن التأخير في الحضور إليها . يقول على بن أبى طالب رضي الله عنه : " **إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق فيرمون الناس بالترابيث ويثبطونهم عن الجمعة** " . والترابيث هي الشواغل النفسية التي تحبس الإنسان عن الذهاب إلى المسجد . فكأن المسلم الذي يكسل عن الجمعة بالتأخير أو التخلف يسلم أمره للشيطان ، وهذا غاية السوء . ورسول الله ﷺ يشدد على التهاون في الذهاب للجمعة ويبين أثره السئ حتى لا يحدث جحود في القلب وجهالة في العقل . يقول عليه الصلاة والسلام : " من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه "[١] . وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: " وهو على أعواد منبره : **لينتهين أقواما عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله عز وجل على قلوبهم . وليكتبن من الغافلين** "[٢] . والمراد بالطبع على القلب والختم عليه فقد التوفيق ، والبعد عن الخير ، والإحساس بالغفلة ، وعدم الشعور بالواجب والمسئولية .

إن التخلف عن الجمعة سببه الانشغال بالمادة والخوض في متاهات الدنيا ، والبعد عن ذكر الله تعالى . واللجوء إليه . والتسليم التام بقدره وقضائه وفى هذا تصوير بديع يبينه الرسول الكريم فيقول ﷺ : " **يتخذ أحدكم السائمة فيشهد الصلاة في جماعة فتتعذر عليه سائمته . فيقول لو طلب لسائمتى مكانا هو أكلأ من هذا . فيتحول ولا يشهد إلا الجمعة فتتعذر عليه سائمته . فيقول : لو طلبت لسائمتى مكانا هو أكلأ من هذا . فيتحول فلا يشهد الجمعة ولا يشهد الجماعة فيطبع على قلبه** "[٣] .

والسائمة هي الماشية التي ترعى بلا كلفة . ومعنى الحديث أن الرجل تشغله الدنيا ويهتم بها فيهجر الجماعة مكتفيا بالجمعة . ثم يهجر الجمعة بعد

١- سنن أبى داود . باب التشديد في ترك الجمعة

٢- الفتح الربانى . باب التغليظ في ترك الجمعة جـ٦ صـ٢١

٣- المصدر السابق

ذلك من شدة حرصه على الدنيا وحينئذ يضيع منه كل شئ ويمتلئ قلبه بالنكران والجحود .

لقد وصل العلماء في العصر الحديث إلى ضرورة التجمع البشرى في أطر كثيرة كالنادى والرحلات ومعسكرات العمل وغير ذلك لإحداث تفاعل اجتماعي بين الجماعة الواحدة ، والخلق شعور واحد . كما ينادى العلماء بشحذ الهمم . وتركيز الانتباه نحو هدف مشترك وهو ما يوجد في التجمع نحو حزب أو وطن أو قومية وهكذا .

إن الإسلام سبق كل هذه المحاولات البشرية بتشريع الله للجمعة والجماعة وغير ذلك . وهو بهذا يوجد التجمع الأصيل المؤثر ، النابع من القلب المرتبط بأهداف عليا رسمها الخالق سبحانه وتعالى .

إن تجمع الإسلام يتم في سكينة وخشوع وفى إطار الخضوع لله ، مع التجرد التام من كل غرض مادى . وهذا يورث في المجتمعين الصدق والاستمرار ، بخلاف ما اخترع من اجتماعات ترفيهية إذ فيها ينتشر الهوى ، وتوجد ألوان من المتع العدوانية على المحارم والحقوق ، وهذه لا تنتج إلا الآلام والشقاق .

كم سمعنا عن لقاءات تطول أياما وشهورا لتعويد الأفراد حب نظام ، ونشر منهج ، والولاء لشخص ، ولكن الأفراد سرعان ما يختلفون بعد انتهاء اجتماعهم لضحالة الهدف . وقلوبهم شئ .

ثم ما هي المرغبات لهذه الاجتماعات البشرية المخترعة ؟

إنها جزاء مادى بسيط سريعا ما ينتهى ويزول .

وأيضا ما هي العقوبات لمن يقبل مخلصا على الاشتراك الجماعى في هذه اللقاءات ؟

لا وجود للعقوبات على هذا إذ لا عقوبة في القانون إلا بجريمة . ولا جريمة لمن ينعزل ويتوارى في نظر البشر .

أما اجتماع الجمعة فهو عبادة مفروضة يحقق السعادة في الدنيا والفــوز

في الآخرة . كما أنه يحرم البيع وكل صناعة وعمل في وقت الجمعة ليندفع المسلمون جميعا إلى التجمع في مسجدهم لله وفى الله رب العالمين .

ومن حكمة التشريع أن من يتخلف عن الجمعة ويغيب عن هذا العيد الأسبوعى عليه أن يتحمل غرما ماليا يعود على الجماعة كصدقة حتى يتحقق للمسلم دور اجتماعي بالضرورة . فعن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار** "[١] ، وهذا المال المتصدق به كفارة تمحو ذنب التخلف عن الجمعة لأنها ما سميت كفارة إلا لتكفير الذنب عن مرتكبه لا سيما وأنه خاص بحق الله تعالى . والله عز وجل جعل له كفارة فمن أداها قبلت منه ، ولا حرج على فضل الله تعالى ، ومن لم يؤدها صار مستحقا للعقاب الوارد في ذلك .

ب ــ إيجاد التآلف في الجماعة :

تشريع الإسلام للجماعة في الجمعة محاط بعوامل عديدة تنشر التآلف ، وتشجع على التقرب . وتمنع عوامل النفرة والكراهية . ومن حكمة الله تعــالى أن وضع هذه العوامل في إطار حكم شرعى له ثوابه عند الله ، وله نتيجة الخير عند الناس في الدنيا .

ومن هذه العوامل المشروعة الأمر بالنظافة التامة يقول النبي ﷺ : " من أتى الجمعة فليغتسل "[٢] والفقهاء مختلفون في حكم الغسل للجمعة .

ذهب الظاهرية والإمام مالك إلى أن الغسل للجمعة واجب لابد منــه ــ لأن صيغة الحديث الذي معنا جاءت بالأمر والأمر يفيد الوجوب .

وقال جمهور الفقهاء : حكم الغسل يوم الجمعــة الاســتحباب والنــدب لقوله ﷺ : " **من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل** "[٣] .

١- سنن النسائى . باب كفارة من ترك الجمعة من غير عذر جــ٣ صــ٢٤

٢- سنن الترمذى . باب ما جاء في الاغتسال يوم الجمعة جــ٢ صــ٣٦٤

٣-الفتح الربانى جــ٦ صــ٥٠

ورأى الجمهور أولى بالقبول لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترك عثمان يصلى الجمعة بالوضوء فلو كان الغسل واجبا ما اكتفى عثمان بالوضوء . وما تركه عمر يصلى . وحينئذ يكون الأمر في الحديث مصروفا عن حقيقته بالأحاديث الأخرى[١] .

إن النظافة بصورة عامة تبعث عن الإشراق النفسى ، وهدوء الأعصاب وتريح التفكير ، وتبحث على الطمأنينة والثقة ولذلك وجدنا علماء الاجتماع المعاصرين ينادون بضرورة النظافة والتجمل وبخاصة لأولئك الذين يتصدون لقيادة الناس[٢] . ويكفى إلقاء نظرة على مجموعة من الأطفال في مدرسة ابتدائية نجد أن النظافة أحد عوامل النشاط والقرب النفسى . لأنه لو حدث أن وجد طفل غير نظيف فإنه ينعزل ويبتعد عنه أقرانه .

إن النظافة عامل فطرى له أثره النفسى داخل الجماعة ، ولذلك شرع الإسلام الغسل لمن يذهب لجماعة الجمعة .

ومن عوامل التأليف الاجتماعى توجيه المصلين إلى لبس أحسن الثياب والتطيب يقول النبي ﷺ : " **إن الغسل يوم الجمعة على كل محتلم ، والسواك ، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه** "[٣] ، ويقول ﷺ : " **إن من الحق على المسلمين أن يغتسل أحدهم يوم الجمعة وأن يمس من طيب إن كان عند أهله فإن لم يكن عندهم طيب . فإن الماء أطيب** "[٤] .

يقول ابن قيم الجوزية : " الطيب غذاء الأرواح . والقوى الإنسانية تزداد بالطيب لأنه ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة . ويفرح القلب ويسر النفس . وينشط الروح . ولذلك كان الطيب أحد المحبوبين إلى أطيب الطيبين رسول الله ﷺ .

١- أنظر الفتح الربانى جـ٦ صـ١ ـ ٥٣

٢- كيف تكسب الأصدقاء صـ٢٣٠

٣- سنن النسائى . باب الهيئة للجمعة جـ٣ صـ٧٨

٤- الفتح الربانى . باب الغسل للجمعة جـ٦ صـ٥

وفى صحيح البخارى أنه ﷺ كان لا يرد " الطيب " .

وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قوله : " **من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه طيب الريح . خفيف المحمل** " .

وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "**من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه خفيف المحمل . طيب الرائحة** " . وفى الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه . والشياطين تنفر عنه . وأحب شئ إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة،فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة . والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة،وكل روح تميل إلى ما يناسبها . فالخبيثات للخبيثين . والخبيثون للخبيثات.والطيبات للطيبين . والطيبون للطيبات وهذا وإن كان في النساء والرجال ــ فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والروائح.إما بعموم لفظه . أو بعموم معناه "[١] .

إن حرص الإسلام على تهيئة المسلم لصلاة الجمعة من أجل إحداث قربى بين المصلين لأنهم يجتمعون كإخوة لله تعالى يتوادون ويتعاطفون ويتراحمون كأنهم جسد واحد .

ومن عوامل التأليف الاجتماعى لجماعة الجمعة ما شرعه الإسلام من آداب يؤديها المسلم إذا جاء للمسجد .

ومنها أن من كان جالسا بالمسجد وغلبه النماس فليتحول من مكانه ويترك المسجد لأن المقصود من الحضور هو المشاركة الاجتماعية ، وأى عمل يبعده عن ذلك يجب الابتعاد عنه . يقول النبي ﷺ : " **إذ نعس أحدكم في المسجد يوم الجمعة فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره** "[٢] ، وذلك حتى يذهب النعاس . وينشط عقله وجوارحه ، ويقاس على النوم كل ما يؤدى إلى الغفلة .

ومن الآداب أن يجلس من يأتى إلى المسجد حيث انتهى به المجلس فلا يتخطى رقاب الناس . ولا يفرق بين اثنين متجاورين . وقد شدد النبي ﷺ على

١- الطب النبوى صـ٢١٥ ، ٢١٦

٢- الفتح الربانى جـ٦ صـ٧٥ . باب الجلوس في المسجد للجمعة

هذا فقال : " من تخطى المسلمين يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم " [١] . ورأى النبي ﷺ رجلا يتخطى رقاب الناس فقال له : " **اجلس فقد آذنــت وآنيــت** " . وإن كان هذا في تخطى الرقاب فمن باب أولى يمنع أن يقــيم الــداخل غيــره ليجلس مكانه . ولكن له أن يطلب التوسعة .

وقد اختلف الفقهاء في حكم تخطى الرقاب يوم الجمعة ، فقال بعــضهم هو حرام ، وقال آخرون : هو مكروه .

وعلى الجملة فإن كل منفر للنفس ، وكل مضعف للألفة . ينهى الإسلام عنه . حتى يتحقق من الاجتماع في المسجد التعاون المطلوب ، والمحبة الواجبة بين المسلمين جميعا بلا فرق بين غنيهم وفقيرهم. ولا بين صغيرهم وكبيــرهم فهم جميعا متساوون بين يدى الله تعالى .

١- الفتح الربانى جــ٦ صـــ٧١ . باب الجلوس في المسجد للجمعة

المبحث الرابع

شروط الجمعة

وإيجابيـــة الجماعـــة

يهدف الإسلام من فرض الجمعة ومشروعية الجماعة إلى تكوين مجتمع صالح متماسك . يعمل الفرد فيه لمصلحة الجماعة ، وتحرص الجماعة علـــى حفظ حق الفرد وصيانته . ولذلك وضع الإسلام شـــروطا لفرضـــية الجمعـــة وشروطا لصحة أدائها . وكلها توصل إلى تحقيق الإيجابية المطلوبة في هـــذا الاجتماع الأسبوعى الهام .

وهنا أفضل آراء الفقهاء في شروط الجمعة . سواء بالنسبة لفرضيتها أو لصحتها . وبعدها استنبط الحكم والفوائد المترتبة على هذه الشروط .

ومن المعلوم أن شروط الجمعة نوعان . **أولاهما : شروط الوجوب** وبها تفرض صلاة الجمعة على من استجمع هذه الشروط .

وثانيهما : شروط الصحة . وهى التي لا تصح الصلاة إلا بها .

وكلا النوعين يؤدى دوره في حياة الجماعة المسلمة . ويحقق الإيجابية المطلوبة .

ـ أولا ـ

شروط وجوب الجمعة

وشروط الوجوب هي التي تحقق الوجوب ، وتلزم من تتجمع فيه بضرورة أداء صلاة الجمعة لأنها صارت واجبة عليه بهذه الشروط .

يذهب جمهور الفقهاء إلى أن الجمعة فرضت بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ

فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾[1] . وهذه الآية مدنية فلزم أن يكون زمن ما شرع بها بعد الهجرة إلى المدينة المنورة .

ومن الفقهاء كالغزالى وابن حجر وغيرهما من يرى أنها فرضت بمكة قبل الهجرة مع سائر الصلوات إلا أن المسلمين لم يقوموا بأدائها لعجزهم عن التجمع لأدائها ، ولما تعذر الاجتماع لها لم تؤد قبل الهجرة .

ويمكن جمع الرأيين بأنه طلب فعلها قبل الهجرة ولم يتحقق لها الوجوب لانعدام بعض شروطه ، فلما تحققت الشروط بعد الهجرة وجبت . وليس هناك ما يمنع من أن طلب أدائها حدث بوحى غير هذه الآية ، نزل قبلها .

يروى الدارقطنى بسنده عن ابن عباس **أن رسول الله ﷺ أذن له في الجمعة قبل أن يهاجر فلم يستطع أن يجمع بمكة . فكتب إلى مصعب بن عمير أما بعد . فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين .**

وبهذا يكون مصعب بن عمير أول من صلى بالناس الجمعة في المدينة بعد ما جمعهم أسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين ، وهذا يدل على فرضيتها والمسلمون بمكة .

ولكـــــن .

ما شروط فرضية الجمعة ؟

وما دورها في تحقيق غاية الاجتماع في يوم الجمعة ؟

أما شروط فرضية الجمعة فهى :

١ــ البلوغ :

وهو شرط أجمع عليه الفقهاء لأنه أساس التكليف مطلقا ، فلا جمعة على صغير لم يبلغ الحلم ، وإن صلاها جازت صلاته . ويستحب تعويد الأبناء

١- سورة الجمعة آية ٩

المميزين على حب المسجد ، ومعرفة آداب الإتيان إليه من نظافة وخشوع ... ولا ينبغى مطلقا إهمال الصغار . وتركهم أمام تيارات الغزو الفكرى توجههم صباح مساء ، بل على الآباء أن يحببوا المسجد إلى أبنائهم ويعودوهم آدابه والانتفاع به حتى إذا ما بلغوا أدركوا ما فرض عليهم وأدوه عن اقتناع ورضى.

٢ـــ العقل :

وهو شرط مجمع عليه من الفقهاء لقوله ﷺ : " **رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يبرأ أو يعقل** "[١] .

ومعنى هذا الحديث أن التكليف الشرعي منعدم مطلقا بالنسبة لهذه الأصناف الثلاثة . ورفع القلم كناية عن عدم التكليف ، ورفع التكليف لا يقتضى سبق التكليف كما قد يتبادر . وإنما آثر النبي ﷺ التعبير بالرفع في الحديث إشعارا بأن التكليف لازم لبنى آدم جميعا إلا لهؤلاء الثلاثة . وأن صفة الرفع لا تنفك عن غيرهم .

ووجه استدلال الفقهاء بالحديث أن جميع البشر مكلفون مندوبون إلى فعل الخير . مأمورون ومنهيون . متوعدون بالنار . وموعودون بالجنة . يحتاجون إلى إنقاذ أنفسهم . الكل في ذلك سواء . لأنهم جميعا مكلفون لا يخرج من ذلك إلا من أخرجهم الحديث . ورفع عنهم التكليف ، وقد أخرج الحديث ثلاثة أصناف من هذا التكليف فدل على أنهم غير مكلفين . غير مخاطبين بالأوامر والنواهى . وبالتالى لا جمعة على المجنون[٢] .

٣ـــ الإسلام :

وهو شرط أجمع عليه الفقهاء لأن التكليف لا يكون إلا بعد الدخول فـــي

١- مسنده الإمام أحمد انظر الفتح الربانى جـ١٥ صـ١٠٣

٢- المجنون شخص فاقد للعقل بالكلية لا يفهم ولا يدرك ولا يفرق بين الأمور والأشياء والجنون قد يكون مطبقا وقد يكون غير مطبق . وكلاهما سبب لرفع التكليف ، إلا أن المجنون في حالة إفاقته يعتبر عاقلا مكلفا . فإن طالت إفاقته لوقت صلاة وجبت عليه . ولو كانت الإفاقة في يوم الجمعة أداها . (تبيين الحقائق جـ٥ صـ١٩١)

الإسلام ، وكل من لم يدخل في الإسلام يتجه إليه التبليغ ليؤمن بالله سبحانه وتعالى . ويصدق برسالة سيدنا محمد ﷺ . فإذا ما صدق بذلك كلف بالأوامر والنواهى ، ومن هنا كان شرط الإسلام شرطا للتكليف عند جميع الفقهاء[١] .

٤ـــ الذكورة :

وهو شرط مجمع عليه عند الفقهاء ، حماية للمرأة من مزاحمة الرجال ، ولانشغالها في خدمة زوجها وأبنائها ولقوله ﷺ : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا على امرأة أو مسافر أو عبد** "[٢] فدل هذا الحديث على أنه لا جمعة على المرأة .

وهذا الشرط فيه دلالة على تكريم الإسلام للمرأة حيث رفع عنها الجمعة مراعاة لوضعها . ومنعا من وقوعها في الحرج والمشقة فإذا انتقى الحرج . وتمكنت المرأة من أداء الجمعة في مصلى خاص بها جاز لها الصلاة لما روى عن الحسن البصرى أنه قال: " **كن النساء يجمعن مع رسول الله ﷺ ويقال لهن لا تخرجن إلا تفلات غير متطيبات** "[٣] وذلك حتى لا يؤذيهن أحد ، ولا يؤذى بهن أحد .

ومن المقرر بالمشاهدة والواقع أن خروج المرأة في الطريق ، واختلاطها بالرجال مثير للفتنة في حد ذاته يدفع الرجال والشباب إلى الفساد والشر ... وتلك حقيقة لا يمارى فيها إلا مجادل كذوب . ولذلك كان مناسبا للفطرة والمصلحة أن تعفى المرأة من التكليف بالجمعة والجماعات .

٥ـــ الإقامة :

فلا تجب الجمعة على غير المقيم ببلده لأن في السفر مشقة . فلا تجمع مشقة السفر إلى مشقة الحضور للجمعة ، وأيضا فإن المسافر يكون مشغولا

١- من أسلم ثم ارتد عليه القضاء بعد عودته للإسلام في رأى جمهور الفقهاء وأن مات في ردته فهو كافر

٢- المهذب جـــ١ صـــ١١١

٣-بدائع الصنائع جـــ١ صـــ٢٥٩

بمهام معينة مرتبطا بقافلته ، ومواعيد رحيلها،وهكذا يجعل التزامه بالجمعة بما فيها من خطبة وصلاة وذكر أمرا عسيرا . ولكن أبيح لغير المقيم ترك الجمعة والإكتفاء بصلاة الظهر ، لكن إن صلاها أجزأته عن الظهر ولا يعيده .

وجمهور الفقهاء على هذا الشرط .

ويذهب ابن حزم . والزهرى والنخعى إلى وجوب الجمعة على المسافر لعموم آية التكليف .

ويجاب عليهم بأن النبي ﷺ كان يسافر ولا يصلى الجمعة في سفره ، وقد وقع ذلك منه في حجة الوادع حيث كان يوم عرفة يوم جمعة ، فجمع النبي ﷺ الظهر والعصر ولم يصل الجمعة .

والشافعية يرون أن السفر لمعصية لا يسقط الجمعة عن العاصى لأن الإسقاط جاء مراعاة لمصلحة المسافر . والعاصى لا تراعى مقاصده ومصالحه.

ويعتبر الشخص مقيما إن سافر لمصر ونوى الإقامة فيه مدة أربع أيام فصاعدا عند الشافعية والمالكية والحنابلة ، ومدة خمسة عشر يوما عند الأحناف بشرط أن لا يدخل في هذه الأيام يوم دخول المصر إن وقع بعد صلاة الفجر ، أو العشاء وضابطه أن يأتى عليه في اليوم بعد إقامته خمس صلوات . وهى فرائض اليوم[١] .

٦ـ الحرية :

اشترط الفقهاء لوجوب الجمعة حرية المكلف بصورة كاملة . فلا جمعة على عبد أو مكاتب لأنه يكون في عمل سيده . ولقول النبي ﷺ : " **حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة . عبد مملوك . أو امرأة أو صبى . أو مريض** " وجرى على ذلك إجماع الفقهاء ما عدا الظاهرية فإنهم ذهبوا إلى أن على العبد أن يذهب إلى الجمعة بغير إذن سيده ، لأن آية التكليف عامة لم

١ـ الفقه على المذاهب الأربعة صـ٤٣٣ ـ ٤٤٠

تخصص عندهم بهذه الأحاديث ، ومن المعلوم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[١] .

٧ــ الخلو عن الأعذار :

يشترط لفريضة الجمعة أن يخلو المكلف من الأعذار التي تمنعه من الحضور للجماعة كالمرض ، والخوف ، والعمى ، وتقدر الأعذار بقدرها ، وهذا الشرط محل إجماع الفقهاء لأن التكليف على قدر الوسع والطاقة والمعذور لا يمكنه أداءها فتسقط عنه فرضيتها .

وهذه الشروط السبعة تتعلق بذات المكلف . وهى تعنى جملة من الحقائق من أهمها :

أ ــ مراعاة الإسلام للفطرة البشرية . فلا يكون تكليفه إلا ميسرا مع خلوة من العنت والحرج .

ب ــ ارتباط العبادة بالأخلاق . وكل ما يتصور منه إفساد أخلاقى يمنع تشريعه .

ج ــ ضمان حق الإنسان في إطار أداء العبادة . وأى عبادة يتصور منها تعطيل حق فهو تصور باطل .

د ــ تهيئة الجماعة للاستفادة القصوى من الجمعة وذلك بوضع شروط للمصلى يكون بها إنسانا إيجابيا قادرا على أداء دوره في المجتمع الصالح ، ومن هنا كان شرط الحرية وشرط العقل ، وشرط البلوغ من أجل مساهمة إنسان قادر على الفهم والحوار ، وقادر على تصور قضايا المجتمع الذي يعيش فيه وقادر على تنفيذ كل فكرة يقتنع بها في إطار الشرعية الإسلامية .

إن هؤلاء المجتمعين في المسجد يوم الجمعة يعيشون اجتماعا أسبوعيـــا

١- أنظر المحلى جــ٥ صـــ٥٧

دوريا يسمعون فيه أهم قضاياهم . ويفهمون حكم الإسلام فيها . ويسلم كل منهم على أخيه ويعرفه . ويعاونه . وبذلك يتكون المجتمع السعيد .

إن رجال النظم السياسية المعاصرين يرون ضرورة مساهمة المواطن في تنظيم أمور مجتمعه بإبداء رأيه في الانتخابات البرلمانية . وذلك إذا وصل سنه إلى سبع عشرة سنة تقريبا ، لأنها في نظرهم السن التي تمكنه من الفهم والتعبير .

إن الله سبحانه وتعالى وهو يفرض الجمعة يفرضها على كل بالغ حــر عاقل قادر على العطاء والمساهمة في البناء الاجتماعى ومن الممكن اعتبار شرط الإقامة دليلا على ضرورة فهم الواقع الذي يعيشه . لأن المسافر يكون في غير مجتمعه لا يدرك عنه شيئا . وليس من العدل مقارنة اجتماع الجمعة بأى اجتماع سياسى أو مقارنة شرط الاشتراك في الانتخابات بشرط فرضية الجمعة لأن البون شاسع والفروق عديدة ومتنوعة .

فاجتماع الجمعة يحدد الأطربين يدى الله تعالى . وفى بيته ، ومع تلاوة القرآن الكريم في خشوع وخضوع . واتجاه لله أن يعفو . ويصفح . ويغفر . ويوفق . أما الاجتماع غيره فإنه يتم بين النفاق والأكاذيب غالبا ، ومع المغريات والأهداف المادية الزائفة التي لا يصدق فيها إلا القليل .

إن اجتماع الجمعة يخلو من الزيف والوعود والعضو فيه في لحظة توبة صادقة مع الله ومع الناس . ولذلك كان رأينا أن شروط الفرضية في جملتها تحقق للجماعة ايجابية في الفهم . وفى السلوك وفى العمل الاجتماعى السليم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ ﴾[١] .

١- سورة الجمعة آية ٩

ـ ثانيا ـ
شروط صحة الجمعة

هي الشرط التي لابد منها لتقع الجمعة صحيحة . فإن أديت مع فقدان بعضها كانت باطلة . وهذه الشروط تتعلق بغير ذات المكلف وتدور حوله ومعه . وهى بدورها لها صلة بتحقيق التكامل والتآلف داخل المجتمع .

وشروط الصحة هي :

١ـ الوقت :

لا تصح الجمعة إلا إذا أديت في وقتها . وقد فصل الفقهاء الحديث فيه ، فالشافعية والأحناف يرون أن وقت الجمعة هو وقت الظهر[١] . فلا يجوز تقديمها على زوال الشمس . ولا يصح تأخيرها إلى دخول وقت العصر . لما روى عن النبي ﷺ أنه لما بعث معصب بن عمير إلى المدينة قال له : " **إذا مالت الشمس فصل بالناس الجمعة** " .

ورى أن النبي ﷺ كتب إلى أسعد ابن زرارة : " **إذا زالت الشمس من اليوم الذي تتجهز فيه اليهود لسبتها فازدلف إلى الله بركعتين** " .

وأيضا فإن الجمعة أقيمت مقام الظهر بالنص فيصير وقت الظهر وقتا للجمعة[٢] .

ومن المقرر عند المالكية أن وقت الظهر ممتد إلى قبيل غروب الشمس ولذلك جازت الجمعة عندهم إلى الغروب . لكن ذلك غير مسلم لهم من غيرهم.

ورأى الحنابلة أن آخر وقت الجمعة هو آخر وقت الظهر بغير خلاف عندهم . أما أول الوقت ففيه روايتان .

١- وقت الظهر محدد بالزوال وهو الوقت الذي تكون فيه الشمس في كبد السماء ونهايته إذا صار ظل كل شئ مثله أو مثليه .

٢- بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٩ ، والمهذب جـ١ صـ١١١

أولاهما أوله وقت العيد بعد شروق الشمس لحديث رواه عبد الله بن سيلان قال: " **شهدت الجمعة مع أبى بكر . فكانت صلاته وخطبته قبل أنصاف النهار . وشهدتها مع عمر بن الخطاب فكانت صلاته وخطبته وصلاته إلى أن أقول : قد زال النهار فما رأيت أحدا عاب ذلك ولا أنكره** " .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قوله : " **كان رسول الله ﷺ يصلى الجمعة فنذهب إلى جمالنا فتريحها حتى تزول** "[1] . **ولأنها يوم عيد فجاز أن يكون وقتها وقت العيد .**

والرأى الثاني للحنابلة كرأى الأحناف والشافعية وهو رأى الجمهور . الذي يرون في استدلال الحنابلة على رأيهم الأول ضعفا أو مبالغة .

ورأى الجمهور في الوقت يتضمن الوقت المتفق عليه ولذلك فالصلاة فيه تخرج صاحبها من الخلاف . ومن المعلوم أن الخروج من اختلاف الفقهاء أحسن . وفيه إبراء للذمة أوضح . ولذلك حسن رأى الجمهور للاتفاق عليه[2] .

ويدرك وقت الجمعة بأداء ركعة في وقتها ، وهو رأى الجمهور خلافا للأحناف .

وتحديد وقت الجمعة يؤدى إلى تنظيم المسلم ليومه ، فيؤدى واجبه ، ويسعى على معاشه ، فإذا ما جاء الوقت ذهب إلى المسجد ساعيا إلى ذكر الله والصلاة .

٢ــ المصر :

يرى الشافعية[3] والحنابلة[4] أنه لا تصح الجمعة إلا في أبنية مجتمعه يستوطنها من تعقد بهم الجمعة في بلد أو قرية استيطانا دائما لا يظعنون عنها صيفا ولا شتاء .

١- صحيح مسلم . باب شرائط الجمعة

٢- الكافى جــ١ صــ٢٨٣

٣- المهذب جــ١ صــ١١٠

٤- الكافى جــ١ صــ٢٨٤ ، المغنى جــ٢ صــ٣٣١

فأما أهل الخيام (البدو) وبيوت الشعر فلا جمعة لهم، ولذلك كانت قبائل العرب حول المدينة بدوا فلم يأمرهم النبي ﷺ بجمعة .

ومتى اجتمعت شروط المصر وجب على أهلها الجمعة لأن كعبا قال: **أسعد بن زرارة أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بنى بياضة في نقيع يقال له : نقيع الخضمات .**

قال الخطابى : " **حرة بنى بياضة قرية على ميل من المدينة . لأن هذا بناء استوطنه أربعون من أهل الجمعة فوجبت عليهم كأهل المصر** . ولأنه لم تقم الجمعة في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين إلا في بلد أو قرية . ولم ينقل أنها أقيمت في بدو فإن خربت القرية فلازمها أهلها عازمين على إصلاحها وحرمتها فحكمها باق ، وإن عزموا على النقلة منها زال الاستيطان "[١].

والأحناف يرون أن المصر لابد أن يكون مصرا جامعا وهو عندهم ما أقيمت فيه الحدود ونفذت الأحكام بواسطة قاض ونائب للسلطان يقدر على تحقيق العدل ونصرة المظلوم ... يستدل الفقهاء على ما ذهبوا إليه بقوله ﷺ : "**لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع** " . وكان النبي ﷺ يقيم الجمعة في المدينة وما روى أنه أقامها حولها . وكذا الصحابة فتحوا البلاد وما نصبوا المنابر إلا في الأمصار[٢] .

والراجح هو أنه يكفى في المصر أن يكون قرية يستوطنها عدد تصح بهم الجمعة ، وهو رأى الشافعية والحنابلة والمالكية والدليل على رجحان هذا الرأي أن الرسول لم يصل بجوار المدينة لأنه كان يصلى في المدينة نفسها . وكافة الأدلة تقويها .

وعلـــى الجملة

١- بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٥٨

٢- بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٥٩

فإن جميع القرى المصرية يجوز إقامة الجمعة فيها لأن فيها نائبا للوالى وهو العمدة أو الشيخ أو ضابط للشرطة للمساهمة في إقامة العدل وإقامة المسجد والمنبر يعد إذنا بالجمعة . كما أن القرية المصرية تعد مصرا في مفهوم الأحناف وغيرهم .

٣ـ العدد المطلوب للجمعة :

سميت الجمعة بهذا الاسم لكون الجماعة شرطا في صحتها ولا تؤدى بغيرها .

وقد اختلف الفقهاء في العدد الذي تصح به الجمعة .

فقال الشافعية والحنابلة[١] لابد من أربعين مصليا ممن تجب عليهم الجمعة غير الإمام لما روى عن جابر رضي الله عنه قال: **قضيت السنة أن في كل ثلاثة إماما** . وفى كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وأضحى وفطرا .

ويراد بالسنة سنة النبي ﷺ .

وذهب المالكية إلى أن صلاة الجمعة تصح بأربعين في أول أدائها وبعد ذلك تصح باثنى عشر مصليا سوى الإمام[٢] .

وذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أن الجمعة تصح بثلاثة سوى الإمام لما روى أن النبي ﷺ **كان يخطب فقدم عير تحمل الطعام فانفضوا إليها فتركوا رسول الله ﷺ قائما وليس معه إلا اثنى عشر رجلا منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين** . وقد أقام الجمعة بهم . ولأن الثلاثة تساوى ما وراءها في كونها جمعا فلا معنى لاشتراط جمع الأربعين .

ويروى أبو يوسف أن الاثنين مع الإمام تصح بهما الجمعة . وهو مردود لأن الاثنين ليسا بجمع[٣] .

١- المهذب جـ١ صـ١١٠ ، الكافى جـ١ صـ٢٨٥

٢- شرح كتاب النيل جـ٢ صـ٣٣٠

٣- بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٣

ويبدو أن رأى الشافعية والحنابلة هو الأولى بالإتباع لأن النظر في هذا الشرط مع شرط المصر يدفع إلى اشتراط الأربعين لحضور الجمعة . كما أن اجتماع الجمعة لا يراد به مجرد الجمع . بل يراد به الجمع الذي يستفيد ويفهم ويعلم . ولهذا يرجح رأى من قال بالأربعين سوى الإمام .

كما أنه يجوز وقوعها بأربعة بالإمام لأن شروط الفقهاء اجتهادية في أغلبها .

وعلى الإمام مراعاة ظروف كل قرية ومصر ليكون عملهم وفق ما يحقق المصلحة الخاصة والعامة .

٤ــ الجماعة :

لابد من الجماعة لصحة الجمعة بالعدد الذي أشرنا إليه . وتدرك جماعة الجمعة بركعة منها .

٥ــ الخطبة :

أجمع الفقهاء على اشتراط خطبتين قبل الصلاة قبل الصلاة لابد منهما لصحة الجمعة ... وفى الخطبة تفضيل كبير عند الفقهاء ولذلك سأفردها بمبحث خاص بها .

هــــذا

وقد زاد الأحناف شرطين هما :

الأول : حضور السلطان أو نائبة ليتمكن من تنفيذ الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ بالنسبة لمن يتخلف عن الجمعة . ولقول النبي ﷺ : **أربع إلى الولاة وعد منها الجمعة وهو شرط مرجوح .**

الثاني : الاشتهار العام . معناه أن يؤذن للجمعة ، ويظل المسجد مفتوحا لكل من يقبل عليه ، فإذا حدث غير ذلك بطلت الصلاة ، كأن يجمع أمير جيشه وأتباعه ويغلق الباب عليهم . ويمنع سواهم . ويصلى بهم الجمعة فحينئذ لا تجزئهم صلاتهم . لأن الله شرع النداء لصلاة الجمعة . والنداء للاشتهار . وهو

ملزم لكل من سمعه . ولذا يسمى جمعة لاجتماع الجماعات فيها ، فاقتضى أن تكون الجماعات كلها مأذونين بالحضور إذنا عاما تحقيقا لمعنى الاسم[١] .

وهذا الشرط له وجاهته وهو جعل الاجتماع واسعا يستفيد به كل من يريده . وفى بعض الحالات الضرورية يمكن ترك العمل بهذا الشرط اكتفاء بما ذكر الفقهاء من شروط سواه .

❖ ❖ ❖

وشروط صحة الجمعة تحقق للجمعة والاجتماع لها إيجابية كبرى فاشتراط العدد والمصر والخطبة يوسع دائرة النفع والمشاركة ويحول المسجد إلى جامعة شعبية يتعلم فيها المسلمون بصورة متساوية وبلا شروط مسبقة،وبلا مصروفات معينة ، بل هم جميعا في أخوة تامة . وحرية مطلقة ، ومساواة تنظم الناس صفوفا تابعة لمجيئهم المسجد لأن الكل يجلس حيث ينتهى به المجلس .

إن المسلم من خلال اجتماع الجمعة يستمع أسبوعيا لموضوع علمى إسلامى ، وعند المواظبة على ذلك يتجمع أمام المسلم في العام الواحد اثنان وخمسون موضوعا هي عدد جمع العام . إنه قدر علمى يفوق ما يناله طالب في الجامعة . وهذا يعنى عظمة ما تقدمه جامعة الجمعة للمصلين .

إن شروط فرض الجمعة تلزم الفرد المكلف القادر على المشاركة بالجمعة ليتحقق ايجابية المسلم مع الجماعة ، وشروط صحة الجمعة تساعد في إيجابية الجماعة . وهى تحتوى الفرد وتتفاعل معه . لإيجاد المجتمع السعيد لفهمه لدينه . وحبه لخالقه والتزامه بمنهج الشرع الكريم .

إن فقه الجمعة يوحى بكل ذلك ولذلك عده المسلمون عيدا لهم ، وعده الإسلام تبرئة لساحة المسلم من ذنوب قد يقع المسلم فيها لقوله ﷺ : " الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما " .

١-بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٩

المبحث الخامس

خطبـــة الجمعــة

من الشروط الواجبة لصحة الجمعة تقديم الخطبة على الصلاة لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ ﴾[١] . فإن المراد بالذكر هو الخطبة إلى تسبق الصلاة . وهذا يعنى تضمن الذكر للخطبة وللصلاة معا ... يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " **كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما** " . وتواترت الأخبار على أن رسول الله واظب على ذلك . وجرى على هذا إجماع الأمة من غير نكير ... والسلف يرون أن الجمعة قصرت إلى ركعتين لأجل الخطبة . فإذا لم تتم الخطبة يكون الأصل وهو الظهر وإن لا فلا . والحديث في الخطبة يتناول المباحث التالية :

١ـــ مشروعية الخطبة :

شرعت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة . ووقتها هو وقت الظهر ويقصد بها التعليم . والتعريف . والتذكير بنعم الله تعالى . وهى من فضائل الإسلام التي يبرز بها دور العلم . وأهمية العلماء والمتعلمين . لأن بالعلم يعرف الدين . وتفهم مسائلة وقضاياه . ويعيش المكلف عالما عاملا .

وللعلماء في حكم خطبة الجمعة[٢] آراء :

١- سورة الجمعة آية ٩

٢- (فائدة) جملة الخطب المشروعة عشر وهى خطبة الجمعة ، وخطبة عيد الفطر ، وخطبة عيد الأضحى ، وخطبة الكسوف ، وخطبة الخسوف ، وخطبة الاستسقاء ، وأربع في الحج إحدهما بمكة في يوم السابع من ذى الحجة المسمى يوم الزنية . وثانيها بنمرة في يوم التاسع المسمى بيوم عرفة ، ثالثها بمنى في يوم العاشر المسمى يوم النحر ، ورابعها بمنى في الثاني عشر المسمى يوم النفر الأول ، وكلها بعد الصلاة إلا خطبة الجمعة وخطبة عرفة ، فإنهما قبلها ، اما خطبة الاستسقاء فتجوز قبلها أو بعدها وكلها خطبتان إلا الثلاثة في الحج فخطبة واحدة .

يرى الشافعية والأحناف والمالكية والحنابلة أن الخطبة شرط واجب لابد منه لصحة الجمعة واستدلوا على ذلك بما يلي :

أ ــ يقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ، والخطبة من ذكر الله فتدخل في الأمر بالسعى لها دخولا أوليا . أو أن المراد من الذكر الخطبة . وقد أمر بالسعى إليها فدل ذلك على وجوبها وكونها شرطا لانعقاد الجمعة .

ب ــ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما[1] وقد واظب النبى ﷺ على ذلك فدل على الوجوب لأنه كبيان المجمل للآية .

ج ــ عن عمر وعائشة رضى الله عنهما أنهما قالا : " **إنما قصرت الصلاة لأجل الخطبة** " . وشطر الصلاة فرض لا يسقط إلا لتحصيل ما هو فرض .

د ــ ترك الظهر بالجمعة عرف بالنص . والنص ورد بهذه الهيئة وهى وجوب الخطبة[2] .

وعلى القول بوجوب الخطبة للصلاة جرى أغلب الفقهاء . ولم يقل بعدم وجوبها إلا نذر يسير بلا دليل لهم غير أنهم حصروا رأيهم في معارضة أدلة القائلين بالوجوب . وبذلك ظهر ضعف ما ذهبوا إليه . وتوارى رأيهم في جنبات الأمة ، ولا يعرف جمهور المسلمين إلا الرأي الراجح وهو وجوب الخطبة للجمعة .

إن المسلمين يرتبطون روحيا وعقليا بخطيبهم ، يأتون إليه من كل مكان لسماع موعظة ، وفهم قضية ، ومعرفة شئ من أمور الدين .

١- الفتح الربانى جـ٦ صـ٨٩

٢- بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٢

ويا ليت الخطباء يدركون قدر الخطبة المفروضة فيعدوا لها . ويقدموا إسلامهم من خلالها للناس . !! إنهم لو فعلوا ذلك حققوا إصلاحا اجتماعيا كبيرا يقوم على منهج الإسلام وتعاليمه .

٢ـ أركان الخطبة :

بعد اتفاق جمهور الفقهاء على فرضية خطبة الجمعة انقسموا في كونها واحدة أو اثنتين .

فذهب الأحناف والمالكية إلى أن المشروع هو ما يقع عليه الخطبة سواء كانت واحدة أو اثنتين والخطبة وهو اسم يشتمل في المتعارف على تحميد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ . والدعاء للمسلمين والوعظ والتذكير لهم فينصرف المطلق على المتعارف . ومما يدل على أن مجرد الذكر يسمى خطبة ما روى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما استخلف خطب في أول جمعة . فلما قال الحمد لله ارتج عليه[١] فقال : أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وإن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المكان مقالا . وستأتيكم الخطب من بعد وأستغفر الله لي ولكم . ونزل . وصلى بالمسلمين الجمعة . وعد ذلك خطبة بمحضر من المهاجرين والأنصار وصلوا خلفه . وما أنكروا عليه صنيعه مع أنهم كانوا موصوفين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكان هذا إجماعا من الصحابة رضي الله عنهم .

وأيضا فإن المطلوب هو مطلق ذكر الله تعالى من غير اشتراط أن يكون في خطبة أو في خطبتين[٢] .

ويرى الأحناف والمالكية أن ما روى أن رسول الله ﷺ كان يخطب بالناس خطبتين يجلس بينهما فهو دليل على سنية هذا الفعل[٣] لا على فرضيته .

١- ارتج عليه أى ضاعت منه الفكرة ، وعجز عن مواصلة الخطبة

٢- بدائع الصنائع جـ١ صـ٢٦٢

٣- فتح القدير جـ٢ صـ٥٩

ويرى الشافعية والحنابلة أن كون الخطبة اثنتان شرط واجب لقوله ﷺ "**صلوا كما رأيتمونى أصلى**" ، ولم يصل الجمعة إلى بخطبتين . وقد تعارف الناس على أن خطبة الجمعة ثنتان فتحدد بذلك مفهوم الخطبة اللغوى .

وتبعا لاختلاف الفقهاء يأتى الحديث عن أركان الخطبة فالذين قالوا بأنها ثنتان وضعوا للخطبة أركانا لا تكون خطبة إلا بها والذين قالوا إن مجرد الذكر يكون خطبة رأوا ما يكون في الخطبة من توجيهات فهو سنة مشروعة . أى أن ما هو سنة عند هؤلاء هو ركن عند أولئك . أى أن جوانب الخطبة مشروعة عند الجميع وإن اختلفت أحكامها ؛ وإنى أرجح كونها أركانا لضرورة الإتيان بها لأن الإسلام دين نظام وإصلاح . ومن الأولى له مع الخطبة أن يحدد منهجيتها الإصلاحية كأركان لابد منها .

وما هي أركان الخطبة عند من يقول بها ؟

أركان الخطبة أربعة هي :

الأول : أن تفتتح بالتحميد . وأقله الحمد لله . يروى ابن قتيبة أنه تتبع خطب رسول الله ﷺ فوجد أوائل أكثرها هو الحمد لله نحمده . ونستعينه . ونؤمن به . ونتوكل عليه . ونستغفره . ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له[١] .

والشافعية والحنابلة يرون التحميد في الخطبة واجبا لا تصح بدونه لما روى جابر أن النبي ﷺ خطب يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم يقول : " أى يتم خطبته بعد ذلك "[٢] . والخطبة العادية إذا خلت من التحميد تسمى (بتراء) .

هذا ويرى الحنابلة أن الثناء والشكر يقوم مقام الحمد لأدائهما المعنى المقصود من الحمد لله . لكن الشافعية يرون ضرورة النطق بلفظ الحمد ، أو ما

١- عيون الأخبار جـ٢ صـ٢٣١

٢- المهذب جـ١ صـ١١١

يشتق من مادته .

وأبو حنيفة وصاحباه يذهبون إلى أن ما يطلق عليه اسم خطبة كاف في تحقيق المقصود لقوله تعالى " **فاسعوا إلى ذكر الله** " . فما يحقق الذكر كاف ولو كان قليلا . وقد روى أن عثمان رضي الله عنه قال: " **الحمد لله** " **فارتج عليه فنزل وصلى بالناس من غير نكير** . ويحدد محمد وأبو يوسف حد القلة بما كان قدر التشهد ليستوى على الثناء والصلاة على رسول الله والدعاء للمسلمين[1] .

ولا يرى المالكية هذا الركن في الخطبة لأن آية من القرآن الكريم تكفى والخطبة عند العرب كلام منمق يفيد معنى أو عدة معان . فإذا احتوى كلام على آية قرآنية جاز جعله خطبة للجمعة عند المالكية[2] .

الثاني : الصلاة على النبي ﷺ بلفظه الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [3]﴾ . لأن كل عبادة افتقرت إلى ذكر الله تعالى افتقرت إلى ذكر رسوله كالآذان والصلاة[4] ، وهذا بعض ما يستفاد من قوله تعالى " **ورفعنا لك ذكرك** " . والخطبة إذا خلت من الصلاة على الرسول سميت " شوهاء " .

والصلاة على النبي ركن واجب عند الشافعية والحنابلة سواء ذكر الرسول باسمه الصريح أو بضميره . وبعض متأخرى الشافعية يشترطون إيراد الاسم الصريح لرسول الله مع الصلاة عليه في الخطبة ولا دليل لهم على هذا الشرط .

وموقف الأحناف والمالكية في الصلاة على الرسول في الخطبة يذهب إلى أنه سنة ، وليس بركن ولا بشرط .

١- تبيين الحقائق جـ١ صـ٢٢٠ ، فتح القدير جـ٢ صـ٥٩

٢- كفاية الطالب الربانى . بتصرف

٣- سورة الأحزاب آية ٥٦

٤- المهذب جـ١ صـ١١٢ ، الكافى جـ١ صـ٢١٠

الثالث : الوصية بتقوى الله تعالى في الموضوع الذي فيه الخطيب . لأن النبي ﷺ كان يعظ أصحابه في خطبة الجمعة . وكان إذا خطب علا صوته ﷺ واشتد غضبه . وإحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش . ثم يقول ﷺ : **بعثت أنا الساعة كهاتين . وأشار بأصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام ثم يقول إن أفضل الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد ﷺ**[١] . والهدف المقصود من الخطبة هو العظة والإرشاد والتوجيه . ولابد من ذلك في الخطبة .

والإجماع منعقد على هذا الركن صراحة أوضمنا لأن الشافعية والحنابلة يصرحون به . أما الأحناف والمالكية وهم يقولون بكفاية بعض الذكر والقرآن في الخطبة يشيرون إليه لأن في القرآن الكرين عظة ونصحا وتوجيها .

الرابع : قراءة شئ من القرآن الكريم ولو آية . لأن جابر بن سمرة قال: كانت صلاة رسول الله ﷺ قصدا . وخطبته قصدا . يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس[٢] . ولأن الخطبة فرض في الجمعة فوجبت القراءة فيها كالصلاة . يقول الجاحظ : " إن خطباء العصر الأول كانوا يرون أن تشتمل الخطبة على آى من القرآن الكريم فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار . والرقة وحسن الموقع . وكثرة الفائدة " .

٣ــ الأركان والخطبتان :

وهذه الأركان الأربعة واجبة في الخطبة الثانية كما هي واجبة في الخطبة الأولى لأن ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر . وذلك رأى قال به بعض الفقهاء الذين حددوا أركان الخطبة الأربعة . وبعض آخر منهم يرى أن التحميد والصلاة واجبان في الخطبة الثانية . وكذلك الوصية بالتقوى في موضوع آخر مغاير للوصية الأولى . وكذلك القرآن الكريم . وذلك أولى لأن تكرار الوصية بعينها أو الآية بعينها غير مفيد . ولا يدعو السامع إلى الانتباه .

١- صحيح مسلم

٢- الكافى جــ١ صــ٢٩٠

٤ــ سنن الخطبة :

يذكر الفقهاء سننا عديدة للخطبة . وقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر سنة وهى :

١ــ أن تكون الخطبة على منبر . وهو موضع مرتفع أمام الحاضرين وبذلك يتمكن المصلون من رؤية الخطيب ، وكان النبي ﷺ يخطب على جذع نخلة فلما كثر المسلمون اتخذ منبرا مكونا من ثلاث درجات . لأنه أبلغ في الإعلام والتوجيه والأفضل أن يكون المنبر على يمين المحراب . وليس بشرط أن يتخذ المنبر من الخشب وعلى صورة معينة بل يكفى أن يكون المكان عاليا . وبعض الفقهاء يكره اتخاذ المنبر الخشبى لأنه يقطع الصف الأول حين الصلاة . كما أنه يضيق المكان وبخاصة إذا كان المسجد صغيرا .

٢ــ أن يكون الخطيب مقبلا بوجهه على الناس مستدبر القبلة لأن ذلك أدعى للانتباه . والمصلون إذا رأوا الخطيب مقبلا عليهم يقبلون عليه ... ومن هنا كره الفقهاء تلفت الخطيب يمنة ويسرة لأن تلفته يدعو الناس إلى الانصراف عنه .

٣ــ أن يسلم الخطيب على الناس عقب صعوده على المنبر لأن النبي كان يفعل ذلك ، وهو كتنبيه لهم على الحضور النفسى والعقلى.

٤ــ أن يجلس بعد سلامه على الناس .

٥ــ أن يخطب قائما ما دام يقدر على القيام .

٦ــ أن يجلس الخطيب بين الخطبتين للفصل بينهما .

٧ــ أن يرفع الخطيب صوته ليسمعه الحاضرون .

٨ــ أن لا يحرك أطرافه لينصرف التركيز إلى قوله لا إلى حركته فإن كانت الحركة تفيد قوله فلا بأس . ومما يساعد في عدم الحركة أن يمسك شيئا بيده كسيف أو عصا أو قوس .

٩ــ أن تكون الخطبة سهلة اللفظ . بينة المعنى . في متناول حال المستمعين . ولا عبرة بخطبة لا يفهمها المستمعون . ولذلك أجاز الفقهاء أن تكون الخطبة بلغة غير عربية إذا كان المستمعون من غير العرب .

١٠ــ أن تكون الخطبة قصيرة بقدر الإمكان وهذا يدعو الخطيب إلى التركيز وعدم الاستطراد .

١١ــ ترتيب أركانها لتقدم إلى المستمع في صورة مقنعة .

١٢ــ أن تشتمل الخطبة على دعاء للمسلمين جميعا وللحاضرين منهم خاصة تذكيرا بالأخوة الإسلامية والعبودية لله تعالى .

١٣ــ أن يحضر الخطيب للمسجد وقت حلول الخطبة . وهذا مدعاة للاهتمام به وبكلامه[١] .

٥ــ هدى النبي ﷺ في الخطبة :

يقول ابن القيم[٢] : " كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه . وعلا صوته . واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم .

ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرب بين أصبعيه السبابة الوسطى .

ويقول أما بعــد

وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر . ويقصد الكلمات الجوامع .

وكان يقول إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته من فقهه .

وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام ، وشرائعه ، ويأمرهم ، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهى كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين . ونهى المتخطى رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس .

١- أنظر المهذب جـ١ صـ١١٢ ، الكافي جـ١ صـ٢٩١ - ٢٩٢ ، تبيين الحقائق جـ١ صـ٢٢١

٢- زاد المعاد جـ١ صـ١١٧

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو للسؤال يوجه إليه ثم يعود لخطبته فيتمها . وربما نزل من على المنبر للحاجة ثم يعود كما نزل للحسن والحسين وأخذهما ورقى بهما المنبر فأتم الخطبة .

وكان يأمرهم ﷺ بمقتضى الحال في خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها .

وكان يشير بأصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه .

وكان يستسقى بهم إذا قحط الماء في خطبته . يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير حرس أو تابعين . فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه . وسلم عليهم . ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الآذان فإذا فرغ منه قام النبي ﷺ فخطب من غير فصل بين الآذان والخطبة .

ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر . وكان إذا خطب استدار أصحابه إليه بوجوههم . وكان وجهه قبلهم في وقت الخطبة . وكان يأمر الناس بالدنو منه . وكان يأمرهم بالإنصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال: لصاحبه أنصت فقد لغا . ومن لغا فلا جمعة له . وكان إذا فرغ بلال من الآذان أخذ في الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة ... وهكذا كان هدية ﷺ في خطبته " .

٦ـ خطبة الجمعة والقواعد العلمية :

بالنظر في هدية ﷺ مع الخطبة . وبالتأمل في أركان الخطبة وسننها كما جاءت عن رسول الله نلحظ موافقها التامة للقواعد العلمية التي توصل إليها علماء التربية والدعوة رغبة في إجادة التوجيه والوصول للمصلحة . وهذا التوافق دليل واضح على سبق الإسلام في تعاليمه إلى تحقيق المصلحة . ولعل أهم صور التوافق ما يلي :

أ ــ ينادى العلماء بضرورة الإعداد للخطبة عن طريق اختيار الموضوع المناسب . وهذا هو بعينه ما عرف في خطبة

الجمعة بمراعاة حال المستمعين . والعلماء ينادون بضرورة معرفة أحوال المستمعين لكى تتبع الموعظة من حاجتهم وهو بعينه ما كان يفعله رسول الله لأنه كان إذا علم فاقة خطبهم في الصدقة والنفقة ومشروعية خطبة الاستسقاء تعنى الربط بين الخطبة والقضايا الاجتماعية المفاجئة التي يعيشها المسلمون .

ب ــ يرى العلماء ضرورة تقسيم الخطبة إلى عناصر محددة في إطار الموضوع كله حتى لا يحدث استطراد أو إهمال لبعض جوانب الخطبة . وذلك بعينه هو ما يلزم في خطبة الجمعة لأن الفقهاء يرون تقسيم الخطبة إلى أركان هي أجزاء للخطبة كما يرون تسلسل هذه الأجزاء وتتابعها مراعاة للتقسيم . وهذا يحقق الالتزام بالعناصر وعدم الخروج عليها . أو التقصير في الحديث عنها .

ج ــ يذهب العلماء إلى أهمية الاعتماد على أسلوب سهل مناسب للمستمعين حيث لا مانع لديهم في استعمال بعض الألفاظ العلمية إن كانت تساعد الناس على الفهم . أليس ذلك هو معنى قول الفقهاء إن على الخطيب أن يرفع صوته ليسمعه الحاضرون وعليه أن تكون خطبته سهلة اللفظ . بينة المعنى . إذ لا عبرة لخطبة لا يفهمها المستمعون .

د ــ يوجه العلماء المرشدين إلى ضرورة أن يكون لكلامهم مدخلا محببا إلى المستمعين جذبا للانتباه . وشحذا للهمم . وذلك بارز في اشتراط أن تبدأ خطبة الجمعة بالحمد لله وبالصلاة والسلام على رسول الله . وبالدعاء للمؤمنين لأن ذلك كله يفيد الربط النفسى بين الخطيب ومستمعيه . ويدعو إلى الثقة . وقوة الانتباه . ويحقق فائدة عظمى .

هـ — يهتم العلماء بأخذ الرأي والحكم من مظانه تأكيدا لأصالته وأحقيته ، فالدواء يفهمه الأطباء . والحكم يجيده الفقهاء . وكل تخصص علمى له رجاله وفنونه . ومن هنا كان اهتمام العلماء بتوجيه المربين نحو تأصيل آرائهم بآراء المتخصصين وهذا هو بعينه ما عناه الفقهاء وهم يشترطون إيراد آيات من القرآن الكريم في الخطبة الوعظية . لأن المسلم يدرك أن دينه في القرآن الكريم والسنة النبوية . ودلالتهما على الحكم الديني صحيحة .

و — يرى العلماء ضرورة اشتمال الخطبة على خاتمة . وهذا بعينه ما أمر به الإسلام لأن الركن الأخير في الخطبة هو الدعاء للمسلمين . وهذا معناه أن يؤخر الخطيب وصيته . ونصيحته التي جاءت في موعظته في صورة دعاء أن يوفق الله المسلمين بأن يعملوا بما جاء فيها وأن يلتزموا بما أتاهم به رسول الله ﷺ .

ز — يركز العلماء على الإيجاز في الخطبة لأن ذلك أدعى للفهم . وأيسر في الإتباع ، وأبعد للسأم .

وهذا فقه في الخطبة يجب أن يتبعه الخطيب . فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: " صليت مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا "[١] .

وعن واصل بن حيان قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة (علامة) من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة فإن من البيان لسحرا "[٢] .

ونهى النبي ﷺ عن إطالة الخطبة .

١- الفتح الربانى جـ٦ صـ٩٠
٢- الفتح الربانى جـ٦ صـ٩١

ح ـ ينادى العلماء بضرورة الاهتمام بوضع المؤثرات الصوتية خلال إلقاء الخطبة إيقاظا لانتباه المستمع كالصمت المفاجئ . وارتفاع الصوت أو انخفاضه وبعضهم يضع الموسيقى التصويرية مع تلون أدائها ... وفى خطبة الجمعة تكون هذه المؤثرات واضحة فالانتقال من ركن إلى ركن ، وتلوين الخطيب بصوته رفعا أو خفضا . والجلوس بين الخطبتين . والمواجهة بين الخطيب والناس كل ذلك مؤثرات صوتية تحقق للكلام الأثر الذي اكتشفه العلماء في العصر الحديث .

تلك أهم ما نلحظه من توجيهات الإسلام في الخطبة . وجاء العلم الحديث بما يؤكد سبق الإسلام في إقرار المصلحة للفرد والجماعة .

٧ـ دور الخطبة الثانية مع الأولى :

بعد أن اشترط الفقهاء أركانا أربعة للخطبة هي التحميد . والصلاة على رسول الله . والنصيحة . والدعاء . بعد ذلك يسأل بعض الدعاة .

ماذا في الخطبة الثانية من نصيحة ؟

هل يكرر الخطيب ما جاء في الخطبة الأولى ؟

أم يأتى بنصيحة جديدة ؟

والجواب في تصورى ليس في هذا ولا في ذلك ؛ لأن التكرار يؤدى إلى الملل وإطالة الخطبة وهذا لا يجوز . كما أن الإتيان بموضوع جديد في الخطبة الثانية يشير إلى انفصال الثانية عن الأولى وعدم الارتباط بينهما . وهذا لا يجوز أيضا .

والحل الأمثل في تصورى هو أن تكون النصيحة في الخطبة الثانية تطبيقا عمليا للأولى كأن تكون الخطبة الأولى في " عناية الإسلام بالشباب " والتطبيق العملى لها **هو رسم خطة عملية لإنقاذ شباب الأمة من الضياع الذي** يعيشون فيه . وكأن تكون الخطبة الأولى في **أهمية العلم** وتكون الثانية حينئذ عن رسم **خطة تربوية للمعلمين** .

إن بعض الخطباء يورد في الثانية سؤالا له صلة بالأولى . وتكون إجابته هي النصيحة الثانية .

وبعض الخطباء يعلق على القضايا الاجتماعية التي ظهرت خلال الأسبوع ولها صلة بخطبته الأولى .

وبعضهم يجعل الخطبة الثانية دراسة نقدية مقارنة للأولى .

وذلك كله جائز وعلى من وكل إليهم أمر الدعوة أن يجددوا أنفسهم . والأسبوع سبعة أيام وفيه متسع لإيجاد الموضوع وإعداده . وتكوين الخطبتين بصورة حسنة خالية من التكرار والانفصام . وتلك مهمة وضرورة . على الدعاة أن يهتموا بها .

المبحث السادس

نماذج من الخطب المأثورة

سأحاول هنا إيراد بعض الخطب التي نقلت إلينا من العصور الإسلامية الأولى كبرهان شاهد على ما قلت . وكنصوص ثابتة يجب أن يعيها المسلمون في العصر الحديث إحاطة بتراثهم العلمى والثقافى القديم . ومن النماذج ما يلي:

أ ـ أول خطبة لرسول الله ﷺ

أخرج البيهقى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال: " كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعـــد

أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم ياتك رسولى فبلغك ؟

وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟

فما قدمت لنفسك ؟

فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة . فإن بها يجزى بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته "[١] .

١- البداية والنهاية جـ٣ صـ٢١٣

ب ــ خطبة أخرى لرسول الله ﷺ

الحمد لله أحمده وأستعينه . نعوذ بالله من شرور أنفسنا . وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر . واختاره على سواه من أحاديث الناس . إنه أحسن الحديث وأبلغه . حبو من أحب الله . أحبوا الله من كل قلوبكم . ولا تملوا الله وذكره ولا تقسوا عنه قلوبكم . فإنه من يختاره الله ويصطفيه فقد سماه خير الأعمال وخير العباد . والصالح من الحديث . ومن كل ما أوتى الناس من الحلال والحرام .

فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق تقاته . وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحاربوا بروح الله بينكم .

إن الله يغضب أن ينكث عهده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1] .

ج ــ خطبة لرسول الله ﷺ يوم فتح مكة

الحمد لله صدق وعده . ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده ألا إن قتيل الخطأ قتيل السوط والعصا . فيه مائة من الإبل منها أربعون خلفة[2] في بطونها أولادها . ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم تحت قدمى هاتين إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج إلا أنى أمضيتهما لأهلهما كما كانا .

أيها الناس . إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها آبائها فالناس رجلان رجل برتقى كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقى هين على

---

١ ـ البداية والنهاية جـ٣ صـ٢١٤

٢ـ الخلفة أى الناقة الحامل

الله تعالى . إن الله عز وجل يقول " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** " **أقول هذا وأستغفر الله لى ولكم**[١] .

د ــ خطبة لرسول الله ﷺ في شهر رمضان

أخرج ابن خزيمة عن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال بعد حمد الله والثناء عليه :

" يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك . شهر فيه ليلة خير من ألف شهر . جعل الله صيامه فريضة . وقيام ليلة تطوعا . من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أذى فريضة فيما سواه . ومن أدى فريضة فيه كان كمن أذى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر للصبر . والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة . وشهر يزاد رزق المؤمن فيه ، من أفطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ .

قالوا : يا رسول الله أليس كلنا يجد ما يفطر الصائم .

فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو مدقة لبن . وهو شهر أو له رحمة وأوسطه مغفرة . وآخره عتق النار . من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال . خصلتين ترضون بهما ربكم . وخصلتين لا غناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة . وتعوذون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة "[٢] .

١- تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٢١٨ من حياة الصحابة جـ٣ صـ٤٣٥

٢- الترغيب والترهيب جـ٢ صـ٢١٨

هـ ـ خطبة لرسول الله ﷺ في الشكر

قال ﷺ بعد حمد الله والثناء عليه : " **من لم يشكر الكثير . ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل . والتحدث بنعمة الله شكر . وتركها كفر ، والجمع رحمة ، والفرقة عذاب ، ثم قرأ قوله تعالى " اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور " ، ثم قال رسول الله ﷺ : من أتى ثلاثا فقد أوتى مثل ما أوتى داود عليه السلام خشية الله في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى** "[١] .

١- حياة الصحابة جـ٣ صـ٤٥٥

الفصل الثانى

فقــه العيــديــن

تمهيـــد

العيد كل يوم فيه جمع ، واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إلى الجمع مرة ثانية .

وقيل اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه .

وجمع العيد أعياد . يقول الأزهرى والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن ، ويقول ابن الإعرابى : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد[١] .

وقد شرع الإسلام للمسلمين عيدين في العام . وجعل فيهما مظاهر البهجة والسرور . والنشاط الاجتماعى والثقافى ما جعلهما عنوانا صالحا على مزايا الإسلام وعظمته ، إن للعيد مناسكه الخاصة به ، وكلها نزل على تقدير الإسلام للحسن والنظافة ، وحبه للجمال والزينة ، وإرشاده المسلمين إلى أهمية صلة الرحم ، وضرورة التعاون على البر والتقوى .

وفى مشروعية العيد حث على استقلال الأمة المسلمة ، وغيرها عن سواها ، حيث كان العيد بعد عبادة مفروضة ، للاستغناء به عن يوم آخر كان العرب يختلفون به فأبدل الله أنصار خيرا مما كان .

وفى هذا الفصل سنتحدث عن فقه العيدين في الإسلام .

وقد آثرت الحديث عن العيدين لما شرع فيهما من الخطبة تتميما للبحث وتعريفا بما في خطبة العيد من فقه وبيان . وسوف يحتاج هذا الفصل للدراسات الآتية :

المبحث الأول : مشروعية العيدين .

المبحث الثاني : قيم إنسانية في العيد .

المبحث الثالث : صلاة العيد .

المبحث الرابع : الأعياد والدعاة .

١- لسان العرب مادة جـ٤ صـ٣١٤

المبحث الأول

مشروعية العيدين

كان للعرب في الجاهلية يومان يملأنهما باللعب ، والهوى . وتجديد ذكرى الآباء والأجداد ، وقد تخير حكماء العرب هذين اليومين وفق اعتدال الزمن ، والهواء ، والبرودة ، والراحة من التنقل والسفر ، وسموا اليوم الأول بيوم النيروز في أول السنة الشمسية التي تبدأ ببرمهات ، وسموا اليوم الثاني بيوم المهرجان حينما تتحول الشمس في منتصف السنة الشمسية .

ولم يكن للعرب في يومهما هذين أعمال معينة سوى اللعب وشرب الخمر وسماع الأناشيد . وإلقاء الخطب ، وكانت الحرب توقف فيهمـــا ،وكان الاحتفال بهذين اليومين احتفالا قوميا يعم العرب جميعا ، وينتشر في الجزيرة كلها .

وظل أمر العرب على هذا حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدنية المنورة فأبدلهما الله بهما يومين آخرين ، وجعلهما عيدين المسلمين ، وغير زمنهما ، كما ربط وقتهما بعبادة مفروضة من غير ارتباط باعتدال زمن ، أو هواء ، أو برودة ، وهذان العيدان هما عيد الفطر الذي يأتى عقب شهر رمضان وسمى بعيد الفطر لكون يومه أول يوم يفطر فيه الصائمون بعد نهاية شهر رمضان ، كما سمى اليوم الثاني بيوم النحر لأن الذبائح تنحر فيه تقربا إلى الله تعالى .

وكانت مشروعية العيدين في السنة الثانية بعد الهجرة ، وأول عيد صلاة رسول الله ﷺ هو عيد الفطر من العام الثاني لهجرته . وبعدها أخذ يواظب ﷺ عليه حتى لقى ربه[١] .

١- الفتح الربانى جـ٦ صـ١١٠

ومما يدل على مشروعية العيدين ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة . ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال ﷺ : " **إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم بهما خيرا منها يوم الفطر ويم النحر** "[١] .

وقد حدث هذا التبديل في السنة الثانية من الهجرة الشريفة . والحديث يشير إلى عدم التشبيه بالمشركين في أعيادهم . وقد كان النبي ﷺ يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم ، حتى قالت اليهود : إن محمدا لا يريد أن لا يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه تمييزا لمسلكهم . وإشارة إلى انحرافهم وإتباعهم لهوى الفكر ، وضلال العقل .

ومن المؤسف أن المسلمين الآن قد خالفوا هذا الهدى النبوى وتشبهوا بأهل الكتاب في عاداتهم وأعيادهم ، كما يحدث في أيام شم النسيم ويوم عيد الأم ويم عيد العمال . وهكذا .

ولم يقف الأمر بالمسلمين عند الاحتفال بأعياد أهل الكتاب . بل أخذوا منهم كل شئ ضار كمستحدثات الأزياء ، وألوان الرقص ونغمات الموسيقى والغناء ، واختيار ملوك وملكات الجمال . وكل ذلك لا يرضاه الله ولا رسوله ولا يجوز لمسلم فعله قط .

وقد خلط المسلمون عيد الفطر وعيد الأضحى بما هو غير إسلامى . فلم يلتزموا بما شرع لهما . بل ملأوهم بما هو غير إسلامى كحفلات السهر في أيام الأعياد ، وبمظاهر الترف والإسراف .

إن الله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين العيدين . ويجب أن يحييهما المسلمون بما شرع الله تعالى .

١- الفتح الربانى جـ٦ صـ١١٠

المبحث الثاني

قيم إنسانية في يوم العيد

المسلمون أمة واحدة ، والحب فيهم يجب أن يكون عاما صادقا نابعا من الإخلاص القلبى ، لأن الواجب بين المسلمين حب أصيل أساسه وحده العقيدة ، ووحدة الهدف المشترك ، وتأكيدا لهذا الواجب شرع الله الأعياد ، ونظم للمسلمين نشاطهم فيها ، وجعلها منبعا قويا للألفة والاتحاد . وذلك لما يأتى :

أ ــ ربط العيدين بالعبادة :

شرع الله عيد الفطر بعد رمضان الذي فيه فريضة الصوم . وشرع عيد النحر بعد فريضة الحج ، والصوم والحج من العبادات ذات الطابع الاجتماعى الشامل ، ففى الصوم وحدة في السلوك . ومشاركة في الوجدان . وإدراك لواقع الفقير والمحتاج ، ومع الصوم اجتماع مطول في صلاة التراويح ، وكثرة الإنفاق ، والذكر ، وقراءة القرآن ، وإحساس قوى بالارتباط النفسى بالإسلام والمسلمين بسبب تقييد الشياطين ، وإغلاق باب النار ، وقد ألف المسلمون حياة خاصة مع شهر رمضان ففيه تكثر أعمال الخير . وتزداد مدارسة الإسلام ، ويعظم اللقاء بين المسلمين ويتكرر ... ومن هنا كان ارتباط عيد الفطر بالصيام وشهر رمضان تتويجا لهذه الروح التي سادت الناس خلال الشهر ، وكأن المسلم يبحث عن إخوته في يوم العيد ليهنئهم بدرجات الفوز والقرب التي حصلوا عليها في رمضان .

والحج ــ هو الآخر ــ عبادة يلتقى فيها المسلمون من كل حدب وصوب وقد تجردوا من زخرف الحياة الدنيا ، ولبسوا ملابس بيضاء ككفن الموتى وهجروا الأهل والمال والوطن ، والتقوا في أماكن نشأة الإسلام الأولى . ملبين لله . ذاكرين فضله مؤكدين العزم على الصدق والوفاء وأداء الواجب . وذلك

في صورة جماعية . وكأن هؤلاء الذين يذهبون نوابا عن شعوبهم ، يمثلون في البيعة لله ورسوله ، ويؤكدون الأخوة الإسلامية العامة .

إن هؤلاء الحجيج قبل أن يرحلوا من بلادهم التقوا بإخوانهم ليوصوهم وليسمعوا الوصايا منهم ، وليدعوهم إلى الله تعالى ، وكأنهم ذاهبون إلى لا عودة ، ومشاعر الشعوب هي الأخرى تبقى متصلة بالحجيج ولذلك جعل الله العشر الأوائل من ذى الحجة – وهى أيام الحج – من أفضل الأيام يزداد فيها الثواب . ويكثر الخير[1] . وسن صوم يوم عرفة لغير الحاج ، لكى يحدث الترابط الروحى بين الحاج وقومه . فكلاهما في عبادة وذكر ، فإذا ما جاء يوم العاشر من ذى الحجة كان العيد . فيتحلل الحاج من إحرامه ويعلن صفاءه التام برمى الجمرات ، والتبرؤ من الشيطان ووساوسه . ويعيش غير الحاج أيام التشويق يكبر فيها عقب كل صلاة . وذلك هو الاشتراك الروحى بين سائر المسلمين .

إن المسلم عليه أن ينحر في يوم عيد الأضحى ، الحاج ينحر شكرا على ما وفق فيه من عبادة وغير الحاج ينحر امتثالا لسنة رسول الله ﷺ ومن هنا يأتى عيد الأضحى في إطار شعور واحد عند المسلمين وهو ارتباطهم بفريضة الحج .

إن ارتباط الأعياد والعبادات يجعلها تأتى والنفوس صافيـــة . والقلـــوب متعلقة بخالقها . وحب الخير سائد . ولذلك تساهم الأعياد مساهمة إيجابية في تحقيق الحب والمودة والتآلف .

---

١ ـ من الأحاديث الواردة في فضل هذه الأيام ما يأتى :

أ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " قال رسول الله ﷺ : " ما من أيام العمل الصالح فيه أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعنى الأيام العشر . قال: قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا إذا خرج رجل بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ .

ب ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثر فيهن من التهليل والتكبير والتحميد " .

ج ـ عن نبشة الهذلى رضي الله عنه قال: : قال رسول الله ﷺ : " أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل " . (الفتح الربانى جـ٦ صـ١٦٧ ، ١٦٨)

ب – مشروعية الاجتماع والتزاور :

شرع الله تعالى في يوم العيد الاجتماع . ولذلك كانت صلاة العيد في مصلى واسع يلتقى فيه سائر أهل المصر . حتى يهنئ بعضهم بضا . الرجال مع الرجال ، والنسوة مع النسوة . حتى يتم التعارف ويتعمق الود . فعن جابر رضي الله عنه قال: " **كان رسول الله ﷺ يخرج في العيدين . ويخرج إلى أهله** "[١] ولا يقصد بالخروج مجرد العبادة وإنما المقصود تحقيق الترابط الاجتماعى ، ولذلك تخرج ذوات الحيض . فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : **أمرنا رسول الله ﷺ بأبى وأمى أن تخرج العوانق بذوات الخدور والحيض يوم الفطر ويوم النحر فأما الحيض فيعتزلن المصلى . ويشهدن الخير ودعوة المسلمين .**

قيل : **أرأيت إحداهن لا يكون لها جلباب .**

قال: **تلبسها أختها من جلبابها**[٢] .

وحتى يتم الاجتماع في جو من الألفة والتقبل وعدم الضيق كان الغسل والتطيب والتجمل بالثياب من الأعمال المستحبة في يوم العيد . فلقد روى الفاكه بن سعد رضي الله عنه وكان له صحبة **أن رسول الله ﷺ كان يغتسل يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر**[٣] . **وكان النبي ﷺ يلبس بردة حرة في يوم العيد . جاء في زاد المعاد أن رسول الله كان يلبس يوم العيد أجمل ثيابه ، وكان يأمر أصحابة بالتطيب بأجود ما يجدون في العيد**[٤] .

وزيادة في اتساع اللقاء شرع الله أن يذهب المصلى من طريق ويعود من طريق آخر .ويكون ذهابه وعودته ماشيا ليتمكن من تهنئة أكبر عدد ممكـــن

١- الفتح الربانى جـــ٦ صـــ١٢٤

٢- الفتح الربانى جـــ١ صـــ١٢٦ ، وفى العيد حث على الخروج في العيد لما فيه من تعاون ومحبة وتآلف .

٣- الفتح الربانى جـــ٦ صـــ١٢٠

٤-زاد المعاد جـ٢ صـ١١١

من أصحابه بالعيد .

وفى مشروعية جعل الصلاة في مصلى دليل على هدف الإسلام من التجمع وتحقيق المصلحة الاجتماعية .

وقد ذهب جمهور السلف والخلف والأئمة الثلاثة (أبو حنيفة . مالك . أحمد) إلى أن الصلاة في الصحراء سنة محتجين بمواظبته ﷺ والخلفاء الراشدين بعده على ذلك.ولم يخالف في هذا إلا الشافعى رضي الله عنه في بعض أقواله.

ومشروعية صلاة العيد[1] ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ ﴾ . وأما السنة فلقد تواترت مواظبة الرسول ﷺ على صلاة العيد .وعليه إجماع الأمة إلى يومنا هذا .

ج ــ مشروعية التهنئة بالعيد :

شرع الله للناس أن يهنئ بعضهم بعضا بيوم العيد فعن حبيب بن عمر الأنصارى قال: حدثنى أبى قال: لقيت وائلة يوم العيد فقلت تقبل الله منا ومنك . فقال : تقبل الله منا ومنك .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد تقبل الله منا ومنك .

وحق على المسلم أن يهنئ أخاه بهذا اليوم لما فيه من خير وثواب . فعن أوس الأنصارى **أن الناس إذا صلوا عيد الفطر نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة .**

د ــ مشروعية اللعب والضرب بالدف :

أباح الله تعالى للمسلمين بأن يلعبن ويضربن بالدف في يوم العيد في إطار الحلال المشروع . **فعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها**

١- يرى بعض الفقهاء أن صلاة العيد فرض كفاية . وبعضهم يرى أنها واجب . وبعضهم يرى أنها سنة مؤكدة والجميع على أنها أحد شعائر الإسلام وسماته

وعندها جاريتان في أيام متى تضربان بدفين . ورسول الله مسجى عليه بثوبه فانتهرهما فكشف رسول الله ﷺ وجهه فقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وقالت عائشة : رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأم فأقعد . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو . وكان نهى أبى بكر لظنه أن الرسول ﷺ لم يقر ذلك فلما علم بإقرار الرسول سكت[١] .

١- يحرم أبو حنيفة الغناء العادى . ويبيحه جماعة من أهل الحجاز . ويكرهه الشافعى والمشهور عن مالك كراهته . والجميع يحرمون الغناء الذي يهيج النفس ويدفع إلى الشر . ويؤدى إلى التعطل والكسل . ويتضمن معانى وألفاظا محرمة .

المبحث الثالث

صـــلاة العيـــد

صلاة العيد ركعتان يكبر فيهما إثنتى عشر تكبيرة . يكبر في الأولى سبعا عقب تكبيرة الإحرام ، ويكبر في الثانية خمسا عقب تكبيرة القيام من سجود الركعة الأولى يحمد الله ويثنى عليه ويصلى على رسول الله ﷺ بين كل تكبيرتين . ويرفع يده عند كل تكبيرة هذا رأى الشافعى وأحمد والأوزاعى . ومالك يرى أن تكبيرة الإحرام وتكبيرة الركوع داخلتان في عدد التكبير وموضع التكبير عندهم في أول كل ركعة يقرأ بعده الفاتحة وسورة .

وأبو حنيفة يرى أن التكبيرات ثلاثا في الركعة الأولى قبل القراءة وثلاثا في الثانية بعد القراءة قبل الركوع مباشرة وبعض الحنفية يجعل العدد سبعا وخمسا في الموضع الذي ذكره أبو حنيفة .

وعلى الجملة فالتكبير في صلاة العيد سنة لا تبطل الصلاة بتركه مدا أو سهوا .

وخطبة العيدين هما الجانب التعليمى الذي يبدأ بهما العيد ، وموضع الخطبة بعد الصلاة كفعل رسول الله ﷺ وعمل السلف الصالح من بعده . وإذا فرغ الإمام من الصلاة استقبل الناس بوجهه . وخطب قائما أو على راحلته لثبوت ذلك عن النبي ﷺ . فعن أبى جميلة قال: " **رأيت عليا صلى يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب على دابته . ورأيت عثمان يخطب على راحلته . ورأيت المغيرة يخطب على راحلته . ورأيت المغيرة يخطب على راحلته " . والسبب في هذا أن المصلى الصحراوى لم يكن فيه مكان عال أو منبر فشرعت الخطبة على الدابة ليكون الخطيب بارزا للناس ، متجها إليهم .**

والخطبة ثنتان على هيئة خطبة الجمعة يجلس بينهما .

ويبدأ الخطيب خطبته بالتكبير حيث يكبر مع الخطبة الأولى تسعا تترى ويكبر مع الثانية سبعا تترى .

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن يبدأ الخطيب خطبته **بالحمد لقوله ﷺ كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم .**

ويجمع بين ذلك بأن يكون الافتتاح بالحمد وبعده يكون التكبير . وتدور موضوعات خطبة العيد حول الأمر بالطاعة والنهى عن المعصية في كل ما يناسب اليوم ففى يوم عيد الفطر يأمر بصدقة الفطر ويبين حكمها وقدرها ، وعلى من تجب . ولمن تجب ؟ وفى يوم عيد الأضحى . يذكر الأضحية . وفضلها . وحكمها . ووقت ذبحها .

وبالنظر في الآثار الواردة حول خطبة العيدين يلحظ ما يلي :

أولا : ارتباط خطبة العيد بالأصول العلمية إذ يقف الخطيب على مكان عال ويبرز للناس .

ثانيا : اشتمال الخطبة على الافتتاح والموضوع والخاتمة .

ثالثا : تتضمن الخطبة على الأدلة الشرعية المتضمنة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

رابعا : عموم الموعظة في يوم العيد لأنها تتجه إلى الرجال والنساء وغيرهم .

وعلى الجملة فإن مشروعية الخطبة في يوم العيد دليل واضح على اهتمام الإسلام بالعلم ونشره بين الناس .

المبحث الرابع

الأعيـــاد والدعـــاة

الداعية المخلص لدعوته يعمل لها دائما وبخاصة في المناسبات التي تتهيأ فيها النفوس ، والأعياد من مواسم الهدى لأنها تأتى في إطار العبادات المشروعة . وفيها تكون النفوس مستعدة لتقبل ما يوجه إليها من نصح وإرشاد.

إن الناس في الأعياد يتفرغون للراحة . ولهم عاداتهم في التهانى والاجتماع ، والتزاور ، وعلى الداعية أن يدرك ذلك وغيره فيضمن خطبته الموعظة المناسبة لمستمعيه مع محافظته على الصورة الشرعية للخطبة .

وعلى الداعية عدم الاكتفاء بالخطبة بل عليه أن يشارك الناس حياتهم في يوم العيد ليكون واحدا منهم . وعليه أن يكون كريما معهم فيعطى المحتاج ، ويجيب السائل ، ويكون في قضاياهم وأمورهم .

على الدعاة أن يضعوا أنفسهم كما يتمنى المخلصون في صدق وإخلاص ووفاء . والله من وراء النصر .

وهو نعم المولى ونعم النصير ...



الخاتمة

الخاتمــــة

وبعــــــد

فقد انجرت بعون الله تعالى هذا البحث عن " قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين " حاولت فيه أن أبرز الأسس التي يجب إتباعها لإعداد خطبة حسنة قادرة على الوفاء بالواجب المطلوب من الدعاة .

وعلى الدعاة أن يلتزموا بالأسس العلمية ، وبخاصة في عصرنا الحديث الذي لابد من مواجهة مشاكله بأسس علمية موضوعية .

إن الخطابة المعاصرة لا يصح معها الارتجال المجرد ، البعيد عن الإعداد والاستعداد ، لأن الأفكار عديدة ، والمجتمعات متنوعة ، والشخصيات البشرية مختلفة إلى حد بعيد ، والخطيب الداعية معرض أن يوجد في مجتمع ، وينتقل منه إلى غيره ... وإذا لم يكن محيطا بقواعد علم الخطابة يعجز عن التغيير الملائم للمجتمع الجديد ... وأيضا فإن المجتمع الواحد تعتريه تغيرات تحوله إلى صورة اجتماعية جديدة . وهذا يقتضى بالضرورة أن يكون الخطيب الداعية ملما بما يحتاج إليه من علوم المجتمع والناس .

ومن سمو الإسلام وكماله أن تشريعه للخطبة في الجمعة والعيدين . يعتمد اعتماد صحيحا على قواعد متينة تتفق مع أساسيات العلم ، وأصول الفطرة . ومبادئ المصلحة والسعادة .

إن الدعوة إلى الله تعالى في أمس الحاجة إلى جهد المسلمين ، وبخاصة الدعاة منهم بعد ما أصبحت الدعوة حرفة يقوم بها أفراد مختارون لها ... وإن المرء ليعجب من كثرة الخطباء والدعاة ، وقلة الأثر والنتيجة .

إن أى مدينة ، أو قرية ، أو نجع صغير لا يخلو من عدد من الخطباء ومع ذلك نلحظ أنه لا دور لهم ، ولا اهتمام بما يقولون ، مع وجود استعداد لدى الناس ليفهموا ، ويعلموا ...

ويرجع ذلك ـــ والله أعلم ـــ إلى ابتعاد الدعاة والخطباء عن اتباع خطة علمية منظمة تعتمد القواعد والأسس النظرية ، وتحولها إلى طاقة حركية ، وسلوكا عمليا ، وغاية مقصودة .

ولعل في نجاح بعض الدعاة في المحيط الذي يعملون فيه دليلا على أن الإخلاص والصدق في العمل هو الطريق السليم لإيفاء الإسلام حقه .

لقد حاولت خلال البحث أن أبين قواعد الخطابة في سائر جوانبها ، وأصل لهذه القواعد إسلاميا ليعلم الجميع أن الإسلام دين راعى قواعد السعادة ، وحدد طرق الوصول إليها ، ويسر لأتباعه منهج إبراز حقائق الإسلام للناس ، بوعى ، ودقة وإتقان .

إن أى قصور في تبليغ الحق للناس يعود إلى إهمال المسلين الذي نتمنى له أن لا يكون .

وأسال الله سبحانه وتعالى أن يحقق مارجوته . ويهدينى سواء السبيل . وأن يتقبل منى هذا العمل ويجعله لى نورا في الأرض وذخرا في السماء .

والله ولى التوفيق ،،،

أ.د / أحمد أحمد غلوش

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الفصل الثانى
الخطـــيب

الفصل الثالث
المستمعـــون

الباب الثانى
فقه الجمعة والعيدين

الفصل الأول
فقــه الجمعــة

الفصل الثانى
فقــه العيــدين

الخاتمـــة

" والحمد لله رب العالمين "

